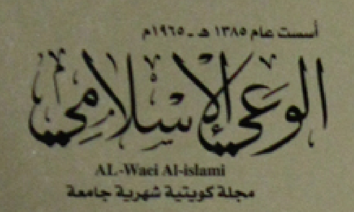




د. يعقوب يوسف الغنيم

قراءة... في دفتر قديم

من أمالي العلّامة

أبي فهر محمود محمد شاكر

على كتاب الأصمعيّات للأصمعيّ

صدر في الكويت
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

قراءة ... في دفتر قديم

مِنْ أمَالِي العَلّامَة

أبي فهر محمود محمد شاكر

عَلى كِتَابِ الأصْمَعِيَّاتِ لِلأصْمَعِيّ



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

قطاع الشؤون الثقافية

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-Islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

دولة الكويت - في مطلع كل شهر عربي

الطبعة الثالثة

الإصدار الثامن والستون

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

العنوان:

ص.ب ٢٣٦٦٧

الصفاة ١٣٠٩٧ الكويت

هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ - ١٨٤٤٠٤٤

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

الموقع الإلكتروني:

www.alwaei.com

الإشراف العام:

رئيس التحرير

فيصل يوسف أحمد العلي





د. يعقوب يوسف الغنيم

قراءة ... في دفتر قديم

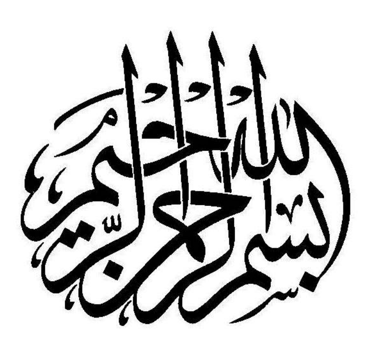
من أمالي العلّامة

أبي فهر محمود محمد شاكر

على كتاب الأصمعيّات للأصمعيّ

صدر في الكويت

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا الكتاب لم تختمر فكرته إلا بعد مضي عدة سنوات، وسوف يطلع القارئ على ما أعنيه بهذا القول، وقد كنت أرى أن الأيام التي قضيتها مع عدد من الأصدقاء نتلقى فيها العلم على يدي شيخنا الأستاذ محمود محمد شاكر هي من أسعد أيامي، وفيها حصلت على فوائد علمية كثيرة نفعتني فيما بعد ذلك أيما نفع.

وقد كنت أرى أن هذه الأوراق ملك للأستاذ لا يجوز لي التصرف بها، ولكن ما حدث فيما بعد من وفاة شيخنا، وتبعثر دفاتر الأصدقاء الذين كانوا معي، وإلحاح كثيرين عليّ طالبين ضرورة إبراز هذه الدفاتر.

كل ذلك وضعني في موقف ليس لي أمامه إلا الانصياع إلى الطلبات المتكررة التي تلقيتها، فانكببت على قراءة كل ما كتبته آنذاك لكي أحاول أن أقوم بنشره بين الناس، وذلك لأن الذين طلبوا إليَّ الاطلاع على الدفاتر يعرفون أنه من الصعوبة بمكان أن أمَرِّرها عليهم ليقرؤوها لأنها سوف تتعرض للدمار، إضافة إلى أن الأمر سوف يقتضي مدة طويلة.

وقد خطر ببالي أن القيام بإعدادها للطباعة والنشر فيه إحياء لذكرى الشيخ وتعريف به للأجيال اللاحقة الذين لم تتح لهم الفرصة

للاستفادة من علمه مباشرة، وإن كانت كتبه الحافلة بالفوائد موجودة بين أيدي الناس وفي المكتبات، ولكن ما ينبغي أن نفهمه أن لهذه الجلسات التي تسجلها دفاتري التي اعتنيت بها هي جلسات ذات نمط خاص، وذات قيمة علمية وأدبية، وكانت سبباً من أسباب ترابطنا نحن تلامذة ذلك الشيخ الفاضل حتى يومنا هذا.

يبدأ هذا الكتاب بما يلي:

١ ـ مدخل هو عبارة عن مقال سبق أن نشرته بعد وفاة الشيخ.

وقد وصفت فيه تلك الجلسات، وما كان يدور فيها.

٢ ـ مقالين من مقالاتي التي تصدر أسبوعيّاً في جريدة الوطن الكويتية تحت عنوان: «الأزمنة والأمكنة» وهما عن الأستاذ الشيخ محمود محمد شاكر، وفيهما تفصيل عن حياته.

وقد تجاوزت بوضعهما هنا ما ذكرته في المدخل حيث قلت إنني لست في حاجة إلى الحديث عن المرحوم محمود محمد شاكر؛ لأن عدداً من الكتاب تناول ذلك.

إن الأمر هنا مختلف فأنا أتحدث حديث التلميذ عن أستاذه، ثم إنني أعرض ما دار من أمور في فترة عشتها بحضوره وحضور ذلك الجمع الكريم الذي كان يحرص على مداومة الجلوس إلى هذا الرجل.

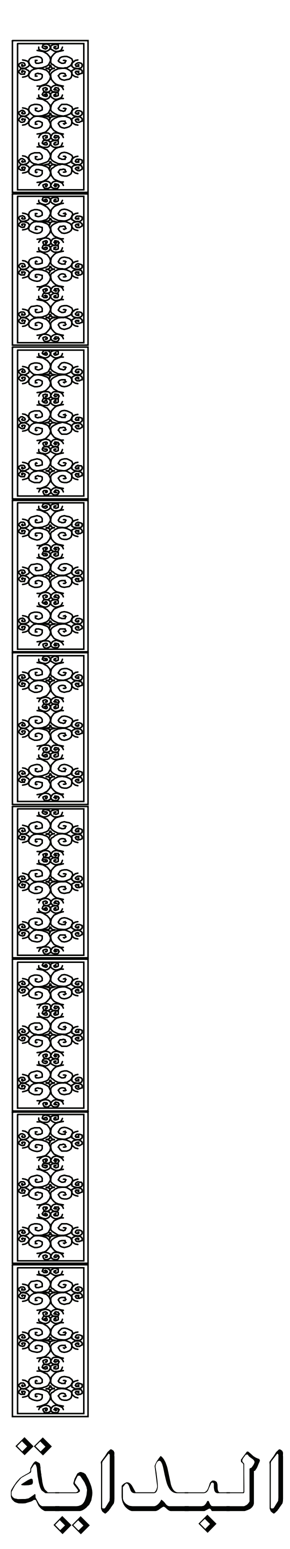
ولذا أَقنعت نفسي بضرورة وضع هذين المقالين في هذا الكتاب لأنه بوجودهما تكتمل الفائدة المرجوة من النشر، ويطلع قارئ الدروس المضمنة في الكتاب على خبايا لا يستطيع التوصل

إليها دون أن يكون قد قرأ هذين المقالين، لا أقول ذلك تزيداً، ولا من قبيل الافتخار، ولكن هذه هي الحقيقة الناصعة التي حثني من أجل القيام بما صنعت أولئك الأصدقاء والقراء فاستجبت لهم.

ختاماً، آمل أن أكون قد أديت الأمانة، ونقلت ما كان حديثاً متداولاً إلى القراء يرون فيه ما كان يدور في مجلس الشيخ من علم ومعرفة.

رحمك الله يا شيخنا. وجزاك خيراً على ما قدمته لنا ولغيرنا من طلاب علمك وفضلك.

د. يعقوب يوسف الغنيم



البداية

مدخل

أتاحت لي الظروف المستجدة العودة إلى أحد دفاتري القديمة التي أحتفظ بها كما يحتفظ صاحب الكنز الثمين بكنزه. وهذا الدفتر قديم لأنه يعود إلى سنة (١٩٥٧م) حين بدأت الكتابة فيه، وهو ثمين لأنه يضم خلاصة الدروس التي حظيت بالحصول عليها من العلّامة المرحوم محمود محمد شاكر.

لقد فتح هذا الرجل العظيم بيته ومكتبته أمام عدد كبير من طلاب العلم من شتى البقاع. ومنحهم من علمه الغزير، ومن لطفه وكرمه الشيء الكثير.

كنا مجموعة من محبي هذا الرجل، ومن محبي العلم والأدب، كان فينا أستاذ الجامعة، والطالب فيها، والدبلوماسي، والموظف الكبير بجامعة الدول العربية، واللاجئ السياسي بمصر، والكاتب الشهير، والموظف المرموق في الدوائر المصرية، وكان هذا الجمع يمثل دولاً مختلفة منه من الكويت كاتب هذه السطور والمستشار عبد الله علي العيسى، والأستاذ صالح العثمان والأستاذ جمعه ياسين، ومن الأردن الدكتور ناصر الدين الأسد، ومن فلسطين المرحوم المجاهد عبد الله التل، ومن سوريا المرحوم أحمد راتب النفاخ، والدكتور شاكر الفحّام، ومن المملكة العربية السعودية

الأستاذ أحمد المانع، ومن تونس الأستاذ إبراهيم شبوح، ومن الجزائر المفكر المعروف مالك بن نبي وأحد الأخوة من الهند، وعدد من أبناء مصر، وقد اتفقنا على أن نتقدم إلى الأستاذ بطلب الاستفادة المنتظمة من علمه عن طريق تقديم درس أسبوعي ثابت، ولقد استجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا الطلب بأريحيته المعروفة وهيأ المكان لذلك بمقاعد الدراسة، وتحدد لها يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وكان أول يوم بدأ فيه العمل على تدرسينا هو يوم الثلاثاء الموافق ١٩/١٠/١٩٥٧م.

وكان الكتاب الذي ارتأى أستاذنا أن يقوم بتدريسه لنا هو كتاب «الأصمعيات»، ويتكون من مجموعة من القصائد الشعرية اختارها أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (١٢٢ ـ ٢١٦هـ) والكتاب مطبوع بدار المعارف المصرية بتحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر (شقيق الأستاذ) وعبد السلام هارون (أحد أقاربه) سنة (١٩٥٥م).

ولا أظن أنني في حاجة إلى الحديث عن المرحوم محمود محمد شاكر وعن علمه وآثاره، فقد تناول ذلك عدد كبير من الكتاب وبخاصة بعد وفاته، بالإضافة إلى ما كتب عنه من دراسات جامعية بعضها منشور يستطيع أن يطلع عليه أي قارئ، كما أن مكانته العلمية معروفة شهد له بها إنتاجه، ونوه بها معاصروه.

ويكفي أن نطلع على ما كتبه عنه الأستاذ «يحيى حقي» يوم أثار في مجلة (المجلة) المصرية موضوع ترجمة الشاعر الألماني

«جوته» لقصيدة «تأبط شرّاً» اللامية الشهيرة، وهي التي تجد الحديث عنها في كتاب الأستاذ «محمود شاكر»: «نمط صعب ونمط مخيف» الذي ضم فيه مقالاته التي كتبها حول تلك القصيدة. وما كتبه الدكتور «يحيى الرخاوي» في رثاء الفقيد تحت عنوان: «دروس معه عبر خمسين عاماً».

وكذلك ما كتبه الدكتور «زكي نجيب محمود» بعد اطلاعه على قصيدة «القوس العذراء»، التي اعتبرت قمة من قمم الشعر الحديث المرتبط بالتراث العربي الأصيل..

ولذلك، فإن من الأفضل في هذه الحالة أن أعود إلى العنوان الذي كتبته وهو المتعلق بالدفتر القديم. وهذا الدفتر هو أحد أربعة دفاتر كتبت فيها ما كان يلقيه علينا الأستاذ في دروسه ولم أترك شاردة ولا واردة في تلك الجلسات المباركة إلا وقيدتها، وحين أعود إليه الآن، فإنني أعود إلى منهل صاف من مناهل العلم ازددت فيه علماً، وعرفت فيه عدداً من الرجال الذين أعتز بهم، وأصبحت صلتي بهم كصلة النسب، لقد كانوا مقبلين على هذه الدروس، وقد أثرى نقاشهم وأسئلتهم تلك الحلقة الدراسية مما كان يدفع الأستاذ إلى تقديم المزيد من ذلك البحر الزاخر بالمعرفة مما تضمه جوانحه فيسهم النقاش في تقديم المزيد من ذخائره.

واليوم وبعد أربعين عاماً كاملة، وبعد وفاة الرجل الذي علمنا وفتح أمام أعيننا مجالات المعرفة بالثقافة العربية والتوجه إلى حماية الكيان العربي من كافة التعديات التي تنصب عليه من أعدائه باعتبار

أن الحرص على التراث العربي ورصيد الأمة العربية الثقافي هو المساند ـ تماماً ـ للدين الإسلامي العظيم الذي جاء كتاب الله الكريم بلسانها. . أعود اليوم إلى ذلك الدفتر القديم الذي بدأنا فيه الدروس الأولى مع أستاذنا.

ويجدر بي أن أوضح هنا المنهج الذي كان يتبعه الأستاذ خلال تلك الدروس. وكما وضحت، فإن كتاب «الأصمعيات» الذي بدأنا في دراسته هو مجموعة من القصائد التي اختارها الأصمعي، فكان أن اتخذ الأستاذ طريقة لعمله فريدة وذلك بأن يشرح القصائد منفردة أو يجمع بين بعضها إذا كان هناك ارتباط واضح بين قصيدة وأخرى، وغاب عن الرواة أن يجعلوا القصيدتين قصيدة واحدة كما حدث في القصيدتين رقمي **٢٥** لكعب بن سعد الغنوي و**٢٦** لغريقة بن مسافع العبسي، ثم يقوم بما يلي:

١ ـ تبيان مصادر القصائد في مظانها من كتب الأدب واللغة، وهو في هذا لا يغيب عنه أن يذكر حتى البيت المفرد إذا وجده في أحد المصادر.

٢ ـ الحديث عن الشاعر مع بيان موقع القصيدة في بقية شعره إذا كان له ديوان أو مجموعة وافرة من القصائد.

٣ ـ ترتيب أبيات القصائد اعتماداً على درايته بالشعر العربي وفهمه له، بحيث تحافظ القصيدة على وحدتها وتسلسل أفكار قائلها حتى إذا قرأها القارئ بعد ذلك أيقن أن هذا الترتيب هو الأقرب إلى الصواب وإلى طبيعة الكلام.

٤ ـ ثم يقوم بشرح الأبيات وتبيان معانيها بتفصيل كامل.

٥ ـ خلال الدرس يعرض علينا الأستاذ بعض المعلومات التي يستدعيها عرض معاني الشعر أو يرد على استفساراتنا، ولا نخرج من الجلسة إلا وقد زودنا بكثير من المختارات الشعرية العالية، أو قدر من المعلومات في التاريخ والحديث والتفسير إلى غير ذلك من مجالات المعرفة.

ففي الأصمعية السادسة وهي للحكم الخضري ومطلعها:

إلى ابن بلال جوبي البيد والدجى   بِزَيَّافَة إن تسمع الزجر تغضب

ذكر مواقع ترجمة الحكم في المصادر المختلفة، وذكر علاقته بغيره من معاصريه من الشعراء، وبيَّن لنا ما ذكره صاحب «الأغاني» عن هذا الشاعر فأوضح أنه كان شجاعاً له شعرٌ كثير، ولكنه كان خبيث اللسان، وذكر لنا أن ابن بلال الذي مدحه الحكم هو أسود بن بلال، وبيَّن أن ترجمته في تاريخ ابن عساكر **٣/ ٤٧** وتاريخ الطبري **٨/ ٢** و**٩/ ٢٦**، وقد ذكر لنا نبذة تاريخية بمناسبة الحديث عن الأسود فقال: في سنة **(٢٦هـ)** غَزَّى الوليد بن يزيد أخاه العمرو بن يزيد وأمره أن يسير إلى قبرص فيخيِّرهم بين السير إلى الشام إن شاءوا، وإن شاءوا إلى الروم فاختارت طائفة منهم جوار المسلمين، فنقلهم الأسود إلى الشام.



الأستاذ (١)

هذا الرجل تضيق الكتب عن الحديث عنه، فكيف بمقال لا يتجاوز صفحتين.

هو العالم الحقيقي في اللغة والأدب والشعر والتفسير والحديث والعقائد، وكثير من فنون العلم المتعلقة بذلك، وهو حارس التراث العربي الذي قدم لنا نماذج باهرة لكيفية تحقيق هذا التراث وتقديمه للناس على الصورة التي يجب أن يُقدَّم عليها، وكان نشاطه في هذا المجال سبباً في بروز عدد من المحققين منهم من درس على يديه وأخذ طريقته، ومنهم من قلد فجاء تقليده على غير ما هو مطلوب، وقد بلغ الأمر ببعض المقلدين ممن اسمهم قريب من اسمه أن ينحو جانباً باقي اسمهم المميز لهم فيقوم أحدهم بطبع كتب رديئة ويضع عليها أول اسمه وهو محمود شاكر دون أن يكمله، ثم يقلد الخط الذي اعتاد الأستاذ أن يكتب اسمه به إمعاناً في التعمية على الناس الذين وقع كثير منهم بذلك في وهم وأقبلوا على شراء تلك الكتب وهو ما يريده المقلد الذي سرعان ما كُشف أمره لأن الناس عرفت الفرق بين القمة والحضيض فاتجهت إلى القمة.

لفت العلامة محمود محمد شاكر الأنظار إليه منذ بداية حياته،

وحين كان شاباً صار يكتب المقالات في الصحف، يتناول فيها مناحي متعددة، وكان له اهتمام خاص بقضايا المغرب العربي التي استحوذت على قسم كبير من المقالات في تلك الفترة، وعندما طلبت منه مجلة المقتطف التي كانت من أشهر المجلات آنذاك أن يكتب لها مقالاً عن «المتنبي» كتب لها مقالاً استغرق عدد المجلة الصادر في سنة (١٩٣٦م) بكامله، وأصبح حديث الناس وزاد في شهرة الرجل.

وانشغل بعد ذلك في التحقيق وكان من أبرز أعماله فيه تفسير الطبري، وطبقات فحول الشعراء وعدد كبير آخر من كتب التراث، كان تحقيقه لها إحياء لما فيها من علم بفضل دراسته حولها والهوامش التي يضعها لها والعناية بالضبط والتصحيح.

❑ ❑ ❑

ترجع معرفتي بالأستاذ محمود محمد شاكر إلى سنة (١٩٥٧م)، حين رحلت إلى القاهرة لأول مرة من أجل الدراسة، وقد كتبت ـ سابقاً ـ في هذا الشأن ما يلي: «لقد فتح هذا الرجل العظيم بيته ومكتبه أمام عدد كبير من طلاب العلم من شتى البقاع، ومنحهم من علمه الغزير، ومن لطفه وكرمه الشيء الكثير. كنا مجموعة من محبي هذا الرجل، ومن محبي العلم والأدب، كان فينا أستاذ الجامعة، والطالب فيها، والدبلوماسي، والموظف الكبير بجامعة الدول العربية، واللاجئ السياسي بمصر، والكاتب الشهير، والموظف المرموق في الدوائر المصرية، وكان هذا الجمع يمثل دولاً مختلفة، منها من الكويت كاتب هذه السطور والمستشار عبد الله

علي العيسى، والأستاذ صالح العثمان، والأستاذ جمعة ياسين، ولم يكن الأستاذ في ذلك الوقت يعرف غيرهم، ومن الأردن الدكتور ناصر الدين الأسد، ومن فلسطين المرحوم المجاهد عبد الله التل، ومن سوريا المرحوم أحمد راتب النفاخ، والدكتور شاكر الفحام، ومن المملكة العربية السعودية الأستاذ أحمد المانع، ومن تونس الأستاذ إبراهيم شبوح، ومن الجزائر المفكر المعروف مالك بن نبي، وأحد الأخوة من الهند، وعدد من أبناء مصر، واتفقنا على أن نتقدم إلى الأستاذ بطلب الاستفادة المنتظمة من علمه عن طريق تقديم درس أسبوعي ثابت، ولقد استجاب رحمه الله لهذا الطلب بأريحيته المعروفة وهيأ المكان بمقاعد الدراسة، وتحدد لها يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وكان أول يوم بدأ فيه العمل على تدريسنا هو يوم الثلاثاء الموافق **١٩/ ١٠/ ١٩٥٧**م.

وكان الكتاب الذي ارتأى أستاذنا أن يقوم بتدريسه لنا هو كتاب «الأصمعيات»، ويتكون من مجموعة من القصائد الشعرية اختارها أبو سعيد عبد الله بن قريب الأصمعي **(١٢٢ ـ ٢١٦هـ)**، والكتاب مطبوع بدار المعارف المصرية بتحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر (شقيق الأستاذ) وعبد السلام هارون (أحد أقاربه) سنة **(١٩٥٥م)**»[١].

ولا أظن أنني في حاجة إلى الحديث عن المرحوم محمود

---

(١) كان من الواجب أن نعيد هنا هذا الحديث على الرغم من أنه مر بنا في المدخل.

محمد شاكر وعن علمه وآثاره، فقد تناول ذلك عدد كبير من الكتاب وبخاصة بعد وفاته، بالإضافة إلى ما كتب عنه من دراسات جامعية بعضها منشور يستطيع أن يطلع عليه أي قارئ. كما أن مكانته العلمية معروفة شهد له بها إنتاجه، ونوه بها معاصروه، ويكفي أن نطلع على ما كتبه عنه الأستاذ «يحيى حقي» يوم أثار في مجلة (المجلة) المصرية موضوع ترجمة الشاعر الألماني «جوته» لقصيدة «تأبط شرّاً» اللامية الشهيرة، وهي التي تجد الحديث عنها في كتاب الأستاذ «محمود شاكر»: «نمط صعب مخيف» الذي ضم فيه مقالاته التي كتبها حول تلك القصيدة. وما كتبه الدكتور «يحيى الرخاوي» في رثاء الفقيد تحت عنوان: «دروس معه عبر خمسين عاماً» وكذلك ما كتبه الدكتور «زكي نجيب محمود» وغيرهم[1].

❑ ❑ ❑

في اليوم الأول من شهر نوفمبر لسنة (٢٠٠٧م) صدرت مجلة «العربي» وفيها مفاجأة سارة لي، ذلك أنها نشرت مقابلة مع الأستاذ أجرتها الأستاذة سعدية المفرح في ديسمبر لسنة (١٩٨٩م) عندما كان في إحدى زياراته للكويت. وقد أدارت الأخت سعدية معه حديثاً طويلاً تناول كثيراً من المحاور، وقد أخذ حديثه عن الأديب يحيى حقي كثيراً من صفحات هذا اللقاء فقد كان صديقه العزيز.

ثم تحدث عن تلاميذه من الكويتيين وأثنى عليهم بعد أن

---

(١) لا نعتبر هذا الحديث تكراراً لما ورد في المدخل؛ لأنه جزء من المقال الذي نوهنا عنه.

ذكرهم واحداً واحداً، وأود أن أؤكد هنا أن من لم يذكره الأستاذ ليس من هؤلاء وإن حاول التعلق بالركب، ولكني أضيف إليهم الأخ جمعة ياسين الذي يبدو أن تحريفاً حصل لاسمه فجاء في المقابلة على أنه: عمر، والأخ المرحوم جاسم المطوع، والأخوين الدكتور مرزوق يوسف الغنيم وعبد الله يوسف الغنيم وقد فات شيخنا ذكرهم وربما كان يريد ذكر القدماء منهم، الذين حضروا دروسه.

وتحدث عن الشاعر الكبير محمود حسن إسماعيل، وأثنى على إنتاجه الشعري، وأكد أن شاعريته أكبر من الشعر الذي أنتجه، وأنه لم يقل كل ما في نفسه من شعر إلى أن توفى.

لقد كان اللقاء مفيداً ومليئاً بالمعلومات، ومع شكري للأخت سعدية، أحمد الله أنها اهتدت إلى الشريط الذي يحوي كل ذلك بعد أن فقدته مدة طويلة.

نبذة عن مسيرة العلامة محمود محمد شاكر:

ولد محمود محمد شاكر في مدينة الإسكندرية المصرية في اليوم الأول من شهر فبراير لسنة (١٩٠٩م). وعُيِّن والده وكيلاً للأزهر الشريف في صيف السنة نفسها وبذلك انتقلت الأسرة بما فيها شيخنا إلى القاهرة، تدرج في دراسته إلى أنْ تخرج في المدرسة الخديوية الثانوية، ومنها التحق بالجامعة التي لم يستمر فيها لخلاف كبير نشب بينه وبين الدكتور طه حسين بسبب آراء هذا الأخير في الشعر الجاهلي، وذلك وارد بكل وضوح في كتاب «أباطيل وأسمار» الذي ألفه ونشره الشيخ في سنة (١٩٦٥م)، ومنذ سنة (١٩٢٢م) كان

ملازماً للعلامة الشيخ سيد بن علي المرصفي الذي كان يلقي دروساً في كتاب «شرح الكامل» للمبرد و«حماسة أبي تمام» وبعض القصائد التي يختارها لكي يقرأها على تلاميذه. وقد استمرت علاقة الشيخ محمود بالمرصفي حتى وفاة هذا الأخير في سنة (١٩٢٥م).

بعد انسحابه من الجامعة هاجر إلى جدة حيث أنشأ مدرسة جدة الابتدائية بناء على طلب الملك عبد العزيز آل سعود، واستمر شيخنا في جدة حتى سنة (١٩٢٩م) حيث عاد إلى مصر وانصرف إلى كتابة المقالات في مجلتي «الفتح» و«الزهراء» اللتين كان أستاذنا محب الدين الخطيب يصدرهما آنذاك.

كانت له صلات قوية مع عدد من كبار العلماء والأدباء، وكان له عدد من الأصدقاء الشبان الذين برزوا فيما بعد. ثم اتسع مجال كتاباته، فنشر مقالاته في مجلة المقتطف منذ سنة (١٩٣٢م)، وبعدها نشر في مجلة الرسالة مقالات كثيرة، ثم تعرف على السياسي الشهير فتحي رضوان الذي استعان بالشيخ محمود محمد شاكر في الكتابة في مجلته «اللواء الجديد».

توقف الأستاذ عن كتابة المقالات بعد توقف مجلة «الرسالة» في سنة (١٩٥٢م) وتفرغ للتأليف وتحقيق المخطوطات، وأنجز ستة عشر جزءً من تفسير الإمام الطبري، وحقق كتاب «طبقات فحول الشعراء» وغير ذلك، وفي هذه السنة نشر قصيدته «القوس العذراء» التي نالت اهتماماً كبيراً وأعاد نشر كتاب المتنبي بعد أن توسع فيه وكان قد نشره في عدد من أعداد مجلة المقتطف، وأنجز بعد ذلك كتباً قيمة أخرى منها ما هو تحقيق، ومنها ما هو تأليف، وشارك في

كثير من المؤتمرات في خارج مصر، وألقى محاضرات في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وانتخب عضواً في مجمع اللغة العربية بمصر، والمجمع العلمي العربي بدمشق.

ولقد تعرض للأذى الشديد في عهد جمال عبد الناصر، حيث اعتقل مرتين كانت مدة الأولى تسعة شهور بدأت في اليوم التاسع من شهر فبراير لسنة (١٩٥٩م) وانتهت في شهر أكتوبر للسنة نفسها، وصادف وجودنا ـ آنذاك ـ في مصر فكنا نزوره في السجن الحربي، ولم نكن نحن تلاميذه الكويتيين وهم كاتب المقال والأخوة عبد الله علي العيسى، وجمعة محمد ياسين، وصالح العثمان، لم نكن ننقطع عن هذه الزيارة، وكنا نبقى عنده حتى نصلي الجمعة معه في زاوية من زوايا ذلك السجن الكئيب.

وكان الاعتقال الثاني أشد لأنه بلغ ثمانية وعشرين شهراً، ولقي فيه من الأذى ما لا يوصف، وكان مجهول الموضع لم يعرف أحد مكانه حتى خرج من المعتقل، كان ذلك منذ اليوم الحادي والثلاثين من شهر أغسطس لسنة (١٩٦٥م) حتى اليوم الثلاثين من شهر ديسمبر لسنة (١٩٦٧م).

عاد بعد ذلك إلى نشاطه العلمي، واستمر فيه وقام بزيارات لعدد من البلدان العربية منها الكويت وحصل على جائزة الدولة التقديرية من بلده، وجائزة الملك فيصل بن عبد العزيز من المملكة العربية السعودية.

ثم توفي رَحِمَهُ اللهُ في اليوم الثامن من شهر أغسطس لسنة (١٩٩٧م).

أصدر عدد من محبي العلامة محمود محمد شاكر سفراً كبيراً بمناسبة بلوغه سن السبعين في سنة (١٩٧٩م)، ولكن هذا السفر لم ينشر إلا في سنة (١٩٨٢م)، وذلك لكثرة كتابه، وضخامته. وقد بُدئ فيه بمقدمة عن حياته ومؤلفاته، ثم ضم عدداً من البحوث المتعلقة بأعماله، ونذكر منها بحثاً للدكتور إحسان عباس تحت عنوان «القوس العذراء» وقد درس الدكتور إحسان هذه الملحمة دراسة جيدة وقدمها للناس بالصورة التي أرادها مبدعها. وهناك بحث آخر للدكتور إحسان، النص عنوانه: «نموذج في تحقيق المرويات الأدبية»، وبحوث كثيرة ذات قيمة كبرى تضمنها السفر الذي أشرنا إليه، ويصعب علينا إيراد تفصيل عنها هنا.

وبعد وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ نشر الدكتور عادل سليمان جمال موسوعة مكونة من مجلدين تحت عنوان: «جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر» تضمنت كافة ما كتب في المجلات منذ سنة (١٩٤٣م) حتى سنة (١٩٨٢م) وكانت آخر مجلة كتب بها هي مجلة العربي الكويتية، وما عمله الدكتور عادل جهد يشكر عليه، وكنت أتمنى أن يُجري اتصالاً مع أخي الأستاذ جمعة ياسين، فقد كتب بخط يده وفي حياة الأستاذ، وأمام ناظريه كثيراً من المقالات، وربما كان عنده شيء لم يرد في «الجمهرة»، وما كنت أظن أن الدكتور سوف ينحو منحى الدكتور الرضواني في استبعاد الكويتيين من تلاميذ الأستاذ محمود محمد شاكر. كما سوف نشير إليه فيما بعد.

❑ ❑ ❑

صدرت عن شيخنا دراسات بعضها كان في أثناء حياته، وبعضها صدر بعد وفاته، ومنها دراسات جامعية نال بها كاتبوها شهادات الماجستير والدكتوراه لأن إنتاجه ومجالسه العلمية مما يثري أي بحث من هذا النمط. ومما صدر من ذلك كتاب ألفه شخص اسمه محمود إبراهيم الرضواني، بعنوان: «شيخ العربية وحامل لوائها: أبو فهر محمود محمد شاكر بين الدرس الأدبي والتحقيق» ووراء هذا العنوان الطويل جداً كتاب كبير الحجم بلغ خمسمائة صفحة مع الفهارس. وقد اجتهد المؤلف في أن يقدم كتاباً جديراً بمحمود محمد شاكر، ولكنه كان ناقص المعلومات فهو عندما ذكر جلسات الدرس عند الأستاذ عَدَّدَ أسماءً بعضُها كان يحضره، وبعضها لم يكن يحضر وإنما كان يزور الأستاذ عند قدومه إلى مصر في فترات متباعدة، وأنا أقصد هنا الفترة التي بدأت في سنة (١٩٥٧م)، ولم ترض نفس المؤلف الرضواني بأن يذكر واحداً من أبناء الكويت الذين كانوا منتظمين في حلقات الدرس منذ بدأت إلى أن تم اعتقاله ـ ظلماً ـ في سنة (١٩٥٩م)، وقد ذكرهم شيخهم في المقابلة التي أجرتها معه الأخت سعدية المفرح في الكويت، وأشرنا إليها قبل قليل.

لا أريد هنا أن استعرض الكتاب ولكني أرى أن المؤلف الذي تفوته جزئية كهذه لابد وأن يشوب عمله شيء من الاضطراب، والله أعلم.

إلا أن خير من تحدث عن الشيخ وعن مجلسه الثري بالعلم

والأدب وبه وبالناس الذين يحضرون عنده هو أخي المرحوم الدكتور محمود الطناحي، فقد كتب عن ذلك في مقدمة كتاب أعدته الأخت المرحومة عايدة الشريف تحت عنوان «محمود محمد شاكر، قصة قلم» وكان من حظنا أن يكون الدكتور الطناحي هو كاتب المقدمة، أما الكتاب والكاتبة فلها موضوع آخر سوف يأتي إن شاء الله.

يقول الدكتور: «أي رجل كان محمود محمد شاكر، وأي مجلس كان مجلسه؟ وأي أنس كان يشيع في هذا المجلس، وأي علم كان يتفجر في رحابه؟ وللناس أن يتكلموا عن علم محمود شاكر ما شاء الله لهم أن يتكلموا، ولكن الحديث عن مجلسه مما ينبغي الوقوف عنده وتأمله، لقد قلت في بعض ما كتبت، إنه لم يحظ أحد من أدباء هذا الجيل بمعشار ما حظي به محمود شاكر من حبّه والإلتفاف حوله والأخذ عنه والتأثر به».

والدكتور الطناحي في هذا المجال يستشهد ببيتين من الشعر فيهما الدلالة على فجيعتنا بفقد شيخنا، ويستشهد ـ كذلك ـ بقول السياسي المصري العريق فتحي رضوان عن بيت الشيخ: «كان بيته ندوة متصلة لا تنفض». أما البيتان فهما:

لقد كنتَ في قوم عليك أشحَّة   بنفسك، إلا أن ما طاح طائح
يودون لو خاطوا عليك جلودهم   ولا تدفع الموت النفوس الشحائح

ولئن كان هذان البيتان يعبران أصدق تعبير عن الحال فإن ما كتبه الدكتور الطناحي هو قول أقرب ما يكون إلى الشعر من حيث تعبيره عن إحساس صادق ومحبة غامرة.

الأستاذ (٢)

هذه هي بقية ما بدأناه في رقم (١). وكنا قد تحدثنا في آخر القسم السابق عن الذين كتبوا عن الشيخ، وهنا استئناف لذلك الحديث:

أما الأخت عايدة الشريف، فتكاد تكون هي المرتادة الوحيدة من النساء لهذا المجلس، ولقد كانت مداومة على الحضور كل يوم جمعة، ومشاركة في الأحاديث التي تدور ولم تكن ترى فينا جميعاً إلا إخوة لها نشاركها المجلس والإعجاب بصاحبه.

بدأت صلتها بأسرة الأستاذ في سنة (١٩٧١م) وارتبطت بهذه الأسرة الكريمة إلى أن سبقت بالوفاة في اليوم الثالث من شهر إبريل لسنة (١٩٩٧م) رحمها الله، ولقد كانت صلتها بالأستاذ وأسرته من أقوى الصلات، وقامت بأداء فريضة الحج في سنة (١٩٧٢م) مع الأسرة حينما كان الأستاذ وأهله في زيارة للكويت. وقد أحبت البقاء والعمل هنا فَتَمَّ قبولها موظفة في إدارة النشاط المدرسي بوزارة التربية، وقد كانت ذات نشاط كبير قبل ذلك فهي متخرجة من معهد الفنون المسرحية بالقاهرة، وكانت تعمل زمناً في مؤسسة السينما هناك تحت قيادة الروائي المشهور نجيب محفوظ وكانت ـ أيضاً ـ كاتبة لها نشاط صحفي كبير، ولها كتاب قبل كتابها هذا عنوانه «شاهدة ربع قرن».

وعندما داهمها المرض بعد عودتها من الكويت إثر استقالتها من عملها هنا لم تجد أرحب من بيت الأستاذ ولا أكرم منه يؤويها فتجد فيه ما يخفف آلامها. وقد لقيتُها هناك عند زيارتي للقاهرة بعد تحرير الكويت فوجدت آثار المرض بادية عليها من حيث الضعف الجسماني الماثل.

يتكون كتابها «محمود محمد شاكر، قصة قلم» الذي ألفته عايدة الشريف من ثمانية فصول يبدأ بفصول أربعة تتحدث فيها عن معرفتها به قبل أن تراه وذلك بعد أن قرأت آثاره التي كتبها وسمعت أحاديث جلسائه عنه. وضمن هذا الباب تحدثت عن شخصيته الفذَّة، وما جرى له في بداية حياته، وعن أسلوبه ومعاركه الأدبية، ومهاجمته الدعوة إلى العامية.

أما الفصل الخامس فهو عن بداية لقائها به، وتناول الفصل السادس ما دار بينهما من مناقشات حادة، وضعت تحت عنوان: «معركة مع البحر المتلاطم» وتناول الفصل السابع سرداً تاريخياً، أما الفصل الثامن فكان عن منهج محمود شاكر في تذوق الشعر.

كأني بهذه المرأة الكريمة كانت تلهث نحو إنجاز كتابها وهي في أخريات أيامها وقد أضناها المرض الذي كان يشدد وطأته عليها وقتاً بعد آخر، وقد ارتاحت بعد أن أنهت كتابة ما كتبت فهي ترى أن هذا الأمر دَيْن عليها ينبغي أن تؤديه تقديراً للرجل ورداً على كل الذين ناوأوه، وحفظاً لتاريخه بين الناس.

وهنا نصل إلى قول الدكتور محمود الطناحي: «اكتشف شقيقها

الكاتب الصحفي يوسف الشريف بعد رحيلها أنها خلفت وراءها كتاباً جاهزاً للنشر عن الأستاذ محمود شاكر، كانت قد استكملت سطوره قبل رحيلها بثلاثة شهور».

وقد نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة «كتاب الهلال» في شهر نوفمبر لسنة (١٩٩٧م). ولقد كان آخر ما كتبت فيه هو قولها: «عجلت باللمسات الأخيرة لهذا الكتاب بينما أستاذي محمود شاكر نزيل غرفة الإنعاش بمستشفى النزهة الدولي حتى انتهيت من مهمتي بحمد الله فجر الأول من ابريل عام (١٩٩٧م)، وكلي أمل أن أتمكن من إصدار الكتاب في أقرب فرصة، واهدائه إلى السيدة الفاضلة «أم فهر».. الزوجة الراضية الصبور التي تفهمته وغمرته بالحب، ووفرت له أبواب الرعاية والإبداع، وأنجبت له ولنا خير خلف لخير سلف، ووسع كرمها ومودتها أصدقاءه ومريديه وقاصديه من طلاب العلم».

❑ ❑ ❑

كنا ـ نحن تلاميذه ـ نتوق إلى زيارته لنا في الكويت، وكان هو يبادلنا الشعور نفسه، ولكن الظروف التي أعقبت خروجه من المعتقل الثاني لم تكن تسمح له بالخروج من مصر لأن ذوي الرأي كانوا ممنوعين من الخروج.

ولكن الفرصة سنحت بعد ذلك فجاء إلينا، وكانت زيارته عيداً لنا جميعاً، وشاركنا عدد كبير من أبناء الكويت الذين كانوا يسمعون عنه وعن علمه وفضله ولكنهم لم يروه، وكذلك الذين كانوا يقرؤون له ما يكتب من بعيد وقد كان سكنه في رحلته الأولى في بيت الأخ الكريم الأستاذ جمعة ياسين، الذي تحول بيته إلى مزار، وقد كان

عدد الزوار كبيراً، وكان الذين يتحرجون من الزيارة أكثر، وكنا نسهر كل ليلة، ونصحبه في الصباح إلى الأماكن التي يود زيارتها.

تكررت زياراته للكويت حتى بلغت خمس زيارات إحداها بدعوة من قسم التراث بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. وكان في جميع زياراته معلماً في جلسات يعقدها محبوه فيستفيدون منه كثيراً، يحضر إليه العدد الكبير من محبي الأدب واللغة، ومن الذين لهم رغبة في الاستزادة من العلم. وقد زار بعض المؤسسات التعليمية واجتمع برجالها ومن هذه المؤسسات معهد التربية للمعلمين، ومدرسة عبد الله السالم الثانوية حين كان الأستاذ جمعه ياسين مديراً لها، وجمعية المعلمين، بالإضافة إلى الزيارات الشخصية لعدد ممن دعاه إلى زيارته.

وكانت زياراته الخمس إلى الكويت كما يلي: الأولى منها في اليوم الأول من شهر يناير لسنة (١٩٧١م)، والثانية في اليوم الأول من شهر يناير لسنة (١٩٧٢م)، وقد حضرت معه فيها السيدة زوجته مع ابنه فهر وابنته زُلفي، كما صحبتهم الأخت المرحومة عايدة الشريف التي ورد ذكرها فيما سبق، وبعد إقامة قصيرة توجهوا جميعاً إلى الحج بترتيب من الأخ الأستاذ جمعه محمد ياسين، وعندما عادوا بعد أداء الفريضة أقاموا بيننا فترة ثم غادروا إلى القاهرة. وكانت الزيارة الثالثة في اليوم الأول من شهر ديسمبر لسنة (١٩٧٩م)، وقد أقام الأستاذ في الكويت فترة كان خلالها سعيداً لما وجده من اهتمام أبنائه به، وكذلك اهتمام غيرهم ممن لم يره فيما

مضى من وقت، وكان سعيداً ـ أيضاً ـ لأنه رآى بعينه تآلف تلامذته والتفافهم حوله، وقد كتب لي بعد وصوله إلى القاهرة رسالة مطوّلة جداً تحدث فيها عن انطباعاته، وعن آماله لنا.

وكان قد كتب هذه الرسالة في الثاني والعشرين من شهر يناير لسنة (١٩٨٠م)، وجاء في جزء منها قوله: «أيام اختلستها من صندوق الدنيا، كلما طويتُ يوماً، أسفر الذي يليه عن أبهج طلعة، ثم انقضت مسرعة، وبقيت أحلاماً، أراها فتزيدني شوقاً إليها، وإلى تجدُّدها مرة بعد مرة إن شاء الله. وأكبر ما سرني وأرضاني، أنِّي فوجئت بك رجلاً آخر غير الذي عرفته مرات قبل ذلك، وكنت قبل أن أنوي السفر، أخشى أن أجدك قد تجعدت نفسه، فإذا هو قد انبسط منها ما كان منقبضاً، وازدادت رُحباً واتساعاً، وأضاءت جوانبها، وأسفرت عن كثير كان يتلثَّم محتجباً بحجاب لا يكاد يشف عن حقيقته، فالآن زالت خشيتي، وعلمت أنه قد أفلت من المأزق إلى فضاء رحيب، لا يعوقه إن شاء الله شيء عن الحركة حيث شاء، وكيف شاء. فالحمد الله الذي أزال خشيتي، وأنزل على قلبي الرضا والطمأنينة».

وهذا جزء يسير من الرسالة، وهو يدلنا على ما كان يهتم به من أمورنا نحن تلاميذه كافة.

وجاء بعد ذلك الغزو العراقي الغاشم فهزَّ شيخاً هزاً عنيفاً لأنه لم ير فيما حدث إلا تحطيماً لوحدة الأمة، وإيذاء لأناس مسالمين لم يُؤذوا أحداً في حياتهم، وكان يدعو بعد صلاة الفجر على الظالم

الذي تولى كبر هذه الجناية واستمر في دعائه إلى أن تم تحرير الكويت، فعادت الابتسامة إليه، وقرر أن يأتي ليقدم التهاني بهذه المناسبة، وقد حضر في زيارته الخامسة في اليوم الثامن من شهر ديسمبر لسنة (١٩٩٢م).

ولم يكن خلال الفترات السابقة أو اللاحقة بعيداً عن الكويت فقد كانت زياراتنا إليه لا تنقطع، كما أن مراسلاته ماضية بصفة مستمرة، إلى أن أثقله المرض، وأصبح غير قادر على المتابعة.

❑ ❑ ❑

زرته بعد تحرير الكويت ووجدت أن التعب قد بدأ يتسلل إليه، وأنه يعاني من المرض وكان في بيته يتلقى العلاج على يد طبيب يحضر إليه، ولكنه بدأ يتراجع صحياً فنقل إلى المستشفى وبقي فيها إلى أن توفي، وعن هذه المرحلة سوف يتحدث إلينا الأخ المرحوم جاسم المطوع في موضع آخر.

وكانت وفاته صدمة كبيرة لنا، والتف محبوه حول الجلسة التي عقدت في كلية الشريعة بجامعة الكويت، حيث شارك عدد كبير من تلامذته ومن المعجبين بعلمه وبقدراته الفائقة، فأَبَّنُوه، وتذكروا فضائله، فتحدث في ذلك اللقاء كل من كاتب هذه السطور، والأستاذ جاسم المطوع، والأستاذ جاسم الدوسري، والدكتور محمود الطناحي، والأستاذ عبد الحميد البسيوني، والشاعر مبارك الهاجري، والشيخ عبد الرحمٰن عبد الخالق، والدكتور عبد الرزاق الشايجي، والشيخ محمد بن ناصر العجمي، والدكتور عبد الله محارب، والأستاذ حاكم المطيري، والأستاذ حامد العلي.

وقد صدر كتيب في اليوم الحادي عشر من شهر أكتوبر لسنة (١٩٩٧م) تضمن الكلمات والقصائد التي قيلت في هذه الجلسة، التي أعطت الأستاذ حقه وَذَكَّرت بما قدمه لأبنائه الكويتيين وغيرهم، وما قدمه لدينه ولغته وأمته بصفة عامة.

❑ ❑ ❑

أشرت إشارة عابرة إلى حديث الأخ المرحوم جاسم المطوع خلال جلسة استذكار شيخنا المرحوم محمود شاكر في كلية الشريعة بجامعة الكويت في مساء يوم السبت الحادي عشر من شهر أكتوبر لسنة (١٩٩٧م)، وهنا أورد بعضاً مما قاله أخي جاسم في تلك الليلة:

«قبل ثلاثة أشهر تقريباً اتصل بي الأخ والصديق الدكتور يعقوب الغنيم وقال لي بالحرف الواحد إن الديوان الأميري قد حدد لنا موعداً لمقابلة صاحب السمو أمير البلاد، وكان الغرض من هذه المقابلة الكريمة هو ما عرف عن لفتات صاحب السمو أمير البلاد الكريمة في مدَ يد العون لكل محتاج، فقد أدخل العالم الجليل الأستاذ محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ إحدى المستشفيات الخاصة في القاهرة ونظراً للتكاليف العالية لهذا المستشفى الخاص ولما يتمتع به الراحل الكريم من مكانة علمية في قلوب أبنائه ومريديه من أهل الكويت الذين اتفقوا على إرسال وفد لصاحب السمو الأمير لعرض الأمر عليه وتشكل الوفد من الدكتور يعقوب الغنيم والمستشار عبد الله علي العيسى وكاتب هذه السطور وكنا نعلم جيداً أن صاحب السمو سيتحمل تكاليف هذا العالم الجليل فهذا ما عرف عن سموه وفي

الموعد المحدد للقاء سموه استقبلنا ببشاشته المعهودة حيث قام الدكتور يعقوب الغنيم والمستشار عبد الله علي العيسى بشرح موضوع الزيارة وهو تكاليف علاج الأستاذ شاكر وقد استمع سموه لكل ما قيل في حق هذا العالم الجليل وما إن انتهى أعضاء الوفد من طرح ما جاؤوا لأجله حتى بادرهم صاحب السمو بقوله إنه لا يعرف الأستاذ محمود شاكر ولكن ما دمتم أنتم قد زكيتموه فعليكم الذهاب لعبد الرزاق المشاري ليقوم بمهمة تحمل تكاليف العلاج المطلوبة وهكذا بكلمات موجزة ومعبرة استطاع صاحب السمو كعادته أن يخفف من أعباء أسرة كريمة وأن يجعل للكويت السبق في مضمار الخير.

لقد خرجنا من عند سموه وقد أزحنا عن كواهلنا عبئاً كبيراً لم نكن قادرين على تحمله لولا يد كريمة حانية حملته عنا هي يد صاحب السمو الأمير فجزاه الله خير الجزاء.

وبعد خروجي وزملائي أعضاء الوفد من قصر بيان اتصلت مباشرة بالأستاذ محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأزف هذه البشرى فلم يتمالك نفسه فبكى متأثراً من الفرح ليس لأن أبناءه ومريديه من أهل الكويت سعوا للتخفيف عنه ولكن لأن الاهتمام جاء باسم الكويت وبشخص أميرها، وقد كان لهذا أبلغ الأثر في نفسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد أحس قبل وفاته بتقدير الكويت للعلم والعلماء وهو الذي كان يعرف ذلك عنها جيداً من قبل.

لقد عرفت الأستاذ محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبل سبعة وعشرين عاماً تقريباً زرته لأول مرة في منزله فوجدت بحراً زاخراً يغنيك ساحله قبل أعماقه، وقد تحسرت على تلك السنوات الأربع التي أمضيتها في الشقيقة مصر ولم أتعرف على هذا العالم الجليل إلا بعد تخرجي

وبدأت أحسد الذين نهلوا من علمه وسبقوني إلى فضله من الأصدقاء، وبدأت أتعرف عليه جيداً عندما بدأ يزور الكويت فكنت أمضي معظم الوقت إلى جانبه وتوثقت صلتي به كبقية الذين سبقوني إليه فأنت قد تعرف محمود شاكر العالم والمحقق والأستاذ والكاتب والمفكر من خلال ما تطالعك به كتبه القيمة ومقالاته الشيقة ولكنك لا تعرف محمود شاكر الإنسان الوديع الكريم البسيط وغيرها من الصفات الإنسانية ما لم تزره أو يزرك وعندها تستطيع أن تنسى أنك أمام عالم، فذٍّ، أستاذ جليل، ومفكر عظيم، وقد عرف فيه الكويتيون هذه الصفات قبل غيرهم فأحبهم وأحبوه، إنه يتصل بك في الصباح ليقول لك: «أتغدى عندك اليوم فلا تملك إلا القبول فهذا شرف نتمناه ونسعى من أجله».

لقد عشنا معه أياماً جميلة وممتعة تتلمذنا على يديه وما زلت أتذكر عند كل زيارة له للكويت كيف يكون وجوده بيننا فرصة ثمينة ليس في لقائه والاستمتاع بعلمه فحسب بل فرصة كي نلتقي ببعضنا بعضاً فنحن أحباء الأستاذ محمود شاكر وأبناءه ومريديه سوف نفتقده مرتين، مرة وهو ليس بيننا بعد أن غيبه عنا الثرى ومرة أخرى حين يفرقنا غيابه بعد أن كان يجمعنا حضوره.

لقد أحب الأستاذ محمود شاكر الكويت من خلال علاقاته الحميمة بأبنائه ومريديه الكويتيين وكان كثير السؤال عنهم فما أن يزوره أحدهم في منزله حتى يسأل زائره عنهم واحداً واحداً وكان يحتفي بهم أكثر من غيرهم لدى زيارتهم له كما كان يتحمل مشاق السفر والتنقل كي يسعد بلقائهم الذي لم يكن لقاء مجاملة بل لقاء والد بأولاده

ولم تقتصر العلاقة بينه وبين أبنائه من أهل الكويت عليهم بل تعدت ووصلت إلى أسرهم فما أن يقوم الأستاذ محمود شاكر بزيارة أحدهم في بيته حتى تلتف بقية الأسرة حوله وتراه أكثر حُنُوّاً على الصغار حتى من ذويهم وأذكر أنه عندما كان يقوم بزيارتي في بيتي كنت أراه مشغولاً بمداعبة الصغار من الأولاد فتراهم أكثر التصاقاً به والتفافاً حوله طرباً بمجيئه فكان يضفي على الدار جواً من البهجة والسرور والمرح كما أنه لم يشعر في يوم من الأيام أنه غريب عند زيارته الكويت بل على العكس تماماً فتراه يتبسط مع أهل الدار وكأنه واحد منهم ولم نعتبره في يوم من الأيام ضيفاً عابراً أو زائراً بقدر ما كنا نعتبره جزءً مكملاً لعائلاتنا، زياراته القصيرة لنا كانت أشبه بالحلم الجميل الذي سرعان ما ينتهي، وما أجمل تلك الأيام التي نسمعه فيها يهاتفنا أنه سيقوم بزيارة الكويت فما أن يحدد موعد الزيارة حتى يبدأ الأخوة من الأصدقاء بتكليفي بوضع ترتيبات الزيارة من حجز الفندق وعملية الاستقبال في المطار فما أن يستقر به الحال حتى يمتلئ جناحه بالزائرين، وسرعان ما يتحول إلى منتدى فكري يومي يناقش فيه كل ما يدور في عالمنا العربي وكان هو الفارس الذي لا يشق له غبار والبحر الذي ليس له قرار، وما أجل تلك الأيام التي كنا نقوم فيها بزيارته في بيته (بمصر الجديدة) فما أن تهاتفه معلناً عن وصولك إلى القاهرة حتى يبادرك على الفور: «ما تتأخرش على الغدا».

وما أمتع تلك اللحظات حين تطلب منه أن يقرأ لك إحدى القصائد المختارة؛ فيستجيب لك ثم يقوم من فوره ليحقق لك ما طلبت منه.

بداية عرض الشعر

من هنا أبدأ بعرض ما دار في جلسات الدرس من شرح لقصائد الأصمعيات، وهي دروس لم تستوعب كل القصائد كما كان متوقعاً وذلك للظروف التي مر بها الأستاذ فقد كانت آخر قصيدة درسناها على يديه هي القصيدة التاسعة والعشرون، وكانت قصيدة دريد بن الصمة التي يقول في مطلعها:

يا راكباً إما عرضت فبلغن أبا غالب أنْ قد ثأرنا بغالب

وكانت بداية دراستها في اليوم الخامس عشر من شهر مارس لسنة (١٩٥٨م)، وبعدها انقطعنا للدراسة والاستعداد للامتحانات كما هي العادة، ولم نلبث بعد ذلك قليلاً ـ وقبل أن نبدأ دراسة الأصمعيات من جديد ـ حتى فاجأنا أمر لم يكن في حسبان أحد منا، ذلك أن الأستاذ اعتقل في اليوم التاسع من شهر فبراير لسنة (١٩٥٩م)، الأمر الذي أشرت إليه في البداية.

إذن فمجمل ما درسناه هو تسع وعشرون قصيدة من الأصمعيات تضاف إليها قصيدة واحدة من قصائد الأخطل الشاعر الأموي المشهور التي مطلعها:

خف القطين فراحوا منك أو بكروا وغيرتهم نوى في صرفها غير

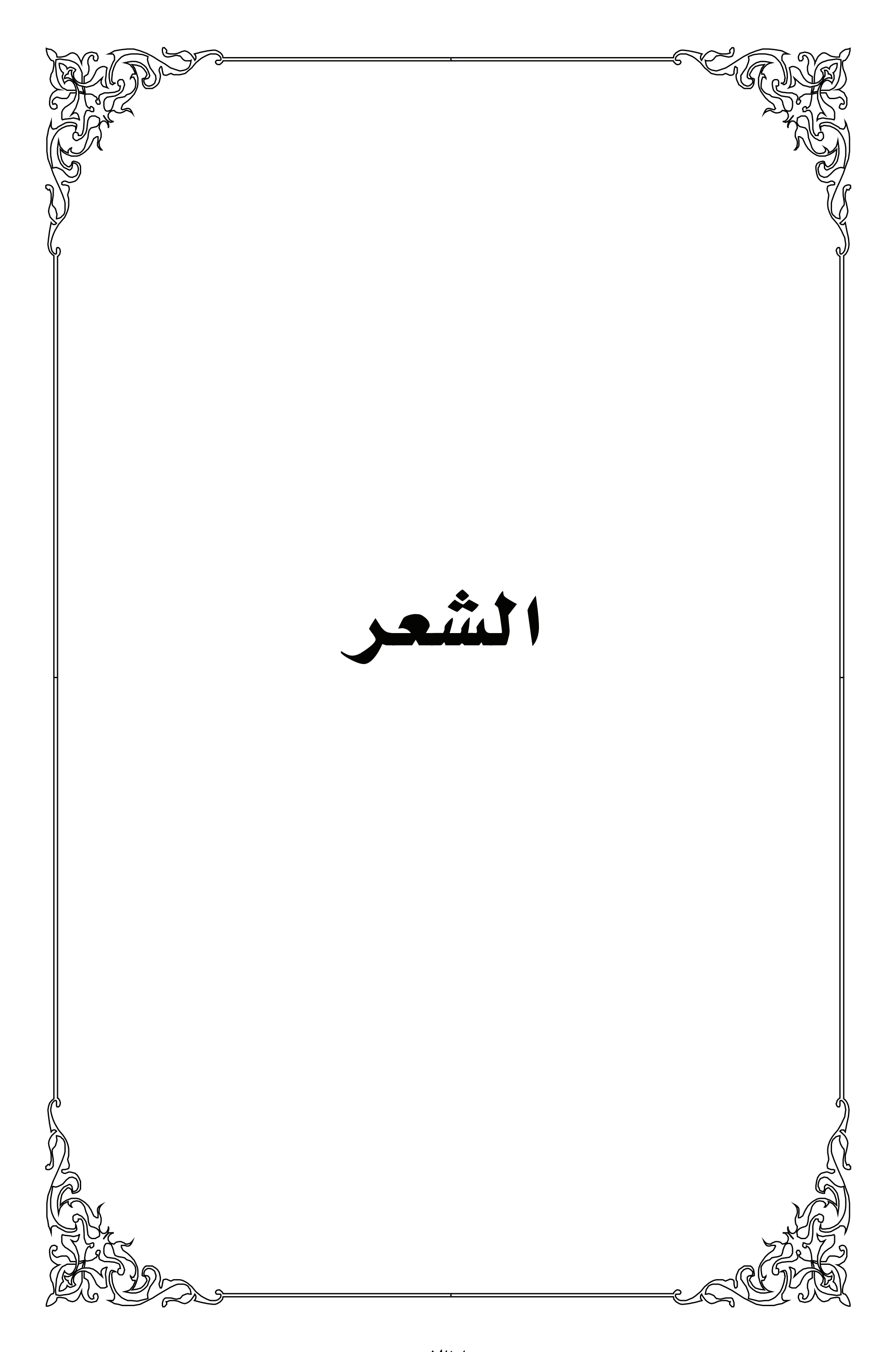
كان درس الشيخ للشعر يتميز بصفات مهمة يقلّ أن تجدها عند

غيره. فهو يقرأ القصيدة كاملة، وفي هذه الحالة يتمثل حالة الشاعر عند إلقائها، فكأنه هو قائل الشعر يعبر به عن نفسه، وعن مشاعره، إنه يضع نفسه في موضع الشاعر ويتحدث نيابة عنه، وهو قبل ابتدائه القراءة يستحضر جو القصيدة ويبيّن السبب الذي دفع الشاعر إلى صياغتها وكل هذه أمور مهمة لا تقل ـ في درسنا ـ عن حرصه على بيان معاني الألفاظ، والدلالة على نواحي الجودة في الأساليب الشعرية المطروقة.

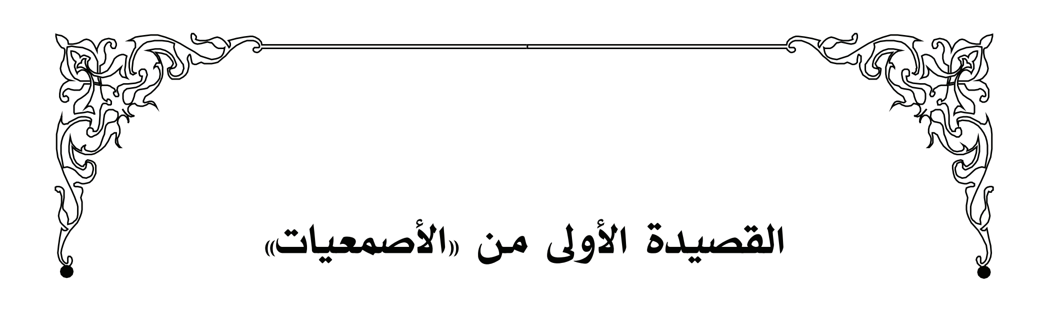
ولم يكن الشيخ يعيد علينا ذكر الشروح الواردة في هوامش كتاب «الأصمعيات» اكتفاءً بما هو موجود منها بين أيدينا، وحتى يوفر وقتاً يصرفه في نواحي أخرى من نواحي الدرس الذي يؤديه.

وهو أيضاً يقرأ القصيدة تبعاً للترتيب الذي يراه معتمداً في ذلك على قراءاته السابقة، ومراجعه الكثيرة التي سوف يجد القارئ سرداً لها في آخر هذا الكتاب. وهو يعتمد ـ أيضاً ـ على ذوقه السليم، وتفهمه لروح الشعر، وإتقانه لهذا الفن الجميل الذي يدل في كثير من الأحيان على القيمة الأدبية العالية لأولئك الشعراء الذين صاغوا شعرهم في ظروف مختلفة عن ظروفنا ولكنهم عبروا تعبيراً صادقاً عن مكنونات أنفسهم.

سوف نرى منذ الآن، ما قدمه لنا الأستاذ محمود محمد شاكر في حلقات درسه تلك ومن هنا نبدأ:



الشعر



القصيدة الأولى من «الأصمعيات»

كانت قصيدة سحيم بن وثيل الرياحي هي أول قصيدة تمت دراستها على يدي الشيخ، وهي أول قصيدة من قصائد كتاب «الأصمعيات»، ومطلعها:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفونِي

وقد استشهد الحجاج بن يوسف الثقفي بهذا البيت في أول خطبة له عندما وليَ العراق.

ومن المعروف أن القصيدة مشروحة شرحًا جيدًا في الكتاب المطبوع بتحقيق عالمين كبيرين هما: أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، مع مقدمة تناولت ترجمة الشاعر وبيان الجو الذي قيلت فيه القصيدة، مع ذكر المراجع التي ذكرت فيها كاملة، ثم لحق ذلك شرح للأبيات في الهامش صنعه المحققان.

أما عمل شيخنا الأستاذ محمود شاكر، فقد كان أوسع من كل ذلك، وكانت الكتب المرجعية حوله، يختار منها ما يشاء، إضافة إلى ردوده على الأسئلة التي تقدم إليه من الحاضرين.

قمت بنقل ما دار حول هذه القصيدة في كراس خاص وأضفت إليه هوامش كتبتها ـ نقلًا عنه ـ بجوار الأبيات المطبوعة، وهنا أضم

هذه الهوامش على ما ورد في الكراس. ولأن الكتابة كانت بسرعة كبيرة حتى لا يفوتني شيء مما يقوله الشيخ، فإنني الآن مضطر إلى التدقيق في كل ما كتبت وإلى إعادة تنظيم المعلومات التي لا أزال أذكرها حتى يتم تنسيق القصيدة، ويأتي ما حولها من بيان وشرح وفق ما جرى في ذلك الوقت البعيد.

❑ ❑ ❑

بدأ الشيخ بقراءة القصيدة مقسمًا إياها إلى أقسام، ثم تحدث عن الشاعر فقال:

المراجع التي يرد فيها ذكر سحيم بن وثيل الرياحي هي «طبقات فحول الشعراء»[1]: (ص٤٥٠، ص٤٦٠، ص٤٩٢)، وكذلك «الشعر والشعراء»: (ص٦٢٦)، و«الإصابة في معرفة الصحابة» (القسم الثالث)، و«جمهرة الأنساب»: ابن حزم.

وفي «لباب الآداب» لابن منقذ بيتان لعمر بن لبيد الرياحي، هما:

أبلغ إهابا كلها وإهابها   وشرُّ صديق المرء من لا يعاتبُه

فما تركت أحلامكم من صديقكم   لكم من أخ إلا قد ازوَرَّ جانبُه

ويُرى خبر سحيم ـ أيضًا ـ في «النقائض» (ص٤١٨)، وكذلك في «الأغاني» (١٢/ ١٣٠).

كما ورد ذكره في ترجمة عبد الله بن الحارث بن نوفل في كتاب طبقات ابن سعد.

---

(١) «طبقات فحول الشعراء»، بتحقيق: الأستاذ محمود شاكر (ص٥٧٦) (جديد) والأرقام المثبتة من الطبعة القديمة.

تبدأ القصيدة بقوله:

١ ـ أنــا ابــن جــلَّا وطــلَّاع الــثــنــايــا

مــتــى أضــعُ الــعــمــامــة تــعــرفــونــي

٢ ـ ألــم تــر أنَّــنــي فــي حِــمْــيَــريٍّ

مــكــانَ الــلَّــيــث مــن وســط الــعــريــن

٣ ـ وإنِّــي لا يــعــود إلــيَّ قــرنــي

غــداة الــغــبِّ إلا فــي قــريــن

(ألم تر أنني) رُويت في «الأصمعيات»: «أننا»، والمثبت من «طبقات فحول الشعراء».

و**(حميري)** هو: حميري بن رياح بن يربوع.

ولـ**(قرين)** عدة معان منها: الحبل، والصديق، والسجين المقرون.

وذكر الشيخ أن كتب اللغة اقتصرت على القرين بمعنى: الحبل، والقرن هو الحبل الذي تُقرن به الدابة، ونقل عن ابن قتيبة في كتاب «المعاني الكبيرة» (ص١٠٢٥) قوله: **(غداة الغب)** معناها: إذا غَمزهُ وثبت معه يومًا وليلة لم يصبر فلا يعود معه أبدًا إلا وهو مقرون؛ أي: أسير مربوط. وقوله: **(إلا في قرينٌ)** قد قرن إليه من الأسرى بمعنى: مقرون.

٤ ـ بــذي لِــبَــد يَــصُــدُّ الــركــبُ عــنــه

ولا تُــوتــى فــريــسَــتُــهُ لــحــيــن

أي: إلى حين.

عـــذرتُ الـــبـــزلَ إذْ هـــي خـــاطـــرتـــنـــي
فـــمـــا بـــالـــي وبـــال ابـــنـــيْ لـــبـــون

(**البزل**): جمع بازل وهو البعير المسن، (**خاطرتني**): راهنتني، ابن لبون: ولد الناقة.

وفي هذا البيت إشارة إلى اللذين دفعاه إلى قول هذه القصيدة كما سوف يأتي، ففي قوله: «فما بالي وبال ابني لبون» تعريض بهما؛ لأنه يراهما أصغر منه سنًا ومقامًا، وأقل منه معرفة بالشعر وإجادة له.

٦ ـ ومـــاذا يـــدَّري الـــشـــعـــراء مـــنـــي
وقـــد جـــاوزت رأس الأربـــعـــيـــن

يرى الشيخ أن كلمة يبتغي هنا أفضل من: (**يدَّري**) والمقصود بقوله: (**رأس**)، حد وهذا اللفظ أفضل.

واستشهد الشيخ لكلمة (يدَّريني) بقول الشاعر القطامي:

رأيـت ابـن الـنـعـامـة يَـدَّريـنـي ولـم يـك يـدَّري مـثـلي الـحـلـيـمُ

وهـذا الـبـيـت مـن قـصـيـدة وردت فـي ديـوان هـذا الـشـاعـر (ص١١٣)، طبع بيروت، صدر البيت في الديوان هي:

ألـم تـر كـالـنـعـامـة يـزدريـنـي

وواضح أن رواية الشيخ هي الأفضل والأصح. (الدريئة: ما يوضع لترمى بها السهام، ويقصد بها هنا الغارة؛ أي: أنه يُغير عليَّ).

٧ ـ أخـو خـمـسـيـن مـجـتـمـعًـا أشـدِّي
ونـــجَّـــذَنـــي مـــداورة الـــشـــؤون

(**نجذني**): عرفني الأشياء وجعلني مُحنَّكًا، (**مداورة**): معالجة، (**الشؤون**): الأمور.

٨ ـ فـــإن عُـــلالـــتــي وجِـــراء حـــولـــي
لــذوشِــقٍّ عــلــى الــضَّــرع الــظَّــنُــون

العلالة: الجري بعد الجري. والبداهة: أول الجري. (**جراء حولي**): مجاراتي، الشِّق: المشقة.

٩ ـ ســأحــيــا مــا حــيــيــت وإن ظــهــري
لــذو ســنــد إلــى نــضــد أمــيــن

في الأصل: لمستند، وشرح الـ(**نضد**) بقوله: إنه السرير، وقال الشيخ: النضد هم الأعمام والأخوال الذين يستند إليهم الشاعر وليس السرير.

١٠ ـ مــتــى أحــلــل إلــى قــطــن وزيــد
وســلــمــى، تــكــثــر الأصــوات دونــي

١١ ـ وهــمــام مــتــى أحــلــل إلــيــه
مــحــل الــلــيــث فــي عــيــص أمــيــن

١٢ ـ ألــفّ الــجــانــبــيــن بــه أســودٌ
مُــنــطَّــقــة بــأصــلاب الــجــفــون

يقول في هذه الأبيات الثلاثة أنه متى نزل بديار (**قطن وزيد**) وهما خالاه، أو (**سلمى**) وهي خالته فإن أصواتهم تعلو بتحيته والترحيب به.

(**وهمام**) هو عمه، والـ(**عيص**): الشجر الملتف من جانبيه فيه

أسود هم جماعته وقد حزموا أمرهم للحرب بسيوف لا تكِلّ، و(**أصلاب الجفون**): الأصلاب السيور التي تعلق بها الجفون، وهي قراب السيف.

وهذه الأبيات ساقطة من «الأصمعيات»، وقد وردت في كتاب «خزانة الأدب» (١/ ١٢٦) (الطبعة القديمة)، وشرح أبيات مغني اللبيب (١/ ١٢٧).

❑ ❑ ❑

وبعد أن انتهت القصيدة عاد ليتحدث عنها وعن الشاعر فقال:

ورد نسبه في «جمهرة الأنساب» لابن حزم: سحيم بن وثيل بن عمرو بن جوير بن وهيب بن حميري بن رياح بن يربوع (تحقيق: عبد السلام محمد هارون (ص٢٢٧)، طبعة دار المعارف بمصر) وأمه ليلى بنت شداد من بني حمير بن يربوع، وله أخ اسمه جحدر بن وثيل، وآخر اسمه عفير بن وثيل، ومن ولده جابر بن سحيم. ورد ذكر هؤلاء في عدد كبير من المراجع منها: «طبقات فحول الشعراء»، و«النقائض»، و«الإصابة والمحبر» لابن حبيب وغيرها...

عاش سحيم حياة طويلة عاصر في جزء منها ما قبل الإسلام، ثم أسلم واستكمل حياته مسلمًا، وكان يسكن الكوفة في سنيِّ حياته الأخيرة، وفي هذه الفترة أصابت أهل الكوفة مجاعة خرجوا على إثرها إلى البوادي، فعقر غالب بن صعصعة والد الفرزدق لأهله ناقة صنع منها طعامًا، وأهدى منه إلى ناس من بني، ونال سحيم منها جفنة (إناءً كبيرًا) فكفأها وضرب الذي أتي بها، ونحر لأهله ناقة ثم تفاخر هو وغالب، الذي نحر مائة ناقة، ولم تكن إبل سحيم

حاضرة، فلما جاءت نحر منها ثلاثمائة ناقة، وكان ذلك في خلافة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فمنع الخليفة الناس من أكلها، وقال: «إنها مما أهلَّ لغير الله به» فجمعت لحومها ورميت في كناسة الكوفة، فأكلتها الكلاب والعقبان، وأنواع الطير الجوارح.

وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حدثت حادثة لسحيم تتعلق هذه المرة بأمه، وقد رواها محمد بن سلام الجُمَحي في كتاب «طبقات فحول الشعراء» (الجزء الثاني (ص٥٧٧، ٥٧٨)، بتحقيق: الأستاذ محمود محمد شاكر)، وجاء في الكتاب ما نصه:

«. . . كان عثمان بن عفان رضي الله عنه قد استعمل سَمُرة بن عمرو بن قرط بن جناب بن عدي بن جندب العنبري على هوامي عمرو بن تميم وفلج وما يليهما، (والهوامي: هي الإبل الضالة بلا راع يحفظها)، فكان سَمُرة لا يُخْبَرُ بضالة في قوم إلا أخذها فعرَّفها، (يعني: أعلن عنها حتى يأتي صاحبها)، فكان من ذهبت له ضالة طلبها عنده، فبلغه أنَّ ناقة وقعت في إبل بني وثيل، فأتاهم وأعبد معه، وليس هناك من بني وثيل أحد، وأمهم ليلى بنت شداد، من بني حميري بن رياح بن يربوع، عجوز كبيرة في غلمة لهم، فقال: أعرضوا عليّ الإبل، فأبت. فأخذ ليعرضها، فأهوت له، فدفعها، فقالت: فمي! فمي! وزعموا أن ثنيتيها قد كانتا سقطتا قبل ذلك بزمان. فلما رأى ذلك سمرة لها عنها وترك الإبل. فلما قدم سحيم بن وثيل إلى أمه أخبرته الخبر، فسكت حتى لقي عبيد بن غاضرة بن سمرة، فصرعه فدق فمه، فاستعدى عليه سمرة ابن عفان ـ وكان عثمان إذا عاقب بالغ ـ فأشخص سحيم إليه إلى المدينة،

وحبست إبله حتى ضاعت، فقال لعثمان: يا أمير المؤمنين، إنه كسر فم أمي! قال: ألا استعديت عليه؟ وقال عثمان: لأَقَطِّعَنَّ منك طابقًا أو يرض سمرة».

الثنية: واحدة الثنايا، وهي من الإنسان أربع في مقدم فمه، ثنيتان من فوق وثنيتان من أسفل. وعبيد بن غاضرة شاعر، صار اسمه بعد هذه الحادثة مثغورًا؛ لأن سحيمًا أصابه في ثغرة. وقول الخليفة: ألا استعديت عليه؟ أي: استعديت السلطان، بمعنى عرضت عليه خصومتك وطلبت إليه أن يعيد إليك حقك. والطابق: عضو الإنسان كاليد والرجل ونحوهما. ومعظم الشروح التي وردت هنا أتينا بها من هامش «الطبقات» بتحقيق الشيخ.

بعد هذه المعلومات أورد الأستاذ محمود شيئًا من المعلومات الخاصة ببعض الألفاظ التي مرت، ومثل لها بعدد من الأبيات، فمن ذلك لفظ (قرع) ومثل له بقول الشاعر:

إذا المرء لم يُقرع له بلجامه ... عدا طورَه في كل ما يتعود

وهو في «اللسان» لابن منظور، مادة: (قرع). ومثل للفظ (درأ) ببيت أورده ابن منظور، يقول:

أتتنا عامر من أرض رام ... معلقة الكنائن تدرينا

الكنائن: جمع كنانة، وهي جعبة تجعل فيها السهام وأورد قول الشاعر:

إني إذا ما القوم كانوا أنجيهْ ... واضطرب القوم اضطراب الأرشيهْ

وَشُدَّ فوق بعضهم بالأرويهْ ... هناك تُّوصيني ولا توصي بيَهْ

وذكر أن هذا الشعر ورد في «لسان العرب»، مادة: (روي)، ومادة: (نجي)، وفي «الجمهرة» لابن دريد (١/ ١٧٦)، وفي «نوادر أبي زيد» (ص١١)، ولم ينسب الشعر لشاعر معين.

وتحدث عن موقع يُدعى رأس العين كانت فيه معركة بين بعض القبائل العربية، وقد ذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٥/ ١٩٢)، تحت عنوان: «خبر يوم رأس العين»، وجاء عنه في مادة: (رأس) في «لسان العرب»، وفي مادة: (رأس العين) ضمن كتاب «معجم ما استعجم». وحول ما حدث في هذا الموقع جاءت الأبيات التالية:

أليس الأكرمون بنو رياح نَمَوْني؟ منهم عمِّي وخالي
هُمُ قتلوا المجبة وابن تيم تلوح عليهما سود المآلي
وهم قتلوا عميد بني فراسٍ برأس العين في الحجج الخوالي
وذادوا يوم طخفة عن حماهم ذياد غرائب نعم نهال

يفتخر سحيم في هذه الأبيات بقومه ويذكر موقعة قامت في رأس العين بين طوائف من بني يربوع على بني ربيعة برأس العين وكانت موقعة حامية، وسوف يأتي وصف هذا الموقع.

وفي الأبيات ذكر لموقعة أخرى هي ما سماها العرب يوم طخفة، وطخفة موقع في جزيرة العرب على الطريق السالك إلى مكة من البصرة. وقوله: (تلوح عليهما سود المآلي) جاء في «العقد الفريد» برواية (سود الليالي)، والمآلي هي: ما آلت إليه حالهما.

وذكر أبو عبيد البكري «رأس العين» في كتابه: «معجم ما استعجم» فقال: «هو كورة من كور ديار ربيعة وهي كلها بين

الحيرة والشام، وفيه أغارت بنو رياح يربوع عليهم (يقصد: على ربيعة) وقتلوا منهم معاوية بن فراس، وسبقوا بالإبل، ثم ذكر أبيات سحيم بن وثيل (الكور جمع كورة: البلدة الصغيرة). ثم أورد بيتين آخرين لسحيم هما:

مررت على وادي السباع ولا أرى ... كوادي السباع حين يُظلم واديًا

أقَلَّ به ركب أتوه تئيَّة ... وأخوف إلا ما وقى اللَّه ساريا

وهما في كتاب سيبويه (١/ ٢٣٣) الطبعة القديمة وفي البيت الثاني استكمال لوصف ذلك الوادي، فهو يقول: لم أر مكانًا يقل به تلبُّث الركب مثله؛ لأنه مخوف. وورد البيتان ـ أيضًا ـ في «لسان العرب»، مادة: (سبع)، و«خزانة الأدب» (٣/ ٥٢١)، الطبعة القديمة. وتلاحظ هنا الإشارة إلى الطبعة القديمة من «اللسان»، ومن «الخزنة»؛ لأن تحقيق شيخنا الأستاذ عبد السلام هارون لهذين الكتابين لم يكن قد تمّ في وقت دراستنا لـ«الأصمعيات».

وذكر الشيخ بيتًا منسوبًا لسحيم وهو:

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ... ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم[1]

---

(١) وهذا تعليق آخر حول البيت الذي يقول:

أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ... ألم ييأسوا أني ابن فارس زهدم

زهدم: فرس بشر بن عمرو الرياحي وهو أخٌ لعوف بن عمر جد سحيم ابن وثيل، وقيل: إن زهدم هو فرس سحيم نفسه، ولا يمنع أن يسمي فرسه باسم فرس جده. وروي الشعر برواية أخرى وقد مرت بنا هكذا:

ألم تيأسوا أني ابن فارس لازم

وألم تيأسوا، معناها: ألم تعلموا، وفي القرآن الكريم: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ =

وزهدم فرس لوالد سحيم، وهو مذكور في «لسان العرب»، وفي «العقد الفريد» (٥/ ٢٤١)، و«تأويل مشكل القرآن» (ص١٤٨)، وكتاب «الخيل» (طبعة أوروبا الأولى لابن الكلبي، وكتاب «الميسر والقداح» (ص٣٣، ٣٥).

وورد بعد البيت المذكور بيت آخر هو:

وصاحب أصحاب الكنيف كأنما سقاهم بكفَّيه سمام الأراقم

والبيتان في «اللسان»، مادة: (يسر). وفي «معجم البلدان» لياقوت الحموي، مادة: (الأربعاء)، و«معجم ما استعجم» للبكري (٢/ ٥٢٧) قول سحيم:

ألم ترنا بالأربعاء وخيلنا غداة دعانا قعنب والكياهم
رددنا لمولاكم زهير لبونة وجُدِّلَ فينا ابنا حمارٍ وعاصم

وفي الجزء الثالث من «معجم البلدان»، (وادي الجناب):

تُذكرني قيسًا أمور كثيرة وما الليل إن لم ألق قيسًا بنائم
تحمَّل من وادي الجناب فناشني بأجماد جوٍّ من وراء الخضارمِ

وفي «جمهرة» ابن دريد (١/ ١٧٤)، و«لسان العرب»، مادة: (ثني)، ومادة: (دوي)، يقول سحيم:

أنا سحيم ومعي مدرايه
أعددتها لفيك ذي الدوايه
والحجر الأخشن والثنايه

= ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]؛ أي: أفلم يعلم الذين آمنوا.

وقال سحيم أيضًا في «معجم ما استعجم»، مادة: (مرُّوت):

تركنا بمَرّوتَ السَّخامة ثاويا ... بُجيرًا وعض القيد فينا المثلما

وله في «معجم ما استعجم»، مادة: (قحقح):

ونحن تركنا ابن القُرَيم بِقُحْقُح ... صريعًا ومولاه المجبَّه للضم

والبيت لسحيم بن وثيل الرياحي، وقحقح: موضع حدثت فيه معركة قديمة وهو واقع بين دار بني شيبان وديار بني رياح. والجبَّه: اسم شخص.

وفي «طبقات ابن سعد» عند ذكر أخبار عبد الله بن الحارث:

وبايعت أيقاضًا فأوفيت بيعتي ... وببة: قد بايعته وهو نائم

وبَبَّة لقب لحق بعبد الله بن الحارث، وقد روي هذا البيت لغير سحيم، فقد نسبه البلاذري في كتابه «أنساب الأشراف» للفرزدق.

ولسحيم في كتاب «النقائض» (ص٣٧٧):

فوَفَّى ابن زنباع وفروة عقدنا ... وفيهم دماء الحيِّ لما تصرَّم

وله في كتاب «الأمالي» لأبي عليٍّ القالي (٣/ ٥٤)[1]:

كيف ترى جحيدرًا يرعاها

بالسيف يخليها إذا استخلاها

ينتثر الخزيز من ذُراها[2]

---

(١) سوف يأتي بيان عن هذا المرجع في (ص٣٩).

(٢) لخزيز: هو نبات العوسج عندما يجف، ويستعمل فوق ذري الجدران لحمايتها من المتسلقين.

وفي «طبقات فحول الشعراء» (ص٤٩١):

كفاني أبو قُرَّان نفسي فداؤه ... ومن يك مولاه فليس بواحد

وفي «تاريخ الطبري» (٧/ ١٧٠):

فلا كوفة أمي، ولا بصرة أبي ... ولا أنا يثنيني عن الرحلة الكسل

وفي «أمالي القالى» (٣/ ٥٤)[1]:

. . . .

لهان بما يجني عفير وجحدر ... وذو السيف قد دِنَّا له كل مقرم

ألا لا أبالي أن تُعد غرامة ... عليَّ إذا ما حوضكم لم يُهَدَّم

فسَبَّحتُ في الظلماء لما رأيتهم ... نجيا وما يخفى عن اللَّه يُعلم

وجاء في كتاب «النقائض» (٣/ ١٠٨)، و«معجم البلدان»، مادة: (نجم) قول سحيم:

ونحن صدعنا هامة ابن خويلد ... يزيدًا وضرجنا عُبيدة بالدم

رأى غمرات الموت دون ابن أمه ... وازنم في الوادي ورهط متمم

بذي نجب إذ نحن دون حريمنا ... على كل جَيَّاش الأجاريّ مرحم

إذ الخيل يحبوها حشيش وحنتف ... بمعترك الأبطال عند ابن شعثم

ولسحيم ـ أيضًا ـ في «حماسة ابن الشجري» (ص٢٥ و٢٦):

ونحن كسونا هامة ابن خويلد ... حسامًا إذا ما صادف العظم صمَّما

ونحن تركنا في مجر جيادنا ... عُبيدة لحمًا بالقنا متقسما

---

(١) الجزء الثالث من «الأمالي» هو «ذيلي الأمالي والنوادر» للقالي، طبع دار الكتب، طبع القاهرة، ١٩٢٦م.

ونحن تركنا عامرًا بعد ما هوى يُعالج فينا القدَّ حولا مجرَّما
جزينا أبا بكر به ولقد جرى لهم يوم لاقيناهُمُ طير أشأما
وظبيان والأبطال بُعثر بالقنا تركنا صريعًا يركب الأنف والفما
ويوم أبي قابوس لم نُعْطه المنى ولكن صدعنا البيض حتى ترنما

وقال سحيم في ثأره للحادث الذي عرض لأمه:

كانت عُبيد شهود الحي فاعتزلوا وحميريّ فلم تعجز ولم تَلم
ظلت نساؤهُمُ والقوم أنجية يُعدى عليها كما يُعدى على النَّعَم
ولن أقر على خسف ومنقصة وقد تلفَّع أصداغي من القدم
قد أترك القرم محطومًا ناجذه إذا نسائي على أفواهَهَا بدمِ

البيتان الأوليان في «نوادر أبي زيد» (ص١١)، و«لسان العرب»، مادة: (نجي)، و«أمالي الشريف المرتضى» (١/ ٥٧٧). أما البيتان الآخران فهما في كتاب «النقائض» (ص٤٨٥).

ولسحيم بيتان في كتاب «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ٢٩٧)، و«الحيوان» للجاحظ، و«معجم الشعراء» (منسوبان فيه لمضرِّس بن ربعي).

ألا ليس زين الرحل قطع ونمرق ولكنّ زين الرحل يامي راكبُه[١]
كأن الفتى لم يحيَ يومًا إذا جرى على قبره هابي التراب وحاصبه

ولسحيم أبيات أخرى وردت في «البيان والتبيين» (٣/ ٣٤٣)،

---

(١) رواية «معجم الشعراء»:
وليس يزين الرحل......... .... من هو راكبُهْ

و«عيون الأخبار» (١/ ٢٥٩) و(ص٢٦٠) هي قوله:

تقول حدراء ليس فيك سوى الـ ـخمر مَعَابٌ يعيبه أحدُ

فقلت أخطأتُ في معاقرة الـ ـخمر، وبذلي فيها الذي أجد

هذا الثناء الذي سمعت به لا سبدٌ مخلدي ولا لَبَد[1]

(وفي رواية: هو السناء).

ويحكِ لولا الخمور لم أحفل الـ ـعيش ولا أن يضمُّني لحد

هي الحيا، والحياة، واللهو لا أنت، لا ثروة، ولا ولد

وأخيرًا فهذا جدول وضعه الأستاذ بَيَّن فيه وضع قصيدة سحيم بن وثيل النونية في عدد من الكتب هي: «الأصمعيات»، و«الأغاني»، و«خزانة الأدب»، و«شرح شواهد مغنى اللبيب»، وقد أضفت إليها كتابًا آخر هو: «منتهى الطلب، من أشعار العرب» لمحمد بن ميمون.

ويبيِّن الجدول أدناه تسلسل الأبيات في «الأصمعيات» وما يعادلها في الكتب الأخرى، وذلك كما يلي:

ترتيب القصيدة في «الأصمعيات»	ترتيبها في كتاب «الأغاني»	ترتيبها في «خزانة الأدب»	ترتيبها في «شرح أبيات مغني اللبيب»	ترتيبها في «منتهى الطلب»
١	٣	١	١	١
٢	٤	٢	٢	٢
٣	٦	٣	٣	٣
٤	٧	٤	٤	٤

(١) رواية «عيون الأخبار» لابن قتيبة: هو السَّناء.

ترتيب القصيدة في «الأصمعيات»	ترتيبها في كتاب «الأغاني»	ترتيبها في «خزانة الأدب»	ترتيبها في «شرح أبيات مغني اللبيب»	ترتيبها في «منتهى الطلب»
٥	٨	٥	٥	٥
٦	٩	٦	٦	٦
٧	١٠	٧	٧	٧
٨	١	٨	٨	٨
٩	١١	-	-	-
١٠	٢	٩	٩	٩
١١	٥	١٣	١٣	١٣
١٢	-	١٠	١٠	١٠
١٣	-	١١	١١	١١
١٤	-	١٢	١٢	١٢

والترتيب الذي اختاره الشيخ هو من البيت رقم واحد إلى البيت رقم (١٠) من «الأصمعيات» مع إضافة الأبيات الثلاثة الزائدة ثم البيت رقم (١١).

ومما هو جدير بالملاحظة أن كتاب «منتهى الطلب من أشعار العرب»، لم يكن ـ على أهميته ـ ضمن مراجع الشيخ محمود شاكر، وهو يلقي علينا دروسه التي هذه هي أوراقها. ولعل السبب في ذلك أنه لم يحصل على الكتاب مخطوطًا أو مطبوعًا في ذلك الوقت. وأنا أذكر الفترة التي حصل فيها على صورة للمخطوط، وأنه كان سعيدًا بها غاية السعادة وكان ينكبّ على قراءتها دائمًا حتى بحضور بعض زواره، إذ نلاحظه وقد أخذ المخطوطة ثم تصفحها وقرأ شيئًا منها، ثم أعادها ليقرأها مرة أخرى بعد فترة.

هذا هو الكتاب الذي جمعه محمد بن المبارك بن ميمون وهو كتاب كبير طبع في بيروت (دار صادر) في تسع مجلدات. وضم منتخبات من أشعار عدد كبير من شعراء العرب المتقدمين في جاهليتهم وفي إسلامهم، وكان يتعمد حشد أكثر عدد من القصائد لكل شاعر بحيث يُعَدُّ هذا الكتاب ديوانًا يضم أشعار العرب إلا ما قل منها أو ما صدر منه ديوان مستقل فعند هذه الحالة يختار من ديوانه ما يراه رائقًا مناسبًا.

ونشرت دار صادر للطباعة والنشر في بيروت هذا الكتاب بعد أن قام المحقق بتحقيقه في سنة (١٩٩٩م)، فسد ثغرة مهمة يحتاج إليها كل من يهتم بأدب العرب وشعرهم، بل وتاريخهم؛ لأن عددًا من القصائد الواردة في هذا الكتاب مرتبطة بأحداث جرت في جزيرة العرب سواء أكان ذلك قبل الإسلام أم بعده.

صانع الكتاب محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون، كان من العلماء الذين عاشوا حتى نهاية القرن السادس الهجري، وكان متضلعًا بعلم اللغة والنحو والأدب، محيطًا بكثير من أشعار العرب، ومحققه هو: د. محمد نبيل طريفي.

وسوف نلاحظ الشيخ وقد أدرج هذا الكتاب المهم ضمن مراجعه ابتداء من القصيدة الثانية من «الأصمعيات»، بل واعتمد عليه كثيرًا كما سوف نرى.

❑ ❑ ❑

نوشك الآن أن ننتهي من دراسة القصيدة، ولذا فقد أجمل أستاذنا كثيرًا من الأمور المتعلقة بها مثل:

١ ـ تخريج الأبيات فحدد المصدر الذي ورد فيه كل بيت، فهو يقول عن البيت الأول ـ مثلًا ـ أنه ورد في «العقد الفريد» (٤/ ١٢٠ و٥/ ٣٤٢)، و«الكمال» للمبرر (ص١٣٢، ٢٢٦)، و«رغبة الآمل» (٣/ ٣٦)، وكتاب سيبوبه (٢/ ٧)، و«الأغاني» (١٣/ ١٣٢، ١٣٥)، و«المعاني الكبير» (ص٥٣)، ثم «الحماسة البصرية». وهكذا يستمر في أبيات قصيدة سحيم ابن وثيل إلى نهايتها، وفي هذا توثيق مهم للقصيدة ببيان مصادر كل بيت منها، تأكيدًا على نسبتها إلى الشاعر، وإلى العصر الذي عاش فيه.

وبعد أن انتهى من ذلك وجد أن بعض الأبيات تختلف رواياتها من مرجع إلى آخر، فذكر ذلك قائلًا:

١ ـ لا خلاف فيه.

٢ ـ ألم تر أنني في حميري	«طبقات فحول الشعراء».
٣ ـ لن يعود إلي قرني غداة الغب	«خزانة الأدب»، وشرح أبيات «مغني اللبيب»، أو «غداة الورد».
٤ ـ لذي لبد	«شرح أبيات «المغني».
كذي لبد	«حماسة البحتري».
٥ ـ إن هي خاطرتني	«المغني»، «طبقات الشعراء»، «الموشح» (ص١٣٢).
إذ هي صاولتني	و«تهذيب إصلاح المنطق»، و«رغبة الآمل»، و«الأغاني».
ابن اللبون	«الطبقات» لابن سلام و«الموشح» (ص١٣٢).
٦ ـ وماذا يبتغي الشعراء مني	«خزانة الأدب»، و«شرح شواهد المغني»، والعقد الفريد»، و«الأغاني».

وماذا يغمز الأعداء مني	«طبقات فحول الشعراء» (ص٤٩٢).
وماذا يدرك الشعراء مني	«الإصابة».
إذا جاوزت	«حماسة البحتري».
حد الأربعين	«خزانة الأدب»، «شرح شواهد المغني»، «حماسة البحتري»، «الموشح» (ص٢٤)، «المخصص»، «العقد الفريد»، «الحماسة البصرية»، «شرح تهذيب إصلاح المنطق»، «رغبة الآمل» (٥/ ٩).
٧ ـ أخو الخمسين	«شرح شواهد المغني»، و«الأغاني».
مجتمع أشُدِّي	«خزانة الأدب»، «شرح شواهد المغني»، «سمط اللآلي»، «الموشح»، «العقد الفريد»، «لسان العرب».
معاورة الشؤون	«حماسة البحتري».
معاودة الشؤون	«الحماسة البصرية».
٨ ـ جراء حَوْلي	«شرح أبيات مغني اللبيب»، «رغبة الآمل»، وفي «الأغاني»: (حولي).
٩ ـ لذو سند	«الأغاني».
١٠ ـ صليب العود من سلفي نزار	«حماسة البحتري»، «العقد الفريد»، و«الحماسة البصرية».
صليب العود من سلفي رياح	«العقد الفريد» (٤/ ١٢٠).
أنا ابن الغر من سلفي رياح	«الأغاني».
كمثل البدر	«حماسة البحتري».
١١ ـ وإن قناتنا	«خزانة الأدب»، «لسان العرب»، «إصلاح المنطق»، «رغبة الآمل».

وكل هذا يدلنا على حجم المتابعة التي قام بها الشيخ في سبيل تقديم درسه لنا، إذ إن المراجع القيمة الكثيرة جدًا ذات دلالة على الاهتمام بالعمل، وهو الأمر الذي يحرص عليه شيخنا دائمًا.

وبعد؛ فهذه ملاحظات أخيرة أجملها لنا فيما يلي:

ـ جلا: ارتضى الأستاذ محمود شاكر تفسيرًا خاصًا لهذه الكلمة، وهو أن المراد هو الخروج إلى الأعداء، تدل على ذلك القصة التي جاءت القصيدة نتيجة لها، وقد روى الأصمعي أن رجلًا جاء إلى الأخوص اليربوعي، والأبيرد الرياحي، وهما من شعراء الصدر الأول للإسلام، وطلب إليهما هِنَاءً يدهن به إبله، فقالا له: إنْ بلَّغت عنا سحيم بن وثيل بيتًا وأتيتنا بجوابه أعطيناك، فقال: نعم، هاتياه، فأنشداه:

وإن بداهتي وجراء حولي   لذو شِقٍّ على الحطم الحرونِ

(البداهة: أول جري الفرس، والحطم: العنيف، والحرون: الذي إذا اشتد به المشي وقف).

وذهب الرجل إلى سحيم فأنشده، فثار، ثم صار يهدر بقصيدته التي كان أولها: أنا ابن جلا، يريد أنه ظاهر لأعدائه مستعد لمبارزتهم، وهو بهذا يعيب على الأبيرد الذي لم يأت بالبيت مباشرة، ولكنه أرسله مع شخص آخر، وهذا أمر مكروه تذمه العرب، وتُسَمِّيه مشي الضرار؛ لأن المرء يسير به متخفيًا، وضد ذلك: البراح والبِراز بكسر الباء.

ـ طلاع الثنايا: الذي يسمو إلى معالي الأمور.

ـ واستدل لمعنى أضع العمامة بمعنى أخلعها، بالآية الكريمة التي منها: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ [النور: ٥٨]؛ أي: تخلعون ثيابكم.

ـ خاطرتني: من المخاطرة، يقال: خطر الفحل بذنبه يخطر وخطرانا؛ رفعه مرة بعد مرة، وضرب به حَاذَيْه[1]، وهو يضرب به يمينًا وشمالًا بسبب الصولة والنشاط، ويقال: فلان يخطر بسيفه ومنها الخطران، ومنها ما جاء في قول جرير:

لقيت القروم الخاطرات فلم يكن نكيرك إلا أن تشول وتيعرا

الخاطرات: هُنَّ اللواتي يضربن بأذنابهن كأنهن يتوعدن في ذلك، وإنما يفعل ذلك القرم لقوته وشدته ونشاطه، قال ذو الرمة:

عذرت الذرى لو خاطرتني قرومها فما بال أكَارين فُدْع القوائم

ـ النضد: الأعمام والأخوال المتقدمون في الشرف، وللفرزدق:

من كل أصيد من ذؤابة دارم ملك إلى نضد الملوك همام

يقول: رجال كرام أشراف يجتمع بعضهم إلى بعض ليسوا متفرقين، والنضد من السحاب ما عظم وتراكم بعضه على بعض، والنضد نسب الملوك المترادف، يقال: من قبل الآباء والأمهات.

وأنضاد الجبال ما تراصف من حجارتها بعضها فوق بعض، وللأعشى في ذلك:

وقومك إن يضمنوا جارة يكونوا بموضع أنضادها

أي: ثقاتها ومنعتها:

ـ أما الأمين: فالأصل في اللغة هو القوي؛ لأنه يوثق بقوته، يقال: فرس أمين القِوَى، وأمين الشَّوَى.

---

(١) باطن فخذيه.

ـ ويقال: مشظ الرجل يمشظ مشظًا، ومشظت يده، إذا مس الشوك أو الجذع فدخل في يده شيء منه، يقول جرير:

بني عبد عمرو قد أصاب أكُفَّكُمْ مشاظ قناة درؤها لم يُقَوَّمِ

وهذا هو بيان عن الأبيات التي مرت بنا آنفًا:

١ ـ بيت جرير الأول من قصيدة مطلعها:

لمن رسم دارٍ هَمَّ أن يتغيرا
تُراوحُهُ الأرواح والقطر أدهرا

(والقطر) في هذا البيت هو: المطر.

أما «تشول» في البيت المستشهد به فمعناها: تغضب ثم تسكن، وتيعر معناها: تصيح. والعِيار صوت الشاة أو المعزى.

٢ ـ بيت ذي الرمة؛ هو من قصيدة له مطلعها:

خليليَّ عُوجا الناعجات فسَلما
على طلل بين النقا والأخارم

قالها في المديح، **(عُوجا)**: ميلًا إلى، **(والناعجات)**: جمع ناعجة، وهي الناقة البيضاء السريعة، وللـ**(طلل)**: الأثر القديم للمساكن، و**(النقا)**: الرمل، و**(الأخارم)**: شقوق في رؤوس الجبال والمرتفقات، وعند كاظمة موقع اسمه أم نقا في الشمال الشرقي عنها، وموقع آخر هو المخارم على مرتفعات جبال الزور، ولا نستغرب أن يكون ذو الرمة يقصدهما، فهو من الذين يحلون بكاظمة، وقد ذكرها في شعره.

أما البيت المستشهد به ففيه:

الذرى: الأشراف، قرونُها: فحولها، أكّارين: جمع أكّار وهو المزارع، القوائم: الأقدام، فُدْع: يُرى في صدور أقدامهم عِوَج.

٣ ـ بيت الفرزدق في «ديوانه» نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر، بتحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، (١٩٣٦م)، (ص٨٤٩ و٨٥٠). ورواية البيت فيه: من كل أبيض. أما مطلع القصيدة فهو:

عــــفَّـــــى الـــــمــــنـــــازل آخــــر الأيـــــام
قَـــطْـــر ومـــور واخـــتـــلاف نــــعــــام

(**عَفَّى**): أزال الأثر، و(**القطر**): المطر، والـ(**مور**): التراب الدقيق ترسله الرياح.

٤ ـ بيت الأعشى، وهو من قصيدة يمدح بها أحد الأشخاص ومطلعها:

أجـــدك لـــم تـــغـــتـــمـــض لـــيـــلـــة
فـــتـــرقـــدهـــا مـــع رُقَّـــادهـــا

(**أجدَّك**): أبجدٍّ منك.

وفي البيت المستشهد به: أنضادها، وقد مر شرحها.

٥ ـ بيت جرير الثاني في هذه المجموعة، هو من قصيدة هجائية مطلعها:

ألا قـــل لـــربـــع بـــالأفـــاقـــين يَـــسْـــلَـــم
يُـــحـــيَّـــا عـــلـــى شَـــحْـــطٍ، وإن لـــم يُـــكَـــلَّـــم

(**الأفاقين**): موضع، ودرؤها في البيت المستشهد به معناها: اعوجاجها.

❑ ❑ ❑

هذه هي نهاية الحديث عن الأصمعية الأولى، وهي قصيدة سحيم بن وثيل الرياحي النونية.

ويجدر بنا قبل الانتقال إلى غيرها أن نشير إلى ما يلي:

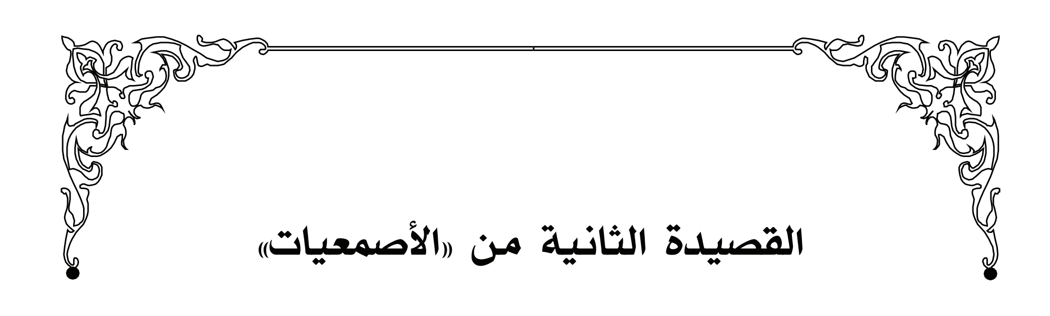
١ ـ لئن كان سحيم بن وثيل قد عُمّر حتى وصل في السن إلى مائة وعشرين سنة، فإن أخواله كانوا من المسنِّين، وقد عُمِّر خاله: عبَّاد بن شدَّاد اليربوعي حتى وصل سنه إلى مائة وثمانين سنة.

٢ ـ لم يكن الشيخ يعيد علينا الشروح الواردة في هوامش كتاب «الأصمعيات» المطبوع اكتفاء بما هو موجود منها بين أيدينا في ذلك الكتاب.

٣ ـ كان الشيخ يقرأ القصيدة تبعًا للترتيب الذي يراه معتمدًا على قراءاته السابقة، ومراجعه الخاصة، وعلى ذوقه السليم، وفهمه للشعر.

وقد أشرنا فيما سبق إلى بَنْدي **٢** و**٣** ولكن وضعهما هنا مهم.





القصيدة الثانية من «الأصمعيات»

هنا وصلنا إلى قراءة القصيدة الثانية، وقد بدأنا في دراستها على يدي شيخنا في يوم (٢٦/ ١٠/ ١٩٥٧م) وهي للشاعر خُفاف بن ندبة. ومطلعها:

ألا طرقت أسماء في غير مَطْرق وأنَّي إذا حَلَّتْ بنجران نلتقي

والشاعر هو خفاف بن عمير بن الحارث بن عمرو، وهذا الأخير هو الشريد، وبذلك ينتمي خفاف مع الشاعرة الخنساء إلى نسب واحد. وسُمِّيَ ابن ندبة؛ لأن ندبة هي أمه وكانت سوداء اللون، وكان خفاف من فرسان العرب المعدودين، وهو إلى ذلك شاعر مجيد، له ديوان وله مختارات من شعره في عدد من الكتب منها «الأصمعيات»، و«منتهى الطلب».

وهو شاعر مخضرم صحابي أدرك رسول الله ﷺ وشهد فتح مكة، وثبت على إسلامه وقت الردة، وتوفي في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي هذه القصيدة نراه يصف طيف محبوبته، وكيف طاف بعدد من الأماكن، واجتاز الوديان، حتى استقر عنده وهو على وساده، ثم أخذ في وصف هذا الطيف، واستعاد ذكرى لقائه بمن يحب، حيث كان ذلك يتم بينهما خلسة في مواضع حددها في القصيدة.

هذا ولخفاف بن ندبة أربع قصائد في «الأصمعيات»، وله في «منتهى الطلب» خمس قصائد، وله مجموعة من الشعر جمعها أحدهم وطبعها ضمن أشعار شعراء آخرين.

❑ ❑ ❑

بدأ شيخنا درسه ببيان المراجع التي نستطيع الرجوع إليها عند البحث عن ترجمة حياة الشاعر خفاف بن ندبة، وذكر ضمن تلك المراجع ما يلي:

«الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني الجزء السادس عشر، (ص١٣٤ و١٤٠)، والجزء الثالث عشر (ص١٣٥)، وكتاب «الأغربة» لابن هشام الجزء الأول (ص٦٥)، وكتاب «المحبِّر» لابن حبيب (ص٣٠٦ و٣٠٨).

كما ذكر من المراجع بحسب ورود الأبيات المقررة فيها:

البيت الخامس: «معجم ما استعجم» (ص١٢٣١).

البيت التاسع: «لسان العرب»، مادة: (لوح).

البيت الثالث عشر: «المحكم» لابن سيده (١/ ٢١٢).

و«أساس البلاغة»، مادة: (جمع) منسوبًا لذي الرمة.

البيت السادس عشر: «لسان العرب»، مادة: (حنق).

البيت التاسع عشر: «لسان العرب»، مادة: (أرض)، «الملاحن» لابن دريد (ص٢٠).

البيت العشرون: كتاب «المعاني الكبيرة» (ص١٥٦).

البيت الثلاثون: «لسان العرب»، مادة: (أتم).

وقد وردت ترجمة خفاف في كتاب «الإصابة في تمييز

الصحابة»، وفي كتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة، و«خزانة الأدب» للبغدادي، وكذلك «الأغاني» (ج١٦).

وقد ذُكر أن الشاعر قال قصيدته هذه وهو كبير السن حيث استرجع ما مضى عليه في شبابه، وما كان عليه من عادات في غاراته، أو مع ضيوفه وأصحابه.

وفي قصيدته هذه يصف الفرس والأرض التي يقطعها، ويصف ترقبُّه لأعدائه، كما يصف المطر.

وهنا يعلق الشيخ قائلًا: إنما دأب الشعراء العرب في الجاهلية على التغزل بالمرأة في أوائل قصائدهم؛ لا للتقليد، وإنما ذلك لدافع طبيعي؛ هو بعدهم في أسفارهم وتنقلاتهم عن المرأة.

❑ ❑ ❑

انتقل شيخنا في جلسة تالية إلى الحديث عن الروايات المختلفة لبعض أبيات قصيدة خفاف بن ندبة التي هي موضع درسنا من كتاب «الأصمعيات»، فقال:

البيت الأول:

«ألا طرقت أسماء في غير مطرق»

رويت في «الأغاني» (١٦/ ١٢٣).

«ألا طرقت أسماء لا حين مطرق»

وفي «معجم البلدان»: «من غير مطرق».

وشطر البيت:

«وأنَّى وإن حَلَّت بجلذان نلتقي»

«معجم البلدان»، مادة: (جلذان).

البيت الثاني: (الشطر الثاني).

«أو كـــرم بـــلـــيّـــة مـــحـــدق»

جاء في «منتهى الطلب»:

«أو كـــرم بـــلـــيـــة مـــغـــدق»

البيت الثالث: (الشطر الثاني):

«وسادي بباب دون جلذان مغلق»

في «معجم البلدان»: «بجلذان»:

«وسادي لدى باب بجلذان مغلق»

وفي «منتهى الطلب»:

«وســادي لــدى بــاب مــن الــدور مغلق»

البيت الرابع: (الشطر الأول):

«بغرِّ الثنايا خُيِّفَ الظَّلْم بينها»

في «منتهى الطلب»: «الظلم بينه».

وفي الشطر الثاني:

«وسـنـة ريـم بـالـجـنـيـنـة مـونِـقِ»

وفي «معجم البلدان»، مادة: (جنينة)، و«منتهى الطلب»: «موثق».

البيت الخامس: (الشطر الأول):

«ولــم أرهــا إلا تــعــلَّــة ســاعــة»

وفي «منتهى الطلب»: «تئية ساعة».

البيت السادس: (الشطر الأول):

«وحيث الجميع الحابسون
براكس»

في رواية «منتهى الطلب»:

«ويوم الجميع الحابسون براكس»

البيت السابع: لا رواية أخرى لَهُ.

البيت الثامن:

«وأبدى شهور الحج منها معاصمًا
ووجهًا متى يحلل له الطيب يُشرق»

في رواية «معجم البلدان»:

«وأبدى شهور الحج منها معاصمًا ونحرا........ البيت

وفي رواية «منتهى الطلب»:

«وأبدى شهور الحج منها معاصمًا ونحرا........ البيت

البيت التاسع:

«فإما تريني أقصر اليوم باطلي
ولاح بياض الشَّيْبِ في كل مفرق»

رواه ابن منظور في «لسان العرب»، مادة: (لوح):

«فإما ترى رأسي تغيَّر لونه ولاح بياض الشيب في كل مفرق»

البيت العاشر: (الشطر الأول):

«وزايلني رَيْق الشباب وظله»

ورواية «منتهى الطلب»:

«وزايلني زين الشباب ولينه»

(الشطر الثاني):

«وبُدِّلتُ منه سحق آخر مخلق»

ورواية «منتهى الطلب»:

«وبدلتُ منه جرد آخر مخلق»[1]

البيت الحادي عشر:

«فعشرة مولى قد نعشت وأسرة
كرامٍ وأبطال لدى كل مأزق»

ورواية «منتهى الطلب»:

«فعشرة مولى قد نعشت بأسرة كرام على الضراء في كل مصدق»

البيت الثاني عشر:

«وحِرَّةُ صادٍ قد نضحت بشُربةٍ
وقد ذمَّ قبلي ليلُ آخر مطرق»

ورواية «منتهى الطلب»:

«وغمرة مخمور نغشت بِشَرْبةٍ وقد ذمَّ قبلي ليل آخر مطرق»

(١) الجرد: الثوب القديم.

البيت الثالث عشر: (الشطر الثاني):

«غشاشًا بمحتات القوائم خَيْفَق»

روي في المحكم (١/ ٢١)، و«لسان العرب»، مادة: (حتى).

«بـمـحـتـات الـصـفـاقـيـن»

وروي في «جمهرة» ابن دريد (٢/ ١٠٣)، وكذلك في «أساس البلاغة»، مادة: (جمع).

«بأجرد محتوت الصفاقين»

البيت الرابع عشر: كما هو، لا رواية أخرى له.

البيت الخامس عشر: جزء من الشطر الثاني:

«ولـولا طـعـنـتـي لـم تُـطَـلَّـق»

كتبتُ على هامش كتاب «الأصمعيات» بموجب إملاء الشيخ «ولولا طلعتي».

ورواية «منتهى الطلب»:

فآبت سليبًا من أُناس تُحبُّهم كئيبًا ولولا طلعتي لم تُطَلَّق

فكأن الشيخ اختار لفظ: (طلعتي) من هذه الرواية.

وفي هامش الكتاب كتبنا من إملاء الشيخ: سليبًا: السليب: التي سلب منها زوجها.

البيت السادس عشر:

«وخيل تعادى لا هوادة بينها

شهدت بمدلوك المعاقم مُحنق»

وفيه الروايات التالية:

«وخيل تنادى» رواية «المخصص» (٦/ ١٤١)، و«لسان العرب»، مادة: (عقم).

«بخيل تعادى» رواية «منتهى الطلب» (المخطوط).

«بمدكوك المعاقم» رواية «المخصص» (٦/ ١٤١).

«بمذلول» رواية «منتهى الطلب».

البيت السابع عشر:

«غير خاف» رواية «منتهى الطلب»: «غير جاف».

البيت الثامن عشر:

«بصير بأطراف الحداب مقلصٍ
نبيلٍ يساوى بالطِّراف المروَّق»

رواية «منتهى الطلب»:

«مُعّرض أطراف العظام مشرف   شديد مَشَكِّ الجنب فعم المُنَطَّق»

(عن النسخة المطبوعة).

وفي رواية عن الشيخ لم أتمكن من ذكر مصدرها:

«بصير بأطراف الحداف ترى له   سراة تساوى بالطراد المروَّق»

البيت التاسع عشر: لا روايات أخرى له.

البيت العشرون:

«ومد الشمال طَعْنُهُ في عنانه
وباع كبوع الشادن المتطلِّق»

رواية «منتهى الطلب» كما يلي: «وناص الشمال»، ثم «الخاضب المُّتطلِّق».

ورواية «المعاني الكبير» (ص١٥٦)، و«منتهى الطلب».

«وباع كبوع الخاضب»

ورواية «الملاحن» (ص٢٠):

«تبوَّع بوعَ الشادن»

البيت الحادي والعشرون:

«من الكاتمات الربو تمزع مقدمًا
سبوقًا إلى الغايات غير مُسَبَّق»

ورواية «منتهى الطلب»:

«ينزع» و«سبوقٌ»

البيت الثاني والعشرون:

«وعته جوادٌ لا يباع جنينها
بمنسوبة أعراقه غير محمق»

رواية «اللسان» (جود): نمته جواد.

ورواية «منتهى الطلب»: «أعراقها».

وقد اختار شيخنا هاتين الروايتين.

البيت الثالث والعشرون:

«ومرقبة طيرت عنها حمامها
نعامتها منها بضاحٍ مُزلَّق»

واختار الشيخ رواية «منتهى الطلب»:

«ومرقبة يزل عنها قتامها   يمامتها منها بضاح مذلق»

واستحسن الأستاذ محمود محمد شاكر أن يكون هذا البيت هو رقم (٢٤) لا كما جاء في «الأصمعيات»، على أن يكون البيت رقم (١٨) فيها، هو رقم (٢٣) في القصيدة، وسوف نرى ترتيبه فيما بعد.

البيت الرابع والعشرون:

«تبيت عتاق الطير في رقباتها

كَطُرَّة بيت الفارسيّ المعلق»

وفي «منتهى الطلب»:

«تبيض عتاق الطير في قُذُفاته   كطرة باب الفارسي المُغَلَّقِ»

البيت الخامس والعشرون:

«ربأت وحرجوج جهدت رواحها

على لاحب مثل الحصير المشَقَّقِ»

وفي «منتهى الطلب»: «مثل الحصير المنَمق»

البيت السادس والعشرون:

«تبيت إلى عدٍّ تقادم عهده

بحر، تقى مر النهار بغَلفَقِ»

استبدل «منتهى الطلب» كلمة (برودٍ) بكلمة (بِحَرٍّ) واختار الشيخ أن تكون الكلمة الأولى من البيت بالنون فنقول: «نبيتُ».

البيت السابع والعشرون:

«**كـأنَّ مـحـافـيـر الـسـبـاع حـيـاضـه**

لـتـعـريـسـهـا جـنـب الإزاء الـمـمـزِق»

ورواية «منتهى الطلب»: «الإزاء المخَرَّق».

«ولسان العرب»:

«كأن محافير السباع حفاظه»

البيت الثامن والعشرون:

«**مُـعَـرَّسُ ركـب قـافـلـيـن بِـصـرَّةٍ**

صِـرادٍ إذا مـا نـارهـم لـم تُـحَـرَّقِ»

الصرة: شدة البرد.

ورواية «منتهى الطلب»: «قافلين بضرةٍ».

وفي «لسان العرب»، مادة: (أزى): «لم تُخرَق».

البيت التاسع والعشرون:

«**فـدع ذا ولـكـن هـل تـرى ضـوءَ بـارق**

يـضـيء حـبـيًّـا فـي ذرًى مـتـألـقِ»

ورواية «منتهى الطلب»:

«يضئ حَبيًّا في ذرًى متألق»

وفي هامش مخطوطته وردت رواية «الأصمعيات» كما ذكرت قبل قليل، واختار الشيخ ما ورد في «الأصمعيات» وهامش «منتهى الطلب».

البيت الثلاثون:

«عَــلا الأكْــمَ مــنــه وابــل بــعــد وابــل

فــقــد أُرهــقــت قــيــعــانــه كــلَّ مــرهــق»

في «اللسان» (أتم) «على الأتم»، و«منتهى الطلب» كذلك، وفيه: «فقد رهقت».

البيت الحادي والثلاثون:

«يــجــر بــأكــنــاف الــبــحــار إلــى الــمــلا

ربــابًــا لــه، مــثــل الــنــعــام الــمــعــلَّــق»

في «منتهى الطلب»: «وجر بأكتاف»، ثم «إلى الصلا».

البيت الثاني والثلاثون:

«إذا قــلــت تــزهــاه الــريــاح دنــا لــه

ربــاب لــه مــثــل الــنــعــام الــموسَّــق»

لا توجد له رواية آخرى.

البيت الثالث والثلاثون:

«كــأن الــحُــداة والــمــشــايــعَ وســطــه

وعــوذًا مــطــافــيــلًا بــأمــعــز مُــشْــرق»

«منتهى الطلب»: «بأمعز تصدُق».

البيت الرابع والثلاثون:

«أســال ســقًــا يــعــلــو الــعــضــاه غــثــاؤه

يُــصَــفِّــق فــي قــيــعــانــهــا كــلَّ مَــصْــفَــق»

ورواية «منتهى الطلب» كما يلي:

«فأبلى سقًا يعلو العضاه غشاؤه يصفَّق منها الوحش كلَّ مُصَفق»

البيت الخامس والثلاثون:

«فجاد شرورًا فالستار فأصبحت

يعار له والواديان بمودق»

ورواية «منتهى الطلب»: «تعارُ».

البيت السادس والثلاثون:

«كأن الضباب بالصحارى عشَّيةً

رجال دعاها مستضيف لموسق»

رواية «منتهى الطلب»: «بالصحارى غُدَيَّة»، و«رجال دعاهم».

البيت السابع والثلاثون:

له حدب يستخرج الذئب كارهًا

يَمرُّ غُثاءً تحت غارٍ مطلَّق»

وفي «منتهى الطلب» الشطر الثاني:

«يهز الغثاء عند غانٍ بمطلق»

البيت الثامن والثلاثون:

«يَشُقُّ الحداب بالصحارى وينتحي

فراخَ العُقاب بالحقاء المحلق»

وليست له رواية أخرى.

وبعد فهذه مقابلة للروايات والزيادات على القصيدة مرتبة:

الأصمعيات	منتهى الطلب
من ١ إلى ١٧	من ١ إلى ١٧
١٨	٢٣
١٩	٢٠
٢٠	٢١
٢١	١٩
٢٢	٢٢
٢٣	٢٤
٢٤	٢٥
٢٥	٢٦
٢٦	٢٧
٢٧	٢٨
٢٨	٢٩
٢٩	٣٠
٣٠	٣١
٣١	٣٢
٣٢	-
٣٣	٣٨
٣٤	٣٣
٣٥	٣١
٣٦	٣٥
٣٧	٣٦
٣٨	-

وقد زاد صاحب كتاب «منتهى الطلب» بيتين، هما عنده كالتالي:

١٨ ـ مـعـرض أطـراف الـعـظـام مـشـرف
شـديـد مـشـكِّ الـجـنـب فـعـم الـمـنـطَّـقِ

٣٨ ـ يـحـرجـهـا رأس حـسـيـف كـأنـه
مـخـامُـر طـلـعٍ فـي ذراعٍ ومـرفـق

هنا يأتي ترتيب أبيات قصيدة خفاف بن ندبة، كما ارتضاها الأستاذ:

١ ـ ١٧ كما هي في النسخة المطبوعة، وهي متفقة مع «منتهى الطلب».

١٨ ـ معرض أطراف العظام مشرف
شديد مشكّ الجنب فعم المنطَّق

هذا البيت في «منتهى الطلب».

١٩ ـ من الكاتمات الربو...

٢٠ ـ إذا ما استحمت أرضه...

٢١ ـ ومدّ الشمال طعنه...

٢٢ ـ وعنه جواد...

٢٣ ـ بصير بأطراف الحداب...

٢٤ ـ إلى ٣٢ متفق عليه مع «منتهى الطلب».

٣٣ ـ فأبلى سفًى...

٣٤ ـ فجاد شرورى...

٣٥ ـ له حدب...

٣٦ ـ يحرجها رأس حسيف كأنه
مخامر طلعٍ في ذراعٍ ومرفق

وهو في رواية «منتهى الطلب».

٣٧ ـ كأن الضباب بالصحاري...

٣٨ ـ كأن الحُداة والمشاريع...

٣٩ ـ يشقّ الحِدابَ...

وهذه معلومات عن بعض ما مر في القصيدة من أمكنة:

١ ـ (**نجران**): موضع في جنوبي المملكة العربية السعودية بالقرب من حدود اليمن، يقال: إنه من أطيب البلاد.

٢ ـ (**رهوة**): جبل بنجران، ورد في كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني (ص٨٢ و**٢٣٣**).

٣ ـ (**جلذان**): وادي جلذان؛ وادٍ في شرقي الطائف منقلب إلى نجد، وله قاع واسع. قال البكري في «معجم ما استعجم»: «وهي أرض سهلة، ولذلك قالوا: أسهل من جلذان، وقالوا للأمر الواضح الذي لاخفاء به: قد صرَّحت جلذان...».

٤ ـ (**لية**): هي من سراة الطائف، وهي من الطائف على مسيرة أميال يسيرة، ومنازل سُليم: شرقي المدينة إلى الطائف.

٥ ـ (**الأعراض**): قرى بين نجد والحجاز والسراة، وأعراض المدينة قراها التي بين أوديتها، وهي بطون سوادها حيث الزرع والنخيل.

٦ ـ (**الجنينة**): موضع قريب من تلك المواضع.

٧ ـ (**ساجر**): ماء من مياه السر الذي هو التسرير، وهو بناحية حمى ضرية، وحمى ضرية بنجد، أما ساجر ففي اليمامة يمتد أحدهما إلى الآخر. يقول السمهري اللص الشاعر:

تمنَّت سليمى أن أُقيم بأرضها ... وأنّى وسلمى ـ ويبها ـ ما تمنَّتِ

ألا ليت شعرى هل أزورنَّ ساجرا ... وقد رويت ماء الغوادي وعلَّتِ

٨ ـ (**المشرَّق**): سوق بالطائف.

٩ ـ **(راكس)**: أرض بالطائف.

١٠ ـ **(وج)**: الاسم القديم للطائف.

١١ ـ **(الأتم)**: جبل في حرة بني سُليم، ورد ذكره في شعر النابغة دون تحديد، وهو في طريق مكة من الكوفة.

١٢ ـ **(البحار)**: ويقال: ذو بحار جبلان بنجد.

١٣ ـ **(الملا)**: قيل: هو موضع بعينه، اختلف في تحديده، وقيل: هو الأرض الرحبة المستوية.

١٤ ـ **(أمعز تصدق)**: الأرض المعزاء: هي الأرض الغليظة ذات الحجارة.

١٥ ـ **(أبلى)**، هذا اسم موضع ضمن بيت لم يرد في «الأصمعيات»، وصفه صاحب كتاب «أسماء جبال تهامة» وصفًا طويلًا، وهو جبل في ديار خفاف بن ندبة.

١٦ ـ **(سَفى)**: موضع لم يحدد.

١٧ ـ **(شَرَوْرَى)**: أرض في ديار بني سُليم في طريق مكة إلى الكوفة.

١٨ ـ **(الستار)**: بعد أبلى، وبها جبل يقال لها الستار، وهناك موضع آخر بهذا الاسم ولكن المراد في الشعر هذا الموقع القريب من أبلى وهو لبني سُليم.

١٩ ـ **(يعار)**: جبل ذكره صاحب كتاب «أسماء جبال تهامة».

٢٠ ـ **(الواديان)**: ورد ذكر هذا الموضع في كتاب «صفة جزيرة

العرب» فقال: «بلدة في جبال السراة، ويقال لها: سراة بني سليم».

٢١ ـ **(الحقاء)**: ذكره ياقوت الحموي في «معجم البلدان» فقال: هو جبل في تهامة. واستطرد الشيخ قائلًا: وقال عرام في كتابه «أسماء جبال تهامة»: «هناك مكان في ديار بني سُليم يقال له: الحلاء، وهو من جبال شواهق، لا تنبت شيئًا، ولا يُنتفع بها إلا ما يقتطع للرحاء والبناء، وينقل إلى المدينة منها. والحالق من الجبال المنيف المشرف، ولا يقال إلا للخالي من النبات، كأنه حُلق وهو فاعل بمعنى مفعول».

وهذه معاني بعض ما ورد في القصيدة بصورة عامة:

١ ـ قوله: (الكاتمات الربو) ورد في شعر النابغة الجعدي حيث يقول:

خِـيـط عـلـى زفـرة فـتـم ولـم
يـرجـع إلـى دقـة ولا هـضـمِ

يقول: إنه زَفرَ فبقي على حاله، إشارة إلى سعة صدره وعظم مُقَدَّمه.

٢ ـ وقوله: إذا ما استحمت أرضه من سمائه:

أرض كل دابة أرجلها أو حوافرها

٣ ـ قول خفاف في «الأصمعيات» (ص٩):

فـإمـا تَـرَيْ رأسـي تـغـيَّـر لـونـه
ولاحـت لـواحـي الـشـيـب فـي كـل مـفـرق

ينسب إلى سلامة بن جندل.

٤ ـ روي قول الشاعر:

كـــأن الـــربـــاب دويـــن الـــســـحـــا

ب نـــعـــام تـــعـــلـــيـــق بـــالأرجـــل

مفردًا في كثير من المراجع. وقد نسب إلى عدد من الشعراء منهم: حسان بن ثابت وابنه عبد الرحمٰن، وعروة بن جلهمة المازني.

عاد شيخنا بعد كل ما تقدم إلى القصيدة الأولى لخفاف بن ندبة، فبدأ يشرح معاني الكلمات الواردة في أبياتها، وسار في ذلك على ترتيب القصيدة، وهذا هو تفصيل ما أملى علينا يومذاك:

١ ـ من روايات هذا البيت: **(ألا)** وهي هنا تدل على التحقيق مع التحسر، والرواية المرتضاة هي:

«ألا طرقت أسماء لاحين مطرق»

٢ ـ قوله: «سرت كل واد» لم يقل: إلى كل واد أو في كل واد، فتعدى الفعل إلى (كل) وهذا جائز، أصل كلمة (سرى) خلع ثيابه. والسُّرى عند العرب المشي ليلًا، فكأن المرء قد لبس الليل ثم خلعه.

٣ ـ «أو كَـرْم بِـلِـيَّـة مـحـدق»

(الكرام المحدق): الذي وضعت حوله حديقة و**(أو)** في البيت في محل واو العطف. انظر: «لسان العرب»، مادة: (أوى)، و«أمالي الشجري» **(٢/ ٣١٥)**.

٤ ـ **(الجنينة)**: وصفها ياقوت فقال: هي روضة نجدية بين

ضرية وحزن بني يربوع. وذكر البكري صاحب كتاب «معجم ما استعجم»: الجنينة، فلم يخرج كثيرًا عن قول ياقوت، إلا أنه قال: أرض في ديار بني أسد ثم أحال على: ضرية.

(الظُّلم): الماء الذي يجري ويظهر على الأسنان لصفاء اللون لا بسبب الريق، فهو كالفرند للسيف، وأنت إذا نظرت إليه تتخيل أن فيه سوادًا لشدة البريق والصفاء.

والنبت في البيت: الثنايا.

ذكر الشاعر الحصين بن الحمام الأسنان فقال:

إذا ما اجتلى الرائي إليها بطرفه　　غروب ثناياها أنار وأظلما

خَيَّف: رأى الأستاذ أن ضبطه الصحيح هو خُيِّف بضم الخاء، والتخييف اشتقاق من الأخياف وهم الذين أمهم واحدة وآباؤهم شتَّى. يقال: خُيِّفَ الأمر بينهم: وُزِّع، وخُيِّفت عمور اللثة بين الأسنان: فُرِّقت. ويقال في المجاز: تخيف فلان ألوانًا إذا تغيَّر ألوانًا.

وفي هامش مخطوطة منتهى الطلب التخييف: ضروب سواد وبياض. وسُنَّة الوجه: يراد صورته وهيئته. يقول الشاعر:

تأملتها معترة فكأنما　　رأيت بها من سنة البدر مطلعا

إذا ما ملأت العين منها ملأتها　　من الدمع حتى أنزف الدمع أجمعا

ويقول ذو الرُّمة:

لها سنة كالشمس في يوم طلقة　　بدت من سحاب وهي جانحة العصر

يوم طلقة: يوم ساكن لا برد فيه ولا حر.

ويقول:

تـريـك سـنـة وجـه غـيـر مـقـرفـة

ملساء ليس بها خال ولا ندب

غير مقرفة: عفيفة كريمة، جميلة الوجه.

الرئم هنا: ولد الظبي، وظاهر اللفظ أن الرئم هو الذي ترأمه أمُّه، ورأمته: عطفت عليه، والعرب تشبه المرأة كثيرًا بصغار الظباء، يقول طفيل الغنوي:

ديـار لـسـعـدى إذ سـعـاد جـدايـة   من الأدم خمصان الحشا غير حثيل

والمختار هنا رواية موثق بدلًا من مونق.

٥ ـ تئية من أيا بالمكان تلبَّث به، والتئية تستعمل للوقت القليل، قال الحادرة:

ومـــنـــاخ غـــيـــرِ تـــئـــيِّـــة عَـــرَّســـتـــه

قـــمـــن مـــن الـــحـــدثـــان نـــابـــي الـــمـــضـــجـــع

ويقول عصام بن حبتر في كتاب «نوادر أبي زيد»:

ونـار حـضـأنـاهـا لـغـيـر تـئـيَّـة   قبيل غروب الشمس يُخبا وقودها

قـلـيـلًا ثـويـنـا عـنـدهـا غـيـر سـاعـة   مـن الـلـيـل إلا لـيـث صـر فـئـيـدهـا

الفئيد: الشواء، صر: يرد.

ويقول خفاف بن ندبة من قصيدة له أخرى:

ومـا إن أحـورُ الـعـيـنـيـن طـفـل   تـتـبـع روضـة يـقـرو الـسـلامـا

بـوجـرة أو بـبـطـن عـقـيـق بُـسٍّ   يَـقـيـل بـه إذا مـا الـيـومُ صـامـا

إذا مـا اقـتـافـهـا فـحـنـت عـلـيـه   دنـت مـن وِهْـدِ دانـيـة فـنـامـا

بـأحـسـن مـن سـلـيـمـى إذ تـراءت إذا مــا ريــع مــن ســدفٍ فــقــامــا

«منتهى الطلب» (١/ ١٣٨).

ويقول علقمة بن عبده:

صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبة كـأنـهـا رشـأ فـي الـبـيـت مـلـزوم

(فالرئم): ابن الظبية الصغير.

(والرشأ): ولد الظبية إذا تحرك واستطاع المشي.

٨ ـ الرواية المختارة هي:

وأبــدى بــئــيــس الــحــج مــنــهــا مــعــاصــمــا
ونــحــرًا مــتــى يــحــلــل لــه الــطــيــب يــشــرَق

الـ**(بئيس)**: الذي فيه شدة وفقر.

(الطيب): عند العرب هو الزعفران، ويسمونه الصفرة، ويقولون من أجل هذا: الأصفران: الذهبُ الزعفران، فإن زيد في صنعه رهقته صفرة، فإن أفرط فيه شاكل لون السواد، ولون الزعفران: أحمر «المخصص» لابن سيده (١١/ ٢١١)، وكانت النساء تتمسح بالزعفران في العرس وغيره، والجارية تردع به صدرها ومقاديم جيبها، يقول الأعشى:

ورادعـة لـلـطـيـب صـفـراء عـنـدنـا لـجس الندامى في يد الدرع مفتق

إذا قلت غَنِّي الشّرب قامت بمزهر يـكـاد إذا دارت بـه الـكـف يـنـطـق

ويسمون الزعفران العبير، فيشبهونه بدم الظباء، يقول أبو ذؤيب:

وسربٍ تَطَلَّى بالعبير كأنه دماء ظباء بالنحور ذبيح

ويقول امرؤ القيس:

حور تُعلَّل بالعبير روادعا كمها الشقائق أو ظباء سلام

ويسمونه ـ أيضًا ـ الجادي، يقول الشاعر:

كأنَّ لون البيض في الأدحي منهنَّ لولا صفرة الجادي

والتشريق: الصبغ بالزعفران، وأصل الشرق: الحمرة، ويقال: شَرِقَ الشيء إذا احْمَرَّ واشتدت حمرته، ويقال: كلّمت فلانًا فشرق لونه، ويقال: لحم شرق، لا دهن عليه، وشَرِقَ النخل: إذا تلون بحمرة وهو ظهور ألوان البسر، وشَرِقَتْ الشمس: ضعُف ضوؤها، يقول المخبل السعدي:

والزعفران على ترائبها شَرِقٌ به اللَّبات والنحر

ويقول عبد بني الحسحاس:

كأن الثريا علّقت فوق نحرها وجمر غضى هبت له الريح ذاكيا

ويقول قيس بن الخطيم:

كأن الثريا فوق ثغرة نحرها تَوَقَّد في الظلماء أي توقُّد

ويقول ذو الرمة:

«كأنها فضة قد مسَّها ذهب»

ويقول امرؤ القيس:

كأن على لبَّاتها جمرَ مصطلٍ أصاب غَضًى جزلا وكف بأجْزال

والثريا تُرى حمراء اللون.

٩ ـ قوله:

فـإمـا تـريْ رأسـي تـغـيَّـر لـونـه ... ولاحت لواحي الشيب في كل مفرق

(لواحي): أصلها لوائح، **(رَيْقُ الشباب)**: من راق الشراب أو الماء؛ إذا ظهر على وجه الأرض، ثوب **أجرد)**: ذهب زئبره؛ أي: زالت جدَّتُه، وقد ألحق بهذا المعنى سحق، ولكنها في الحقيقة تزيد على ذلك، فهي أكثر منها في التعبير عن زوال الحدَّة، والجنوح نحو البلى.

(ويلاحظ أن شرح البيت العاشر قد دخل مع شرح البيت التاسع).

والبيت العاشر هو:

وزايــلــنــي ريــق الــشــبــاب وظــلــه
وبــدلــت مــنــه ســحــق أجــرد مــخــلــق

وفي «الأصمعيات»: سحق آخر مخلق.

وعن الشباب وذهابه، يقول الشاعر النابغة الجعدي:

ذهب الشباب فلا شباب جُمانا ... وكـأنَّ مـا قـد كـان لـم يـكُ كـانـا

وطويت كفي يا جُمانُ على العَصَا ... وكـفـى جـمـانُ بِـطَـيِّـهـا حـدثـانـا

يـا مـن لـشـيـخ قـد تـخـدَّدَ لـحـمـه ... أفـنـى ثـلاث عـمـائـم ألـوانـا

سـوداء حـالـكـة، وجـردُ مُـفَـوَّف ... وأجـدَّ لـونًـا بـعـد ذاك هـجـانـا

صحب الزمان على اختلاف فنونه ... فـأراه مـنـه كـراهـة وهـوانـا

قـصـر الـلـيـالـي خـطـوهُ فـتـدانـى ... وَحَـنَـوْنَ قـائـم صـلـبـه فـتـحـانـا

والـمـوت يـأتـي بـعـد ذلـك كـلـه ... وكـأنـمـا يـعـنـي بـذاك سـوانـا

ثم يقول خفاف:

١١ ـ فعشرة مولى قد نعشت بأسرة
كرام وأبطال لدى كُلِّ مأزق

والرواية: «كرام على الضراء من كل مصدق».

الـ(**مولى**): القريب، نعشه: تداركه من هلكة حتى ارتفع ونهض، والمأزق: الشِّدة:

١٢ ـ يقول خفاف:

وغمرة مخمور نعشت بشربة
وقد ذم قبلي ليل آخر مطرق

وهي في «الأصمعيات»:

«وحِرَّة صاد قد نضحت بشُربة»

الـ(**حِرَّة**): بكسر الحاء، حرارة العطش والتهابه، الصادي: الظمآن، نضح عطشه: سكّنه، (**الشُّربة**): بضم الشين: مقدار ما يشربه الإنسان ليروي ظمأه.

١٣ ـ ويقول خفاف:

ونهب كجمَّاع الثريا حويته
غشاشًا بمحتات القوائم خيفق

الـ(**نهب**): الإبل التي يُغار عليها، و(**الثريا**): نجم مكون من ستة أنجم ظاهرة وكثير غيرها خفية، الدبران: هو تابع النجم لأنه يتبع الثريا، وبين يديه كواكب كثيرة منها اثنان متقاربان يكادان

يتماسان، يقول العرب: هما كلباه، والبواقي يُقال لها: القلاص، **(غشاشًا)**: في وقت مبكر قبل غيره، قال الشاعر:

ومـا أنـسـى مـقـالـتـهـا غـشـاشًـا   لـنـا، والـلـيـل قـد طـرد الـنـهـارا
وصـاتـك بـالـعـهـود فـقـد رأيـنـا   غـراب الـبـيـن أوكـب ثـم طـارا

يقال: فرس حتُّ القوائم؛ أي: سريع السير، خفيف، وقال سلامة بن جندل:

مـن كـل حـتٍّ إذا مـا ابـتـلَّ مُـلـبَـدُهُ   ضافي السبيب أسيل الخد يعبوب

ويقال: شجرة محتات؛ أي: منثار، تنثر ورقها، والخيفق: قليل اللحم.

ومن الشعر الدال على بعض ما تقدم قول جواس بن حيان الأزدي:

ولـــقـــد أُقـــدم فـــي الـــرو   ع، وأحـــمـــى الـــمـــســـتـــضـــافـــا
ثـــم لا يـــحـــمـــدنـــي الـــضـــيـــ   ـف إذا ذمّ الـــضـــيـــافـــا

١٤ ـ ومـعـشـوقـة طـلـقـتـهـا بـمـرشـة
لـهـا سَـنَـنٌ كـالأتْـحَـمِـيِّ الـمـخـرق

(المرشّة): هي الطعنة التي يندفع بسببها الدم، طعنته فجاء منها سنن يدفع كل شيء، وذلك إذا خرج الدم بمجموعة، وفُسِّر **(السنن)** في طبعة من طبعات «الأصمعيات»: بالطريق، وأصله من السن، وهو الصُّلب، و**(الاتحمي)**: نوع من البرود.

١٥ ـ فـبـاتـت سـلـيـبًـا مـن أنـاس تـحـبـهـم
كـئـيـبًـا، ولـولا طـعـنـتـي لـم تُـطَـلَّـق

(**السليبة**): التي سُلبت زوجها؛ أي: مسلوبة.

١٦ ـ وخيل تهادى لا هوادة بينها
شهدت بمدلوك المعاقم محنق

قال ظالم بن البراء:

وخيل تداعى لا هوادة بينها شهدتُ فلم يملأ طرادهُمُ صدري

(**المعقم**): المفصل، يريد أن يقول: لقد أطبق مفاصله بعضها على بعض. الحجبة: ملتقى آخر الصلب، الـ(**محنق**): الضامر الذي التصق بطنه بظهره.

١٧ ـ طويل عظام غير خاف نمى به
سليم الشظا في مكربات المطبَّق

لوصف الخيل انظر: كتاب «الخيل» لأبي عبيدة (ص٦٠)، (**المكرب**): المعقود عقدًا شديدًا. و(**المطبَّق**): انطباق الركبة مع الساق انطباقًا شديدًا:

يخطو على عسب عوج سمقن به فيهن أطرٌ وفي أعلاه تقبيب

١٨ ـ معرض أطراف العظام مُشَرَّفُ
شديد مشك الجنب فعم المنطَّق

روي الشطر الثاني من هذا البيت لامريء القيس.

(فرس مُشَرَّفُ الخلق): مشرف أعالي العظام، (**مشك الجنب**): موضع مغرز الجنب والصلب، (**فعم المنطَّق**): ممتليء الجوف.

١٩ ـ من الكاتمات الربو تمزع مُقدِما
سَبُوقًا إلى الغايات غير مُسبَّق

هو (٢١) في «الأصمعيات» المطبوعة. **(الربو)**: النفس العالي. يقول بشر بن أبي خازم:

كأن خفيف منخره إذاما كتمن الربو كير مستعار

وقال النابغة الجعدي:

خِيطَ على زفرة فتم ولم يرجع إلى دِقة ولا هضمْ

ومثله قول الراعي النميري يصف الإبل:

حوذية طُويت على زفراتها طيَّ القناطر قد بُزلن بزولا

وقال النابغة الذبيان في المزع:

والخيل تمزع قُبْلًا في أعنتها
كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البَرَدِ

ولسويد بن أبي كاهل:

فركبناها على مجهودها بصلاب الأرض فيهن شَجَعْ

أي: صلاب القوائم، يقال: قوائم شجعات إذا كان سريعات التنقل.

٢٠ ـ إذا ما استحمت أرضه من سمائه
جرى وهو مودوع وواعد مَصْدق

وهو التاسع عشر في «الأصمعيات» المطبوعة.

(سماء الفرس): ما كان من عجب ذنبه إلى العذار؛ موقع العذار، وأرضه: قوائمه، **(واعد مصدق)**: يعدك بجري صادق. وهو مودوع: أي: وادع.

(العَجْب: أصل الذنب)، وعذار الدابة: ما قَرُبَ من موضع لجامها.

٢١ ـ وهو رقم **(٢٠)** في المطبوعة:

وناص الشمال طعنه في عنانه
وباع كبوع الشادن المتطلق

ورواية «منتهى الطلب» التي اعتمدها الأستاذ هي:

وناص الشمال طعنه في عنانه وباع كبوع الخاضب المتطلق

(**ناص الشمال**): تجاذب الفارس مع الدابة فهو يمسك العنان والدابة تشد، فكأنَّ الحصان يطعن في العنان من شدة الجري.

وجاء في كتاب الحيوان للجاحظ (ج١): «إذا قيل للثور خاضب، فإنما يريدون أن البقل قد خَضَّبَ أطرافه بالخضرة، وإذا قيل للظليم (ذكر النعام) خاضب، فإنما يريدون حمرة وظيفية (أي: ساقيه)، فإنهما يحمرَّان في القيظ، وإذا قيل للرجل خاضب، فإنما يريدون الحناء، فإذا كان خاضبًا بغير الحنَّاء قالوا: صَبَغ ولا يقال: خَضَبَ.

(**باع**): أبعد الخطو، تَطَلَّق الظبي والنعام: أسرع في عدوه.

٢٢ ـ وعته جواد لا يباع جنينها
بمنسوبة أعراقه غير مُحْمِقِ

(**غير محمق**): لا تلد الحمقى. (**وعته**): حفظته.

٢٣ ـ وهو الثامن عشر في المطبوع برواية «منتهى الطلب»:

بصير بأطراف الحداب ترى له
سراة تُساوى بالطراف المزوَّق

الـ(**سراة**): الظهر، (**الطِّراف**): قبة من أدم (جلد).

قال ظالم بن البراء:

وبالكف سرحوب كأن سراتها طراف عروس مَدَّدَتْه من القطر

٢٤ ـ وهو الثالث والعشرون في المطبوعة:

ومرقبة طَيَّرتُ عنها حمامها
نعامتها منها بضاحٍ مُذَلَّق

قال لبيد:

فعلوت مرتقبًا على ذي هبوة حرج إلى أعلامهن قتامها

وقال أبو خراش الهذلي:

في ذات ريد كَذَلْقِ الفأس مشرقة طريقها سرب بالناس دعبوب

ولجرير قوله:

بأغبر خفاف كأن قتامه دخان الغضى يعلو فروج المخارم

(**الضاحي**): هو البارز للشمس، ليس هناك ما يستره عنها، (**مذلَّق**): محدد، يقال: سنان مذلق؛ أي: محدَّد، ومنها قيل: ذلاقة اللسان، قال أبو كبير الهذلي:

عنقاء معتقة يكون أنيسها وُرق الحمام حميمها لم يؤكل

وكل كريم من الطيور يعد من عتاقها.

٢٥ ـ تبيت عتاق الطير في وقناتها
كطرة بيت الفارسي المعلق

وهو الرابع والعشرون في «الأصمعيات»:

الأقنة والوقنة: محضن الطائر في رأس الجبل، و(**الأقنة**): الخضرة في الجبل «لسان العرب». (**الطُّرَّةُ**): السحاب المستطيل في الأفق.

قال عمر بن حسان:

ألا يا أم قيس لا تلومي ... وأبقي، إنما ذا الناس هام
أجدَّك هل رأيت أبا قيس ... أطال حياته النعم الركام
بنى بالغمر أرعن مشمخرًا ... تُغنِّى في طوائقه الحمام

وقالوا: الطوالق. ولكعب بن زهير:

ولا حبٍ كحصير الراملات ترى ... من المطيِّ على حافاته جِيَفَا

وله أيضًا:

ومستهلك يهدي الضلول كأنه ... حصير صناعٍ بين أيدي الروامل

٢٦ ـ وهو الخامس والعشرون في المطبوعة.

ربأت وحرجوج جهدت رواحها
على لاحب مثل الحصير المشققِ

(**ربأت**): علوتها مرتبئًا؛ أي: صرت عينًا لقومي وطليعة لهم. الناقة (**الحرجوج**): الوقادة الحادة القلب، (**الرواح**): السير في كل وقت، وأصله: المسير في العشيِّ من زوال الشمس إلى آخر الليل. (**اللاحب**): الطريق الموطَّأ.

٢٧ ـ وهو السادس والعشرون في المطبوعة:

تبيت إلى عدٍ تقادم عهده
بَحرٍّ، تقى حر النهار بغلفق

(**العد**): هو ماء غزير لا ينقطع. (**الغلفق**): نبت عراض الأوراق ينبت من أسفل الماء إلى أعلاه.

٢٨ ـ وهو البيت السابع والعشرون.

كأن محافير السباع حياضه
لتعريسها جنب الإزاء الممزق

في البيت (**الإزاء**): وهو مصب الماء في الحوض. قال خفاف بن ندبة:

ذعرت الذئب يحفر كل حوض
ويقضم في معاطنها العظاما

(**يحفر الحوض**): ينام في برده (هامش مخطوط «منتهى الطلب»).

وقال ربيعة بن مقرون الضبِّي:

وماءٍ آجن الجمَّات قفر تعقم في جوانبه السباع

تعقم: تحفر.

وقال مضرس بن ربعي:

فألقت عصا التسيار عنها وخيَّمت بأرجاء عذب الماء زرق محافره

وقال ذو الرمة:

يرود الرخامى لا ترى مستطافة ببلّوقة إلا كثير المحافر

التعريس: النزول في الليل.

ولذي الرمة أيضًا:

وماء قديم العهد بالناس آجن كأن الدبا ماء الغضى فيه يبصقُ

وللبيد:

سدمًا تقادم عهده بأنيسه من بين أصفر ناصع ودفان

السدم: الماء القديم، الدفان: المدفون.

٢٩ ـ وهو الثامن والعشرون في المطبوعة.

مُعَرَّسُ رَكْبٍ قافلين بصِرَّةٍ
صِرادٍ إذا ما نارهم لم تُحَرَّقِ

(صراد): جمع ليس في «المعاجم»، وقد ذكر في الشافية حملوا فعِل بكسر العين على فَعَلَ بفتحها كحسن وحسان، فصرد وصراد كوجع ووجاع حملوه على حسن وحسان. ومعنى صراد: أصابهم البرد.

قال امرؤ القيس:

كأنَّ على لباتها جمر مصطلٍ أصاب غضًى جزلًا وكف بأجزال

وَهَبَّتْ له ريح بمختلف الصُّوى صبا وشمال في منازل قُفَّال

القفّال: الراجعون من السفر، وخصهم لاحتياجهم إلى النار عند النزول. وهم لم يوقدوا نارًا مخافة أن تراها السباع فتأتيها، وكانوا في أشد البرد.

قال الشاعر:

ودوية لا يُثقِب النار سفرها وتضحى بها الوجناء وهي لهيد

قال ابن قتيبة: لا يوقدون النار من مخافتهم، ولكنهم يتبلغون بأدنى شيء منها. قال المرقش الأكبر، في إشارة إلى حضور السباع إلى النار:

ولما أضأنا النار عند شوائنا حياء وما فحْشِي على من أجالسُ
فآط بها جذلان ينفض رأسه كما آب بالنهب الكمي المحارسُ

قال الفرزدق:

وأطلس عسال وما كان صاحبًا دعوت لناري موهنًا فأتاني

وقال عبيدة بن همام

أتوني فلم أرض ما بيتوا وقد طرقوني بأمر نكر
لأنكح أيِّهِم مُنذرًا وهل يُنكح العبَد حُرًّا لحر

حر لحر: حر قد ولته الأحرار، مثل: كريم لكرام فاللام للنسب. والشعر منسوب ـ أيضًا ـ للأسود بن يعفر في «تفسير الطبري» (٨/ ٥٦٣)، وكتاب «الحيوان» للجاحظ (٤/ ٣٧٦)، وقصة هذا الشعر كاملة في كتاب «الحيوان».

٣٠ ـ وهو التاسع والعشرون في المطبوعة.

فدعْ ذا ولكن هل ترى ضوء بارق
يضيء حبيًا في ذرى متألِّق

(**الحبي**): صفة من حبا يحبو كما يحبو الصبي، ويوصف به كل ما كان مثقلًا بحمل، والحَبيُّ في البيت السحاب المثقل بالماء، وهو أسود اللون غالبًا، يخيل إلى رائيه أن مسيره في السماء بطيء، قال الشاعر:

وأقبل يزحف زحف الكبيـ ـر سياق الرعاء بِطاءَ العشارا

والصفة في: المتألق للجبل، وقد وصف الجبل، بالتألق في حالة البرق، ولا يوصف بالتألق إلا في هذه الحالة.

٣١ ـ وهو البيت الثلاثون في المطبوعة.

عـلـى الأكـم مـنـه وابـل بـعـد وابـل
فـقـد أرهـقـت قـيـعـانـه كـلَّ مـرهَـق

(**الوابل**): هو المطر الشديد، وتصحح (**الأكم**) إلى: الأتم، ويجوز: وقد رهقت قيعانه، و(**رهقته**): غطته، (**القاع**): الأرض المستوية.

٣٢ ـ وهو البيت الحادي والثلاثون في المطبوعة.

فَـجَـرَّ بـأكـنـاف الـبـحـار إلـى الـمـلا
ربـابًـا لـه، مـثـل الـنـعـام الـمـعـلـق

(**الرباب**): السحاب دون معظم السحاب كالمتعلق بما فوقه، «الكامل» للمبرد (**٢/ ٢٩٧**).

ولجرير قوله:

سقى الرمل جون مستهل ربابُه ... وما ذاك إلا حب من حل بالرمل

سئل أبو عمرو بن العلاء عن الرباب فقال: أما تراه معلقًا بالسحاب كأنه ذيل له، أما تراه في قول زهير بن عروة المازني، وهو جاهلي:

إذا اللَّه لم يَسْق إلا الكرا ... م فأسقَى ديار بني حنبل

ملثًا مربًّا له هيدب ... ضجور الرواعد والأزمل

تكركره خضخضات الجنو ... ب وتُفزعه هزَّة الشمأل

كأن الرباب دوين السحا ب نعام تعلق بالأرجل
كان الركية من فيضه إذا ما بدا فلكه المغزل

«لسان العرب»، مادة: (ربب).

البيت الثاني في «اللسان» هكذا:

أجشَّ ملثًّا غزير السحا ب هزيز الصلاصل والأزمل

والبيت الأخير ليس في «اللسان»، واسم الشاعر في «اللسان» عروة بن جلهمة المازني.

٣٣ ـ وهو البيت الرابع والثلاثون من المطبوعة.

أسال سفا يعلو العضاة عثاؤه
يُصفق في قيعانها كل مَصْفَق

(سفًا): موضع في نواحي المدينة، **(والغثاء)**: كل ما يحمله السيل من الزبد والأوساخ. **(التصفيق)**: التحرك، تصفق الرجل: تقلب، وتردد من جانب إلى جانب، ووصفوا الدهر بذلك قال القطامي:

وأبين شيمتهن أول مرة وأبى تقلُّب دهرك المتصفق

ويقال: صفق الشراب؛ حَوَّلَهُ من دنٍّ إلى دنٍّ حتى يصفو، وتصفيق الإبل: تحويلها من مرعًى إلى مرعى آخر، ويقال رجل صفَّاق: كثير الأسفار، ومنه الأفَّاق.

فالوحش غِشيّها السيل فخرجت من حجورها ذاهبة إلى هنا وهناك، فكأنها ثوب يُصَفِّقُه الهواء.

٣٤ ـ وهو البيت الخامس والثلاثون في المطبوعة.

فـجـاد شـروری فـالـسـتـار فـأصـبـحـت

يـعـار لـه والـواديـان بـمـودق

(**المودق**): معترك الشَّر، يقال: «ودق منه أو إليه» دنا منه دنوًّا شديدًا، والمودق: نزول الودق وهو المطر. و(**شروری**) و(**الستار**) و(**يعار**): أسماء أماكن.

٣٥ ـ وهو البيت السابع والثلاثون من «الأصمعيات» المطبوعة:

لـه حـدب يـسـتـخـرج الـذئـب كـارهًـا

يُـمِـرُّ غـثـاء تـحـت غـارٍ مُـطَـلَّـق

(**له حدب**): الحدب ارتفاع السيل وكثرته، وتصحيح عجز هذا البيت، هكذا:

«يهزُّ الغثاء عند غان بمطلق»

والتصحيح عن نسخة «منتهى الطلب»، غني بالمكان حَلَّ به، (**والمطلق**): المكان الذي ليس به سيل، فالذئب هزَّ ما عليه من الغثاء عند ذئب آخر مقيم بمكان بعيد عن السيل. وجار الضبع: هو المطر الشديد الذي يُخرج الضباع من وُجُرها. «اللسان»، مادة: (وجر).

٣٦ ـ يُـحَـرِّجُـهَـا راش خـشـيـف كـأنـه

مُـخـامـر ظـلـع فـي ذراع ومـرفـق

وهو غير موجود في «الأصمعيات».

يقول الجاحظ: كل ذئب أغزل، شنج النسا، وإن أحثَّ إلى المشي، فكأنه يتوجَّى، والغزل: أسوأ العرج، وتكون مع الغزل دقة

الساقين، ولا يكون أغزل حتى يجمع هاتين الصفتين، وهذه هي صفة الذئب.

يقول كثيِّر عزة:

وكنت كذات الضلع لما تحاملت   على ظلعها يوم العثار واستقلت

(والمخامر): هو الذي خامر الداء؛ أي: خالطه، وحمَّلَهُ هنا معنى مخالطة الداء مع التوجع، والضبع تشارك الذئب في هذه الصفة؛ أي: العرج.

(يحرجها): الكلاب المحرّجة المقلَّدة، وكل قلادة للحيوان هي: حِرْج. وكلب مُحَرَّج: مقلَّد.

الـ**(راش)** ﷺ: **الضعيف المهزول. (خشيف)**: الخَشَف هو المَرُّ السريع، يقال: خَشَف في الأرض يخشفُ خشفانًا.

٣٧ ـ وهو البيت السادس والثلاثون في «الأصمعيات»:

كـأن الـضـبـاب بـالـصـحـارى عـشـيـة
رجـال دعـاهـا مـسـتـضـيـفٌ لـمـوسـق

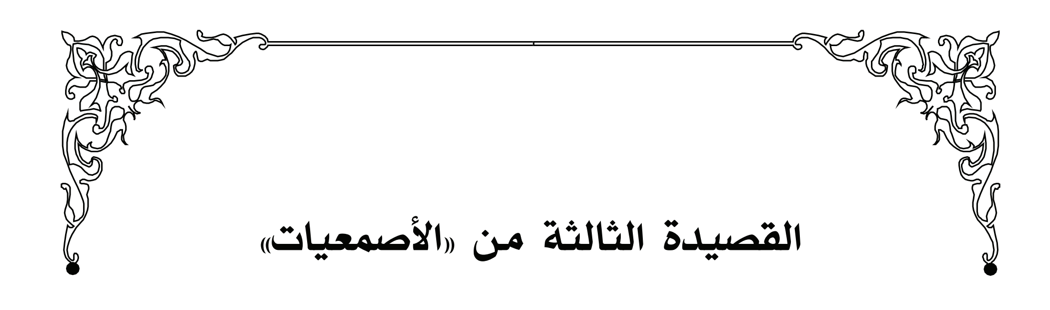
(الموسق): أصله من الوسق وهو الطرد، ومنه الوسيقة وهي من الإبل كالرفقة من الناس، فإذا سُرقت طردت معًا، ويقال: وسق الإبل فاستوسقت؛ أي: طردها فأطاعت والموسِق هنا: الغارة، حيث يقوم المغير بسوق إبل الحي أمامه.

٣٨ ـ وهو البيت الثالث والثلاثون من المطبوعة:

كـأن الـحـداة والـمـشـايـع وسـطـه
وَعُـوذًا مـطـافـيـلًا بـأمـعـز مُـشْـرق

أشاع بالإبل: أهاب بها وصاح إذا استأخر بعضها، فهو يُصوِّت بها ليلحق آخرُها أوَّلَها. وهناك صوت السباع: وهو صوت قصبة ينادي بها الراعي، **(والمشايع)**: اسم جنس هنا. و**(العوذ)**: جمع عائذ، وهي حديثه النتاج، وسُمِّيَت عائذًا لأن ولدها يعوذ بها، و**(المطافيل)**: جمع مُطفل، وهي التي معها أولاد.





القصيدة الثالثة من «الأصمعيات»

هذه هي القصيدة الثالثة من قصائد «الأصمعيات» وهي لخفاف بن ندبة، وقد سبقتها أصمعية له أوردناها وذكرنا شرح الأستاذ لها، وأمضينا وقتًا كافيًا في التعريف بالشاعر عند عرض القصيدة السابقة مما لا يستدعي الرجوع إليه هنا.

ومطلع القصيدة هو:

طـرقــتْ أسـيــمــاءُ الــرحــال ودونــنــا

مــن فــيــد غــيــقــة ســاعــد فــكــثــيــب

وفيها يتحدث عن طيف محبوبته، وكيف سرى إليه من مكان بعيد، مما جعله يعجب لذلك. ويتحدث خفاف عن صبره على الجفاء، وعن صلابته وكرم نفسه وكياسته، كما يُورد ذكر مغامراته، وقطعه البوادي، وتنفيره للطيور والسباع ببغام ناقته التي شبهها بالحمار الوحشي، ثم يكمل قصيدته بوصف الفرس. وهذا هو ملخص ما ورد في هامش «الأصمعيات» وقد كتبه المحققان تحت عنوان «جو القصيدة».

وفيد وغيقة وساعد وكثيب أسماء لأماكن في جزيرة العرب.

والبيت الثاني بروايةٍ اختارها الشيخ أيضًا:

فــالــطــود فــالــمــلــكــان أصــبــح دونــهــا

فَــفِــراع قــدسَ فــعــمــقــهــا فــخــشــوب

(والملكان) و**(خشوب)**: اسما مكانين.

ذكر أستاذنا أن هذه القصيدة التي تضم خمسة عشر بيتًا كما جاء في «الأصمعيات»، تتناثر أبياتها في الكتب فالبيت (١١) نجده في «لسان العرب»، مادة: (نذر) وفيه أن الفرس إذا صفرت باللجام فكأنها رجل يلوح بيديه. وفي كتاب «المعاني الكبير» (ص٥١) نجد البيت (١٢) وهو محرف في «الأصمعيات» وصوابه في «المعاني»:

حام على إثر الشّياه كأنه ... إذ جد سجل نزيَّة مصبوب

والبيت الخامس عشر في «المعاني» (ص١٦٠) وروايته:

ربد الخلاف إذا اتلأبَّ ورجله ... في وقعها ولحاقها تحنيب[١]

ربد: خفيف القوائم، الخلاف: المشي على شق (جانب) اتلأبَّ: رفع صدره ورأسه، التحنيب: عوج في ساق الفرس.

ويقول استمرارًا للشرح السابق:

أبلى: ورد ذكرها مع غيقة في شعر الشماخ بن ضرار الغطفاني حين يقول:

فباتت بأبلى ليلة بعد ليلة ... بحاذة واجتابت نوًى عن نواهما

وراحت على الأفواه أفواه غيقة ... نجاء بفتلاوين ماضٍ سراهما

فِراع: جمع فرعة، والفرعة رأس الجبل، والعمق: هو عمق الوادي، الصَّرْم: القطع البائن، سيف صارم: قاطع. يقول الشاعر:

وإذا تجوزها حبال قبيلة ... أخذت من الأخرى إليك حبالها

---

(١) سوف يأتي في آخر شرح القصيدة.

وجاء في «لسان العرب»: الحبل في كلام العرب ينصرف إلى عدة وجوه منها العهد والميثاق.

ثم ذكر أن (في) تأتي بمعنى (من) واستشهد لذلك بما ورد في كتاب «مغني اللبيب» الذي لم يمثل لذلك إلا بقول امرئ القيس:

ألا عمْ صباحًا أيها الطلل البالي ... وهل يَعمنْ من كان في العصر الخالي

وهل يَعمنْ من كان أحدث عهده ... ثلاثين شهرًا في ثلاثة أحوال

أي: الذي كان من العصر الخالي.

وفسَّر صاحب «لسان العرب» قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ ﴿١٢﴾﴾ [النمل: ١٢]؛ أي: أن هذه الآية من تسع آيات.

وفي «مجالس ثعلب» (ص٤٥٤) بيت لحسان بن ثابت يدل على مجيء (في) بمعنى (من) وهو:

قالوا له: أمران فاختر منهما ... فاختار في الرأي الذي هو أرفق

وكقولك: خذ لي عشرًا من الإبل وفيها فحلان؛ أي: منها.

وقال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣]؛ أي: منكم شدة عليهم (١٤/ ٥٧٦).

فالبيت الثالث وهو قول خفاف:

فلئن صرمت الحبل يا ابنة مالك

والرأي فيه مخطئ ومصيب

وهو من أدل الأدلة على مجيء (في) بمعنى (من)، ولكنه لم يُذكر في الشواهد النحوية.

والبيت الرابع هو:

فتعلَّمي أني أمرؤ ذو مِرَّة

فيما ألَمَّ من الخطوب صليبُ

وفي الحديث: «**تعلموا أن ربكم ليس بأعور**»، وقوله ﷺ: «**ليس يرى أحد منكم ربه حتى يموت**» قال الحافظ ابن حجر: أصله تعلموا (منّي) فحذف هذه، وذلك يقال في الأمر المحقق. أما في الشعر فقد ورد كثيرًا كقول غلفاء بن الحارث الكندي:

تعلمْ أن خير الناس طُرًّا قتيل بين أحفار الكلاب

وزهير بن أبي سلمى:

تعلمْ أن خير الناس بيت على جفر الهباءة ما يريم

وأبي صخر الهذلي، وقد نسب إلى الحارث بن وعلة في «اللسان» خطأ:

فتعلمي أني كلفت بكم ثم افعلي ما شئت عن عِلْمِ

المرَّة: يقال مرَّ الحبل: فتله فتلًا شديدًا، و(**المرة**): إحكام الفتل. (**ألَمَّ**): دنا دنوًّا شديدًا.

والبيت الخامس هو:

أدع الدناءة لا ألابس أهلها

ولديَّ من كيس الزمان نصيب

(**الكيس**): التجربة، وهي ـ أيضًا ـ صفة من صفات الكرم.

قال رافع بن هريم:

فهلّا غير عمّكم ظلمتم إذا ما كنتمُ متظلمينا
عفاريتًا عليَّ وأكل مالي وجُبنًا عن رجال آخرينا
فلو كنتم لمكيسة أكاست وكَيْسُ الأم يعرف في البنينا
ولكن أمكم حمقت فجئتم غثاثًا لا نرى فيكم سمينا

❑ ❑ ❑

والبيت السادس الذي نصه:

وَمُعبَّد بيض القطا بجُنوبه
ومن النواعج رمة وصليبُ

قالوا: **(المعبد)**: هو الطريق المسلوك المذلل، وقيل: هو الذي تكثر فيه المسالك المختلفة، وقيل هو الموطوء، وأنشدت الكلابية قول الراجز:

وبلد نائي الصوى
مُعبَّد قطعته
بذات لوث جلعد

فقالت: المعبد الذي ليس فيه أثر ولا عَلم ولا ماء. وقال ابن الأنباري في شرح قول المخبَّل السعدي:

وَمُعَبَّدٍ قلق المجاز كبا ريّ الصناع إكامه درم
للقاربات من القطا نقر في حافتية كأنها الرقم

المعبد: هو الذي وُطيء وذُلِّل حتى ذهب نبته، ثم فسر قوله قلق المجاز، فقال: من أراد أن يجوزه فليس فيه مؤنس؛

أي: لا يستقر فيه من سلكه، بل يسرع لينجو بنفسه.

والمعبَّد: البعير الأجرب الذي كثر هناؤه (والهناء: ما يدهن به الأجرب علاجًا له) وقد استدل الشيخ بقول طرفة بن العبد:

إلى أن تحاشتني العشيرة كُلُّها وأفردت إفراد البعير المعَبَّدِ

والمعبد: المفرد الذي لا يطؤه أحد.

والنُّقَر: هي التي يبيض فيها القطا، وهي لا تبيض إلا في الفلوات. بجنوبه: بنواحيه، والقاربات: القريبات من الماء.

قال عبدة بن الطبيب: «المفضليات»:

إذا تَجَاهد سير القوم في شَرَكٍ كأنه شَطَبٌ بالسرو مرمول

نهج ترى حوله بيض القطا قُبَضًا كأنه بالأفاحيص الحواجيل

حواجل ملئت زيتًا مجردة ليست عليهن من خوص سواجيل

تجاهد: تشتد، الشرك: الطريق، الشطب: سعف النخل، السرو: موضع، مرمول: منسوج؛ كأن هذا الطريق حصير منسوج من السعف.

قُبَضًا: جمع قبضة، ما يؤخذ بأطراف الأصابع، الأفاحيص: جمع أفحوص وهو الموضع الذي تبيض فيه القطا، الحواجيل: القوارير.

مجردة: ليس عليها غلاف، السواجيل: الأغلفة.

النواعج: جمع ناعجة وهي الناقة البيضاء السريعة، الخفيفة، قال خفاف:

«والناعجات المسرعات للنجا».

وأكرم الإبل عند العرب الهجان، وهي البيض، والهجان

من النساء والإبل والرجل عندهم دلالة على العتق.

الرّمة: العظام البالية. قال تعالى: ﴿يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].

وقال لبيد:

والنيب إن تَعْرُمنِّى رمة خلقا بعد الممات فإني كنت اثَّئرُ

أَثَّئر: افتعل من الثأر؛ أي: كنت أثار منها في حياتي.

ولعلقمة بن عبدة:

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيضُ، وأما جلدها فصليب

والصليب: الدهن، وهو ودك العظام والجلد.

والبيت السابع هو:

نَفَّرت آمِنَ طيره وسباعه

ببغام مجذام الرواح حبوب

(**مجذام الرواح**): سريعة السير، و(**الرواح**): هو السير في أي وقت.

ولكعب بن سعد الغنوي:

كأن أبا المغوار ذا المجد لم تجُب به البيد عنس بالعلاة خبوب

قال شارح الجمهرة: «الخبوب: السريعة»

وقال الأخطل:

قديم ترى الأصواء فيها كأنها رجال قيام عُصِّبوا بسبوب

يعمن بنا عوم السفين إذا نجلت سحابة وضَّاح السحاب خَبوب

وقالت الخنساء:

ودوية قفر يُخاف بها الردى مخفقة ما إن ينام بها الصحبُ
قطعت بمجذام الرواح كأنها إذا حُلَّ عنها كورها جَملٌ صعبُ
يعاتبها في بعض ما أذنبت به ويضربها حينًا، وليس لها ذَنْبُ
وقد جعلت في نفسها أن تخافه وليس لها منا سلام ولا حَرْبُ

وفي البيت الثامن:

أُجُدٍ كأن الرحل فوق مُقَلِّص
عاري النواهق لاحه التقريبُ

(**أُجُد**): متصلة القفار كأنها عظم واحد. ومنه قول الشاعر:

قومًا يُعالج قُمَّلًا أبناؤهم وسلاسلًا أجُدًا وبابًا مؤصدا

(**التقليص**): ضمور البطن.

(**النواهق**): العروق التي تلتف حول الخياشيم، وتظهر عند النهاق.

(**التقريب**): مأخوذ من القرب وهو طلب الماء.

ثم قوله: وهو البيت التاسع:

عَدَلَ النهاق لسانه فكأنه
لما تخمط للشُّحاج نقيب

(**عدل النهاق**) (في البيت التاسع): أماله، قال الشماخ بن ضرار:

قويرح أعوام كأن لسانه إذا صاح حِلوٌ زلَّ عن ظهر مِنْسَجِ

الحلو: خشبة عريضة يُنَسِّق بها الحائك اللُّحمة والسدى، يضرب بها كالسيف، فيجيء ويذهب، قويرح: تصغير قارح، وهو ما يوازي البازل من الإبل.

تَخمَّط: ربا وثار، فكانت له ثورة وجلبة، وكذلك تَخمُّط البحر. والشُّحاج هو النهاق وترجيع الصوت.

النقيب: رئيس القوم. قال لبيد:

يجد سحيله ويتير فيه ويتبعها خنافًا في زمال

الخناف: أن يميل أنفه، ويرفع رأسه تكبُّرًا، مع إمالةٍ في أحد شدقيه. والزمال: ضلع يصيب البعير.

كأن سحيلة شكوى رئيس يحاذر من سرايا واغتيال

تَبَكِّيَ شارب أسْرت عليه عتيق البابلية في القلال

تذكر شجوه وتقاذفته مشعشعة بمغروض زلال

مغروض: طري.

وقال امرؤ القيس:

وغيث كألوان الفناقه هبطته وَكْف الكواكب ذا نور وذا ثمر

الغيث: نبات الصحراء، سمي بذلك؛ لأن المطر وهو الغيث سبب نبته.

وقال المرَّار الفقعسي:

وتبطَّنتُ مجودًا عازبًا واكفَ الكوكب ذا نَوّ ثمر

وقال سبيع بن الخطيم التميمي:

ولقد هبطت الغيث أصبح عازبًا أُنفًا به عوذ النعاج عُطُوف

عازبًا: بعيدًا، أنفًا: سابقًا إلى المرعى، العوذ: الحديثات النتاج، النعاج: يقصد بها البقر الوحشية، عطوف: تعطف على أولادها. «المفضليات» (ص**٣٧٢**).

ويقول امرؤ القيس:

وغيث مرته الريح فاعتمَّ نبتُهُ بهيّ تناصيه الوحوش قد اثمرا

وقال خفاف:

وغيث تبطنت قريانه يجاوب فيه نهيق عرارا
ذعرت عصافيره بالسوا د أوزّع ذا ميعة مستطارا

قريانه: جمع قرى وهو مجمع الماء، عرارًا: صوت النعام، **(طرف)** (في البيت العاشر): نعت لذكور الخيل، يوصف بها طويل القوائم والعنق، والمطرف: الأذنان، وهذا هو العتيق من الخيل.

وهذا هو البيت:

ولقد هبطت الغيث يدفع منكبي
طِرٌف كسافلة القناة ذنُوبُ

(**القناة**): الرمح، قبل أن يُركَّب فيه السنان، وهنا يريد الرمح كاملًا.

وفي البيت الحادي عشر وهو:

نمل إذا ضُفر اللجام كأنه
رجل يُنوِّه باليدين سليب

(**النَّمِلُ**): الذي لا يستقر من فرط النشاط، (**ضفر اللجام**): إذا

أدخل اللجام في فمه، وفي «اللسان» يلوِّح، مادة: (نذر) قال أبو دؤاد:

ظللت أخفضه كأنه رجل دامي اليدين على علياء مسلوب

وقال زهير:

فظل كأنه رجل سليب على علياء ليس له رداء

وفي البيت الثاني عشر وهو:

حامٍ على دُبُر الشياه كأنه
إذ جَدَّ سجلٌ نزيَّةَ مصبوب

حام: يقال: حمي الفرس يحمىَ حميًا: إذا سخن وعرق، قال الأعشى:

كأن احتدام الجوف من حمي شَدِّه وما بعده من جوفه غَلْيُ قمقم

ويجمع على: أحماء، قال طرفة:

فهي تردي وإذا ما ألهبت طار من أحمائها شدّ الأزر

كل ما يصاد في البرِّية يُسمَّى: شاة، ولذلك قال: **(على دبر الشياه)**.

(السجل): الدلو الضخمة المملوءة ماءً، والسجل مذكر والدلو مؤنث، ولا يقال لها وهي فارغة سجل ولا ذنوب، وأما **(النزية)**؛ فإن ابن قتيبة قال: ما نزا من الماء.

قال ذو الرمة:

كأنها دلو بئر جدَّ ماتحها حتى إذا ما رآها خانها الكرب

والنَّزِيَّة أيضًا: ما يفاجئك من المطر، قال الشاعر:

وفي العارضين المصعدين نزيَّة   من الشوق مجنوب به القلب أجمع

والرواية السليمة للبيت، هكذا:

حامٍ على إثر الشياه كأنه   إذ جد سَجْلُ نزيَّة مصبوب

أما البيت الثالث عشر، وروايته:

بَرِدٌ تُقحِّمه الدبور مرابئًا

مَلَقىً ضواحي بينهن لهوب

(**بردٌ**): ذو برد، تقحِّمه: تدخله في الشدائد.

(**مَلقًى**): جمع ملقة، وهي الصخرة الملساء والمنزلقة من الجبل، وفي «لسان العرب»، مادة: (زلق) الملتزقة من الجبل. والتصحيح من كتاب المخصص. وقد تكون الدبور هنا: الجنوب لأنها هي التي تجمع السحاب المسبب للمطر.

(**ضواحي**): جمع ضاحية، وهي البارزة للشمس، (**ولهوب**): جمع لهب بكسر اللام، وهو المهواة بين جبلين.

والبيت الرابع عشر، وهو:

متطلِّعٌ بالكف ينهض مقدمًا

متتابع في جريه يَعْبُوب

وفيه:

(**متطلع بالكف**): كلما كففت منه زاد في الجري (يقصد الحصان) والـ(**يعبوب**): الماء المتحدِّر.

أما البيت الخامس عشر ففيه قوله:

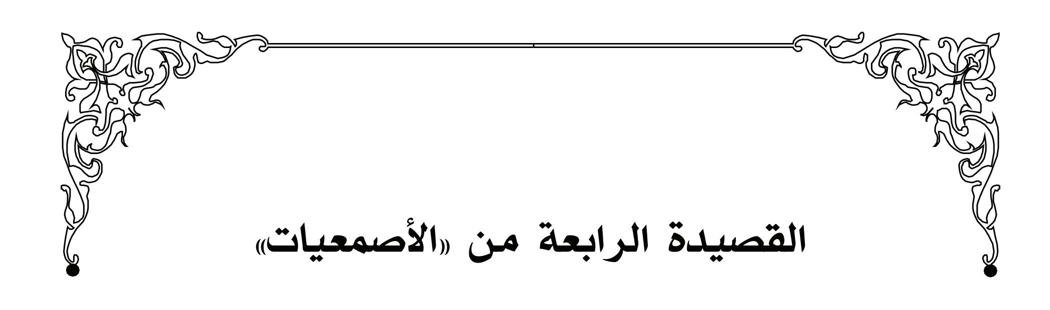
ربــذ الــخـــنــاف إذا اتــلأَبَّ ورجْــلُــهُ

فــي وقــعــهــا ولــحــاقــهــا تــحــنــيــب

قال ابن قتيبة: الربذ: سرعة رجع اليد. والخناف: في الحافر كله أن يهوي، والتحنيب: إنحناء وتوتير. وقوله: **(في وقعها)**؛ يعني: مع وقعها.

(اتلأَبَّ): رفع صدره، **(الخناف)**: سرعة قلب يدي الفرس، وهذا من تمام لينه، وسهولة تسريح يديه. و**(التحنيب)**: هو أن يحني الفرس يديه في الرفع والوضع.





القصيدة الرابعة من «الأصمعيات»

هذه هي القصيدة الرابعة من «الأصمعيات»، وهي في الوقت نفسه القصيدة الثالثة من القصائد التي اختارها الأصمعي للشاعر خفاف بن ندبة في كتابه، ومطلعها:

يــا هـــنـــد يـــا أخـــت بـــنـــي الـــصَّـــادر

مـــا أنـــا بـــالـــبـــاقـــي ولا الـــخـــالـــدِ

وعدد أبياتها ثمانية أبيات.

يتحدث في البيتين الأولين عن زهده في الدنيا وعدم قدرته على القيام بالأعباء التي كان يقوم بها في ماضي حياته. إذ لم يبق له إلا قيادة جيشه، وحصانه القوي المتين الموصوف بالسرعة، وبقدرته على اللحاق بحمار الوحش حتى يُمكِّن صاحبه من اصطياده. وقد استمر في باقي الأبيات يمدح هذا الحصان حتى قال:

إنه يستحق الرُّقى، والتمائم، المعلقة على جيده من خيفة الأنفس والحاسد

ومن المعروف الآن أن خفاف بن ندبة قد قال أبياته هذه وهو كبير السن، جاء البيتان الأولان في كتاب «الأغاني» (**١٣/ ١٣٤**)، والرابع في كتاب «الحيوان» (**١/ ٢٧٣**).

ورواية «الأغاني» للشطر الثاني من البيت الثاني:

«أمـلـك أمـر الـنـسـأ الـحـارد»

ورواية البيت الثالث في طبعة «الأصمعيات» الأوروبية:

«وذي الشاهد»، ورواية البيت الرابع في «الحيوان» هي: «كالسيد يوم القرَّة الصارد» ورواية البيت السابع في الأوروبية «بصيدك العير».

(بنو الصادر): بطن بني مرة بن عوف وهم من غطفان، ووقع خطأ في «لسان العرب» إذ قال: بنو الصادرة، وصارد لقب أبيهم، واسمه سلاقه.

المنسر: جماعة الخيل من الثلاثة إلى العشرة، ومن العشرة إلى الثلاثين، وهي التي تخرج للغارة، ويكثر ذكر هذه الكلمة عند الشعراء الصعاليك واللصوص، قال لبيد، وقد استشهد بهذا البيت صاحب كتاب «الأغاني» للدلالة على أن المنسر هو الجيش الذي يخرج قبل الجيش الأخير، فجاء على غير ما يريد:

سما لهُمُ ابن الجعد حتى أصابهم بذي لَجَب كالطود ليس بمنسر

وإذا كان محل المنسر النشز كان بمعنى الحارد: الغاضب.

قال الشاعر:

إذا جياد الخيل راحت تجري مملوءة من غضب وحرد

وقال الآخر:

أعِنِّي بخوار العنان تخاله إذا راح يمشي بالمدجج أحردا

وقوله:

إن أمْسِ لا أملك شيئًا فقد أملك أمر المنسر الحارد

والملك: القدرة؛ أي: أقدر عليه، وروي الشطر الثاني:

أملك أمر النشز الحارد

و(**النشز**): هو الدابة التي لا يستطيع عليها صاحبها.

فقوله: لا أملك على هذا المعنى: لا أقدر.

قال الأصمعي: إذا لوى الفرس حافره إلى عضده فذلك الضبع، فإذا هوى بحافره إلى وَحْشيِّة فذلك الخناف.

ومعنى: ضَبَعت الخيلُ والإبلُ إذا مدت أضباعها وهي أعضاؤها، والضابط مِنْ ضَبْط الشيء وحفظه بالحزم والقوة، والبعير الضابط: القويُّ على عمله والذي يقول فيه عدي بن زيد:

صَخِب التعشير مرزام الضحى ناسل عقته مثل المسد

يُغرق المطرودَ منه وابل ضابط الوعث ضبوع في الجدد

وقول خفاف:

«**بالضابع الضابط تقريبه**»

التقريب للخيل: عدوها، بأن يرجم الفرسُ الأرضَ بيديه في عدوه. وهو ضربان: الأدنى وهو الإرخاء؛ والتقريب الذي يسمى الثعلبية، فإذا قَرَّبَ الفرس فذلك إذا رفع يديه معًا ووضعهما معًا، وهو عدو دون الحضر الذي هو أشد جري الفرس. وقوله: «**ونت الخيل**»: أعيت وكلَّت. ولامرئ القيس:

مِسَحٌّ إذا ما السابحات على الونى أثرن غبارًا بالكديد فثارا

وذكر ابن الأعرابي كلمة (الشاهد) فقال:

أنشدني أعرابي في صفة فرس فقال:

«له غائب لم يبتذله وشاهد»

فقال: شاهد يشهد له على جودته. وقال غيره:

شاهده: بذلُ جريهِ، وغائبه: مَصُون جَرْيه.

الواو في قوله: والشاهد كالواو في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ [هود: ٢٤].

العبل: الضخم المستوي، فرس عبل الشوي والقوائم والذراعين: فيها غِلَظ وضخامة واستواء.

الصارد: أصابه البرد. قال لبيد:

عَسَلانُ الذئب أمسى قاربًا بَرَد الليل عليه فنسل

ويقول النابغة الجعدي:

كإرخاء سيد إلى ردهة يوائل من بَرَدٍ مُرْهِبِ

ويقول ابن مقبل:

وجرداء ملواح يجول بريمها توقر بعد الربو فرطًا وتمسح

كسيد الغضا في الطل بادر جروه أهاليب شهر كلها مُتسرِّح

(البيت الخامس من الأصمعيات):

يطعن في المسحل حتى إذا

ما بلغَ الفارسُ بالساعد

(**المسحل**): الحديدة التي تحت الحنك، وفأس اللجام: الحديدة القائمة في الشكيمة. والشكيمة: الحديدة المعترضة في الفم.

ويقال له: مسحلان، والمسحلان: حلقتان إحداهما مُدْخلة بالأخرى على طرفي الشكيمة. وهي الحديدة التي تحت الجحفلة السفلى:

يرقى ويطعن في اللجام إذا انتهى   فيه الحنين وهم بالإسهال

وقال ربيعة بن مقروم:

لولا أكفكفه لكان إذا جرى   منه العزيم يدق فأس المسحل

وقال:

قد قدت في غلس الظلام وطيره   عُصَب على فنن العظاه جثوم

غربًا لجوحًا في العنان إذا انتحى   زبد على أقرابه وحميم

يقال: بلَّغ الفارس: إذا مد يده بعنان فرسه ليزيد في جريه.

السابح والسبوح: حُسن مد اليدين في الجري.

السقطه: يقال للفرس: إنه لَيُسَاقط الشيء بعد الشيء؛ أي: يجيء منه شيء بعد شيء.

يقول ابن مقبل:

بذي ميعة كأن أدنى سقاطه   وتقريبه الأعلى ذآليل ثعلب

والذآليل: جمع ذآلان، وهو مشية الذئب، وقد جمعت على ذآليل فقلبت النون لامًا، وساقط الفرس الجري سقاطًا إذا جاء مسترخيًا. وفي «أساس البلاغة»: إنه لفرس ساقط الشدّ، إذا جاء منه شيء بعد شيء، وفي «لسان العرب»: السِّقاط في الفرس؛ استرخاء العدو، والسقاط ألا يزال منكوبًا وكذلك إذا جاء مسترخي العدو والمشي. مادة: (سقط).

مستفرغ: لا يدخر شيئًا من حُضرِهِ، ومنه: فرس فريغ، واسع المشى، بديع الشحوة؛ أي: واسع الخطوة، ودابه فراغ السير، واسعة الخطو، واعد: يعد بمشي جديد، يقول: «جرى وهو مودوع وواعد مصدق».

مودوع: مطمئن.

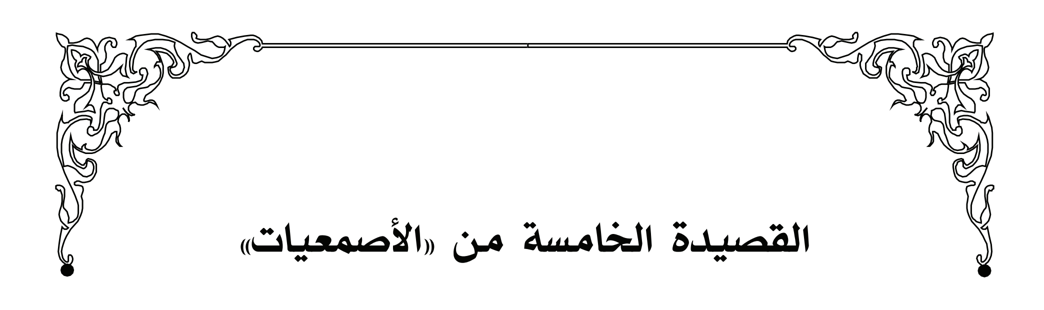
وفي البيت السابع وهو:

يــصــيــدك الــعــيــر بــرفِّ الــنــدى

يــحــفــر فــي مــبــتــكــر الــراعــد

(**يصيدك العير**): أصدته عيري إذا حملته على الصيد وأغريته به. (**العير**): حمار الوحش. رف لونه: تلألأ وبرق، ويقال: رف النبات إذا اهتز وتنعم، ويقال شجر رفيف: إذا تندَّى، وكل شيء كثر نباته من الغضاضة يقال له: رفيف. ورف النبات يرف. والباء في قوله: «**برف الندى**» ظرفية كقوله تعالى: ﴿نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾ [القمر: ٣٤]؛ أي: في وقت السحر، (**مبتكر**): بكر على الشيء وإليه وبكروا وابتكر: عجل في الحضور، يقال: سحابة مبكار، مدلاج في آخر الليل، ويقال: سحابة راعدة وسحاب راعد، وقد يراد بكلمة (يحفر) كلمة أخرى هي يحفز بالزاي، يقول: يُحفز مبتكر الرعد؛ أي: أن مجيء المطر يدفع للجري، وفي الحديث: «نهى رسول الله عن الرقية إلا في النملة والحمية والنفس»، والنملة: قروح تخرج بالجنب، والنفس: الحسد بالعين».





القصيدة الخامسة من «الأصمعيات»

وهي لخفاف بن ندبة. وتتكوَّن من بيتين فقط هما:

لِمَ تأخذون سلاحه لقتاله
ولَذالكم عند الإله أثام

لا دينكم ديني، ولا أنا كافر
حتى يزول إلى الصراة شمام

رأينا الأصمعي قبل إيراده هذين البيتين يقول ما يلي: «لما ارتد الناس أتى رجل من بني سُليم أبا بكر رضي الله تعالى عنه، فقال: أعطني سلاحًا أقاتل به، فأعطاه، فقاتل به المسلمين، فقال خفاف رحمه الله تعالى (هذين البيتين).

والشاعر يسجل فيهما خيانة هذا الرجل من بني سُليم، ويقال له: الفجاءة، واسمه إياس بن عبد الله بن عبد ياليل، وقد خدع أبا بكر في طلبه السلاح منه، فما قاتل بذلك السلاح إلا المسلمين، وقد ساء ذلك الذي حدث من الفجاءة خفافَ بن ندبة، مما دفعه إلى قول هذين البيتين ينعي فيهما على قومه ذلك العار، ويعلن ثباته على إسلامه، كما يعلن براءته ممن ارتد من قومه. وللقصة تفصيل في «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٣٤)، وفي «الكامل» لابن الأثير (٢/ ١٤٦)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٦/ ٣١٩).

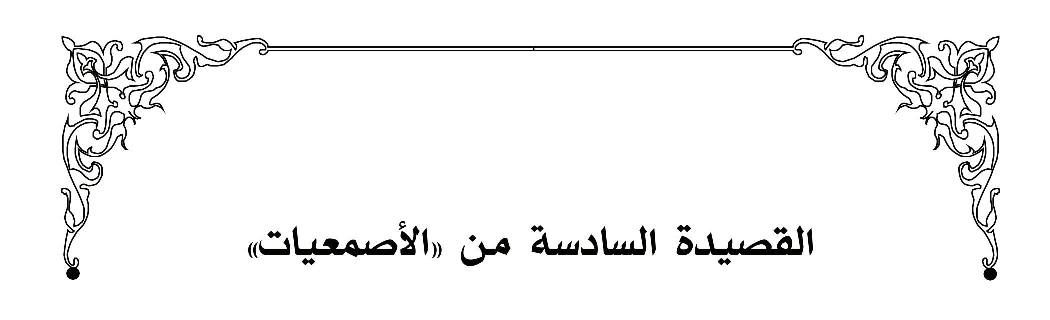
صحح الشيخ كلمة (صراة) في عجز البيت الثاني، وقال: إن الأصح هو الطراة، وهو جبل قريب من رهوة، ورهوة بقرب نجران في جنوبي جزيرة العرب.

وروى صدر هذا البيت هكذا:

«لا دينكم ديني ولا أنا فاتن»

أي: ولا أنا مفتون، ولم أطاوع في الفتنة. وجاءت فاتن على مفتون لغير قياس. وشمام: جبل في نجد.





القصيدة السادسة من «الأصمعيات»

هذه هي القصيدة السادسة من القصائد التي اختارها الأصمعي في كتابه «الأصمعيات» وهي للشاعر الحكم الخضري، وهو الحكم بن معمر، ينتمي إلى قيس عيلان، والخضر الذي ينسب إليهم هم ولد مالك بن طريف، سموا بذلك؛ لأن مالكًا كان شديد الأدمة (السواد)، وهو كما ذكر ياقوت: «شاعر إسلامي، وكان سَجَّاعًا كثير السَّجع، كما كان هجاءً خبيث اللسان، وكانت بينه وبين الرمَّاح بن أبرد المعروف بابن ميادة مهاجاة».

والحكم الخضري من الشعراء الذين تلقى الأصمعي منهم قصائدهم مشافهة فقال في «الأصمعيات» عن هذه القصيدة: سمعتها من الحكم.

وكنية الحكم الخضري في «الأغاني» أبو منير، وفيه أنه أسنُّ من ابن ميادة، وأنه خبيث اللسان، وكان سجاعًا روي عنه سجع طويل غث لا فائدة فيه؛ لأنه ليس برجز منظوم، ولا كلام بليغ، ولا هو سجع مؤتلف كائتلاف القوافي.

وذكر الأصمعي الحكم الخضري في كتابه «فحولة الشعراء»، وذكره التبريزي في كتاب «شرح القصائد السبع».

وما بين يدينا قطعة من قصيدة يمدح بها ابن بلال وهو

الأسود بن بلال المحاربي، وهو قائد بحري عربي، ذكر ابن عساكر ترجمة له. وآخر من ذكر من أجداد الحكم الخضري كان في أواخر أيام الدولة الأموية، وقد خرج الحكم متوجهًا إلى الشام فغرق في أحد الأنهار هناك، ومات.

عدد الأبيات المختارة تسعة أولها قوله:

إلى ابن بلال جَوْبيَ البيد والدُّجى
بزياقة إن تسمع الزجر تغضب

إذا غَضبت أن يُزجر العيس خلفها
كست خطمها من كسوة لم تُهدَّب

(**جوبي البيد**): اختراقي الفيافي والصحاري، و(**الزيافة**): الناقة الشديدة الإختيال في مشيها.

و(**العيس**) ـ في البيت الثاني ـ: الإبل الخالصة البياض، و(**الخطم**): مُقَدَّمُ الأنف. وأراد بقوله: من كسوة لم تهدَّب: الرغوة البيضاء التي تخرج من فمها كالزبد.

أما البيت الثالث وهو:

زِوِرَّةِ أسفار كأن ضلوعها
تُناطح من مسمار ساجٍ مضبب

فإن الشيخ يشك في نسبته إلى الحكم، ولكنه ذكر أن قوله: «**من مسمار**» تعني: «عند مسمار».

وأما البيت الرابع وهو:

مُـحـنَّـبـة الـرجـلـيـن حـرفٍ كـأنـهـا
قـطـاة مـتـى يُـتـمـم لـهـا الـخـمـس تَـقْـرَب

فقوله: (**محنبة**)؛ من التنحيب وهو: الاحديداب في الساقين على ألا يكون ذلك شديدًا، وهو دليل قوة.

و(**الحرف**): الضامرة. و(**الخِمس**) بكسر الخاء: أن تشرب الإبل الماء يومًا ثم ترعى ثلاثة أيام، وترد الماء في اليوم الخامس فهو خامس أيامها. (**القارب**): هو طالب الماء ليلًا.

أما البيت الخامس وهو:

إذا اسـتـودعـت فـرضـيـن بـيـداء قـلَّـصـت
سـمـاويـة الـمـمـسـى نـجـاة الـتـقـلُّـب

ففيه (**قلَّصَت**): بمعنى أسرعت، و(**سماوية**): منسوبة إلى السماوة، وهي أرض بني كلب في طريق الكوفة إلى الشام، (**نجاة التقلب**): سريعة التقلب في الجو. وهذا البيت خصصه لوصف القطاة كما يتضح لنا من قراءته.

أما البيت السادس وهو:

فـجـاءت مـع الإشـراق كـدراء رأدةً
فـحـامـت قـلـيـلًا فـي مـعـانٍ ومـشـرب

ففيه (**كدراء**): بها كُدْرة أي غُبرة. و(**الرأدة**): كثيرة الطوفان، والقطا نوعان: الكدري وهو ما يسمى الأشهب الذي فيه غبرة، والجوني وهو الأسود. (**المعان**): الموضع الذي تستقر فيه.

وفي البيت السابع:

فـلـمـا اسـتـقـت طـارت وقـد تـلـع الـضُّـحـى

بـــشـــرب قـــرتـــه فـــي زهـــيـــد مُـــحَـــبَّـــب

يذكر أن هذه القطاة طارت بعد أن استقت ما تشاء من الماء، وقد (**تلع الضحى**)؛ أي: ارتفع وامتد، وقوله: (**قرته**): جمعته من القرى، وهي النهر الجامع للماء، على أن ما حصلت عليه ماء زهيد جمعته في حوصلتها التي لا تكفي إلا للقليل. و(**المحبب**): نسبته إلى الحب بكسر الحاء، وهو ما يوضع فيه الماء.

وفي البيت الثامن:

فـكـرَّت فـأمَّـت حـيـث جـاءت كـأنـهـا

دلاة هـــوت مـــن كـــف ســـاق ومُـــكـــرِب

(**كرّت**): رجعت، (**أمَّت**): قصدت، (**والمكرب**): الحبل.

البيت التاسع وهو:

إذا اسـتـقـبـلـتـهـا الـريـح صدت بـخـطـمـهـا

قـلـيـلًا، وحـثَّـت مـن نَـجَـاءٍ مُـنَـحَّـب

النحب: الأجل والنذر، و(**المنحب**): البالغ أقصى الجهد، ونحب القوم: جَدُّوا في عملهم، ومنه: ﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾. والتنحيب: شدة القرب للماء، قال ذو الرمة:

ورب مـغـارة قَـذفٍ جـمـوحٍ ... تُـغـوِّل مُـنَـحِّـب الـقُـرب اغـتـيـالا

القرب: السير إلى الماء ليلًا.

❑ ❑ ❑

وللحكم الخضري ترجمة في «معجم الأدباء» (٤/ ١٢٨ ـ ١٢٩)، وفي «تاريخ ابن عساكر» (٤/ ٤٠٤ ـ ٤٠٦)، وفيه ترجمة مستقلة، وفي «الأغاني» (طبعة دار الكتب) ضمن ترجمة ابن ميادة، وفي كتاب «الشعر والشعراء»، وفيه خبر ذكره الأصفهاني وهو: «قال الأصمعي: الحكم الخضري وابن ميادة ورؤبة... كانوا على ساقة الشعراء، وتقدمهم ابن هرمة بقوله:

لا أُمتع العوذ بالفصال ولا ابتاع إلا قريبة الأجل

قال عبد الرحمٰن ابن أخي الأصمعي: كان عمي معجبًا بهذا البيت مستحسنًا له، وكان كثيرًا ما يقول: «ما يؤخره عن الفحول إلا قرب عهده» ـ «الأغاني» (٥/ ٢٥٤) ـ رواه ابن قتيبة مختصرًا، وقال عن الأصمعي: وقد رأيتهم أجمعين. وفي «الأغاني» في ترجمة ابن ميادة؛ ذكر أن ابن ميادة ركب إلى ابن هشام، وهو إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي المقتول في سنة (١٢٥هـ). وبلغ ذلك الحكم فسار إلى الشام، ولم يبرحها حتى مات، لقد مات (الحكم) هناك غرقًا، وكان لا يحسن العوم، وهذا هو سبيله الذي مدح فيه أسود بن بلال المحاربي، فذلك كان في سنة (١٢٥هـ)، وما بعدها... فإذا كان الأصمعي قد رآه وسمعه فإنه عاش إلى السنة المذكورة هنا، وكان من مخضرمي الدولتين (الأموية والعباسية)؛ لأنه عاش إلى عهد أبي جعفر المنصور.

أما أسود بن بلال الذي مدحة بالقصيدة فترجمته في «تاريخ ابن عساكر» (٣/ ٤٧)، و«تاريخ الطبري» (٨/ ٢ و٩) و(٩/ ٢٦). قال في الأول سنة (١٢٦هـ) وفيها غَزّى الوليد بن يزيد أخاه عمر بن يزيد

وأمره أن يسير إلى قبرص فيخيِّرهم بين السير إلى الشام إن شاؤوا وإن شاؤوا إلى الروم، فاختارت طائفة منهم جوار المسلمين، فنقلهم الأسود إلى الشام.

أما فيما يتعلق بشعر الحكم الخضري، فقد ورد منه في «الأغـــانـــي» (**٢/ ٢٦٢ و٢٨٤ و٢٨٦ و٢٨٧ و٢٩٢ و٢٩٨ و٣٠١**)؛ و«معجم الأدباء» وابن عساكر، وله في «الموشح» (ص**٢٣٢**) نقلًا عن قدامة.

ومما ذكر في كتاب «نقد الشعر» لقدامة قول الحكم:

كـانـت بـنـو غـالـب لأمـتـهـا كـالـغـيـث في كـل سـاعـة يـكـفُ

وذكر أنه ليس من المعهود أن يكون الغيث واكفًا في كل ساعة.

وله في «الوحشيات»:

نهيت جميع الخضر عن ذكر خطة يـدبـرهـا فـي رأسـه ابـن هـشـام

فـلـمـا دخـلـت الـدار أيـقـنـت أنـنـا عـلـى الـلَّـه والـسـلـطـان غـيـر كـرام

وجاء في «الحماسة» (**٣/ ١٥٣**) للتبريزي في «باب النسيب»:

تَـسَـاهَـمَ ثـوبـاهـا فـفـي الـدرع رأدة وفـي الـمـرط لـفَّـاوان درفـهـمـا عـبـلُ

فـوالـلَّـه مـا أدري أزيـدت مـلاحـة وحسنًا على النسوان أم ليس لي عقلُ

وفي «اللسان»، مادة: (أمم) وكذلك في كتاب «تزيين الألفاظ» (ص١٥٠):

جاء يسوق العكر الهمهوما

السَّجْوَري لارعى مسيما

وصادف الغضنفر الشتيما

وفي «اللسان»، مادة: (وطح) للحكم الخضري:

وأبى جمال لقد رفعت ذمارها ... بشباب كل محبَّر سيَّار
لَذٍّ بأفواه الرواة كأنما ... يتواطحون به على دينار

قال ابن برِّي: جمال: اسم امرأة، وذمارها: ما يلزم لها من الحفظ والصيانة، ولذ: يستلذّه، الراوي: المنشد له، والمحبَّر: البيت المحسَّن من كلمة محبر؛ أي: لم يخلق عند الرواة، بل هو جديد، يتواطحون: يتقابلون ويتبادلون القول، التواطح: تداول الشر.

وفي «الحماسة» **(٣/ ١٢٣)**، و«اللآلئ» (ص**٢٢٥**) للأقرع ابن معاذ ونسبها للحكم:

إن لنا صرمة تُلفَى محبسة ... فيها معاد وفي أربابها كرمُ
تُسلف الجار شربًا وهي حائمة ... ولا يبيت على أعناقها قسَمُ
ولا تسفه عند الحوض عطشتها ... أحلامنا وشريب السوء محتدم

وفي ديوان «جران العود» قصيدة تروى لابن مقبل وقيل: هي للحكم الخضري، «الحيوان» **(٢/ ١٤٣)**:

وفي الحرب سُمِّينا وكنا محاربًا ... إذا ما القنا أمسى من الطعن أحمرا

ومن هنا بدأ الشيخ في التوسع في شرح الأبيات زيادة على ما مر بنا عند بداية الحديث عن القصيدة فقال:

١ ـ جاب القميص: قطع جيبه، وكل ما قطع من وسطه فهو مَجُوب. وجاب المفازة: قطعها، واجتبت الظلام: عبرت فيه، وجبت القميص: لبسته.

الدجى: مصدر وصف، فيه ليلة دجى، وليالي دجى، وقيل: هي جمع دِجية، وقيل: الدجى والدياجي. والزيافة: من زاف البعير؛ تبختر بمشيته، وكذلك الحمامة، وعند الحمام: إذا جرَّ الذنابي، ودفع مقدَّمه بمؤخره، واستدار عليها. والزيافة: المختالة.

٢ ـ الخطم: مقدم الأنف والفم من كل دابة.

وفي كتاب «التهذيب»، ورد في شعر القطامي «ديوان» (ص٧٤):

سليم عظيم المنكبين كأنما   عليه خميل جيب لمَّا يُهذب

قال شارحه: الفتل، وكسوة الخطم بالزبد قال ابن مقبل:

يضحى على خطمها من فرطها زبد   كأن بالرأس منها خرفعًا نُدفا

والخرفع: شجر العشر، وله جلدة رقيقة إذا انشقت عنه ظهر عنه مثل القطن، وقيل: هو القطن نفسه، وقال الحطيئة:

ترى بين لحييها إذا ما ترغمت   رغامًا كبيت العنكبوت الممدد

وقال:

إذا ما النواعج واكبنها   جشمن من السير ربوًا عضالًا

وإن غضبت خلت بالمشفرين   سبائخ قطن وبرسًا نسالا

٣ ـ الزورّ: الشديد السير.

قال زهير بن جناب:

ولما اعتليت الهيم عديت جسرة   زورَّة أسفار تخب وتعنق

وقال جميل:

زورَّة أسفار إذا حط رحلها   رأيت بدفيها تباشر تبرق

وفي «المفضليات» (العاشرة) لبشامة بن الغدير:

وإن أعرضت راء فيها البصيـ   ـر مالا يكلفه أن يفيلا

يدًا سُرُحًا مائرًا ضبعُها   تسوم وتقدم رجلًا زجولا

وعوجًا تناطحن تحت المطا   وتهدي بهن مُشاشًا كهولا

(راء: رآى، يفيلا: يخطئ، سرحًا: منسرحة سهلة، الضبع: العضد، مائرًا: مختلجًا لشدة المشي، تسوم: تمر بسهولة، زجولًا: من الزجل وهو الدفع في السير، العوج: الأضلاع، تناطحن: التقين، المطا: الظهر، المشاش: رؤوس العظام، الكهول: الضخام الطوال).

ويقول الراعي:

وكأنما انتطحت على أثباجها   فُدُرٌ بشابَة قد تَمَمْنَ وعولا

ومسمار في البيت الثالث: ما شُدَّ به، يقال: سمره، بسمره.

وشابة في بيت الراعي: اسم موقع.

٤ ـ تم ضمؤه بالخمس (تكامل).

٥ ـ قلصت: أسرعت وجدَّت وشمَّرت.

سماوية كدر كأن عيونها   يداف بها ورس حديث وكركم

وقال الطرمَّاح:

سماوية زغب كأن شكيرها   صماليخ معهود النصي المجلح

وقال شارح ديوان الطرماح: سماوية: نسب القطا إلى أرض كلب.

وفي البيت التاسع: نجاء: الناجية، سرعة النجاء. النجي والنجا: السرعة والتقلّب في الطيران، قال تعالى: ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ [غافر: ٤] وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النحل: ٤٥]؛ أي: في أسفارهم.

٦ ـ القطا لونان: الكدري والجوني، فالكدري غُبر الألوان رقش الظهور والبطون، صفر الحلوق، قصار الأذناب.

ويقال للكدري: العربي، والورق، وهي ألطف من الجوني، والجونيه تعدل بكدريتين، وَهُنَّ سود البطون، سود بطون الأجنحة والقوائم، وأرجلهن أضلع من أرجل الكدري، ولَبان الجونية أبيض وبلبانها طوقان: أصفر وأسود، والظهر أغبر أرقط، وهو كلون ظهر الكدرية إلا أنه أحسن ترقيشًا، تعلوه صفرة، وهي قصار الأذناب أيضًا «المخصص» (٨/ ١٥٦)، اللبان: الصدر.

رأدة: يقال: امرأة رأدة، ورؤودة: شابة حسنة سريعة الشباب، وامرأة رأدة بمعنى: رؤودة، ورأدة تتثنى من النعمة والشباب، وأصله: ترأد الغصن: تفيأ يميل يمينًا وشمالًا، وترأدت الحية تميل، وهذه هي صفة القطاة في مشيها، وبها تُشبَّه مشية النساء قال المنخل:

فدفعتها فتدافعت ... مشي القطاة إلى الغدير

وقال ابن ميادة:

إذا الطوال شدون المشي في خطر قامت تُريك قوامًا غير ذي أَوَد

تمشي ككدرية في الجو فاردة تهدي سروب قطًا يشربن بالثمد

وقال الجاحظ «الحيوان» (٥/ ٢١٧) والقطاة: بديعة المشية، وقد توصف مشية المرأة بمشية القطاة، قال الكميت:

يمشين مشي قطا البطاح تأودًا قب البطون رواجح الأكفال

وقال الشاعر:

يتمشين كما تمشي القطا أو كما يمشي جلال البقرات

لأن البقرة تتبختر في مشيتها.

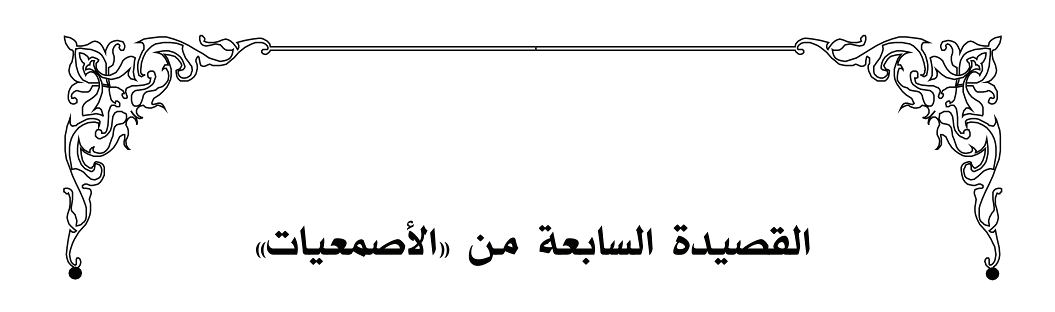
٧ ـ تلع الضحى: ارتفع أوله. قال الشاعر:

أأن غردت في بطن وادٍ حمامة بكيت ولم يعذرك بالجهل عاذر

تعالين في عبرية تلع الضحى على فنن قد نعمته السرائر

الشَّرب: الحظ من الماء، زهيد: واد زهيد قليل الأخذ من الماء، وهو النزل الذي يسيله الماء الهيِّن. محبب: مملوء.





القصيدة السابعة من «الأصمعيات»

وهذه أرجوزة قالها عمر بن لجأ التيمي، وهو شاعر راجز فصيح إسلامي، وكانت بينه وبين جرير مهاجاة، وله حياة ملآى بالأحداث، ذكرها كتَّاب الأدب وجامعو الشعر القديم. وذكره واردٌ في كتاب «الموشح» (ص١٢٧) و«الشعر والشعراء» (ص٤٢٨) و«الأغاني» (٧/ ٦٤ ـ ٦٩)، وفي «الحماسة» (باب السير والنعاس) (ص١٨٢٢).

وكان ابن لجأ ممن دخلوا في شعر النقائض ضد جرير، وقد لقي هو وصاحبه عنتًا من أجل ذلك؛ فقد تعرضا للضرب من الحاكم أبي بكر بن حزم الذي كان واليًا على المدينة آنذاك، ويبدو أن هذا الشاعر كان على دراية بأحوال الناس وعلى الأخص مثالبهم، وقد استعان به الفرزدق في ذلك.

هذه الأرجوزة في وصف الإبل، وقد بدأ فيها بالفخر لنفسه لقدرته على الوصف فقال في مطلعها:

أنعتها إنِّي من نُعَّاتها

مندحَّة السُّرّات وادقاتها

(أنعتها): أصفها، يقصد الإبل، و**(السُّرَّات)** جمع سُرَّة، مندحة السُّرات: واسعتها، لكثرة ما رعت. **(وادقاتها)**: قد تدلَّى بطنها لكثرة شحمها حتى دنت من الأرض.

وورد البيت الثاني برواية أخرى هي:

«كوم السرى وَدَّاقة سُرَّاتها»

«اللسان»: مادة: (ودق) وهو غير منسوب.

البيت الخامس والسادس في شرح «المفضليات» (ص٧٨٥)، والبيت التاسع في كتاب «الحيوان» (ص١٠٣)، وروايته:

«تستقبل الشمس بجمجماتها»

وهي مذكورة في مادة: (عفر) وجاء في مادة: (صمم):

غلب الذفارى وعفرنياتها

كوم الذرى وداقة سراتها

حملت أثقالي مصمماتها

غلب: غلاظ

الذفارى: جمع ذفرى، وهي العظم الناتئ خلف الأذن.

وذكر ابن السكيت: «تهذيب الألفاظ» (ص٢٨٣).

مستأزيات فوق كركراتها

تمشي إلى لوار عاطناتها

تجبس العانس في ريطاتها

بالأجرع السهل إلى جاراتها

وقد ذكره ابن السكيت: تبجس، وهو خطأ. وقد ذكر هذا البيت في مادة: (جبس)، وفي (روي) ـ «اللسان».

الوداق: هو الذي يكاد يصل إلى الأرض.

ويروي (٣):

«مدارة الأخفاف».

وذيالاتها: هي التي تتبختر بذيلها. يقال: ذال الرجل ذيلًا: جَرَّ ذيله، وتذيَّلت الدابة: حركت ذيلها، والتذيُّل: التبختر. قال عمر رضي الله عنه: «العربي كالبعير حيثما تتجه الريح استقبلها بهامته».

المعرفنة: المجنونة، من العرفيت.

قال الفرزدق في وصف القطا (ص٧٠٣) (طبعة الصاوي):

وبيداء تغتال المطيَّ قطعتها ... بِرَكَّاب هول ليس بالعاجز الوغل

إذا الأرض سدتها الهواجر وارتدت ... مُلاء سموم لم يُسَدَّين بالغزل

وكان الذي يبدو لنا من سرابها ... فضول سيول البحر من مائة الضَّحْل

ويدعو القطا فيه القطا فيجيبه ... توائم أطفال من السبسب المحل

دوارج أخلقن الشكير كأنما ... جرى في مآقيها مراود من كحل

يُسقِّين بالموماة زُغبًا نواهضًا ... بقايا نطاف في حواصلها تغلي

تَمُجُّ أداوى في أداوى بما استقت ... كما استفرغ الساقي من السجل بالسجل

والأبيات من قصيدة قالها الفرزدق في مدح الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ومطلعها:

سلوت عن الدهر الذي كان معجبًا ... ومثل الذي قد كان من دهرنا يُسلي

وقد طوف بالفلاة في طريقه إلى الخليفة، ذاكرًا القطا الذي شاهده في مسيره، ثم متحدثًا عن الناقة إلى أن بدأ في المديح وكانت الناقة:

تأوَّه من طول الكَلال وتشتكي
تأوُّه مفجوع بِثُكْلٍ على ثُكل

إلى أن قال:

إليك أمير المؤمنين أنختُها إلى خير من حُلَّتْ له عُقَدُ الرحل

قوله: دوارج أخلفن الشكير؛ أي: تركنه وتريَّشن، والشكير هو الزغب الذي يظهر قبل الريش.

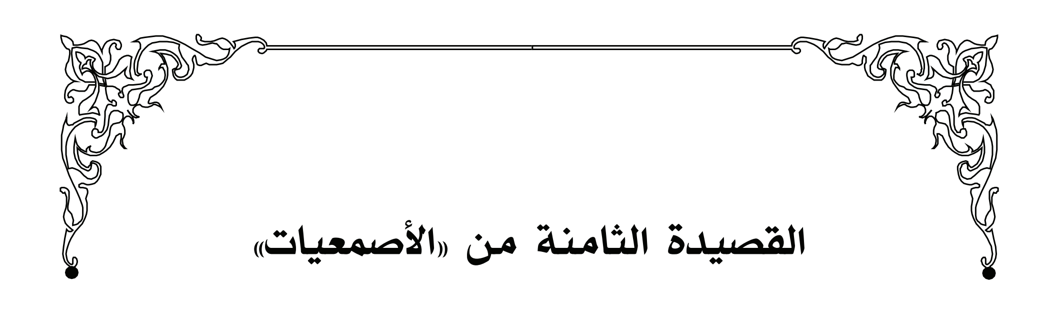
السَّجْل: الدلو.

وقوله: تمج أداوى في أدواي؛ أي: تفرغ ما تأتي به من أكل لفراخها من حوصلتها إلى حواصلهن.

حرص أستاذنا على مراجعة كثير من الكتب، ودواوين الشعر حتى يقدم لنا هذه القصيدة على الصورة التي يحب.

وقد أضاف الكثير إلى ما ورد منها في «الأصمعيات» واكتفى كالعادة بالشرح الوارد لبعض الأبيات بما جاء في هامش الكتاب المطبوع حتى لا يطيل، وهو منذ البداية كان حريصًا على هذه الطريقة.





القصيدة الثامنة من «الأصمعيات»

الشاعر هو عبد الله بن عَنَمة، وكان حليفًا لبني شيبان، وقد قال هذه القصيدة في رثاء بسطام بن قيس بن مسعود، وهو سيد بني شيبان آنذاك، وكان هذا قد غزا بني ضَبَّة، وعندما وصل إلى موضع يُسَمَّى نقا الحسن وجد ألف ناقة من أملاك أحد بني ضبة فاستولى عليها، ثم لحقته خيل أصحابها فحمل عليه بطل من أبطالهم فطعن بسطامًا بالرمح مما جعله يخر صريعًا.

ولما كان الشاعر ضبِّيًّا فقد خاف على نفسه القتل على الرغم من مجاورته لبني شيبان فقال هذه المرثية ليدفع عن نفسه الأذى.

كان ذلك في السنة الثامنة أو التاسعة الهجرية، وكانت بنو شيبان أخوال الشاعر، وذلك ما أدى به إلى قول هذه القصيدة إضافة إلى تخوفه منهم.

بدأ ابن عنمة قصيدته بالتعجب من الأرض كيف ضمت إليها رجلًا مثل بسطام بن قيس.

لقد كانت معركة مشهورة في تاريخ الحروب التي جرت بين القبائل العربية قديمًا، دارت بالقرب من جبل تعشار الذي يقع نقا الحسن في أسفله، وقتل فيها هذا البطل المعروف بقدرته وبسالته.

ويروى الشطر الثاني من البيت الأول:

«بحيث أضر بالحسن السبيل»

وفي المطبوعة:

«غداة أضر بالحسن السبيل»

كما يروى الشطر الأول من البيت الثاني كما يلي:

«يُقَسِّمُ ماله فينا»

وهو في المطبوعة: تُقسِّمُ

وروي البيت الثالث بروايتين هما:

«أجدَّك لا تراه ولن تراه»

و «أجدَّك لن تريه ولن تراه»

وروي البيت الرابع هكذا:

«حقيبة رحلها بَدَنٌ وَسَرْجٌ»

«تعارضه مدببة ذؤول»

وفي المطبوعة: «حقيبة رحله»

وفي «اللسان»، مادة: (وحك):

حقيبة سرجه بدن ودرع وتحمله مواشكة دؤوك

والصواب: ذؤول. وفي «اللسان» نرى البيت يتحدث عن الناقة، أما في «الأصمعيات» فعن الفرس.

٥ ـ وفي الشطر الثاني من البيت الخامس:

«تُضَمَّرُ في طوابقه الخيول»

ذكره المرزوقي في «شرح الحماسة»: تضمّن.

وصواب كلمة طوابقه: طوائقه.

٦ ـ واضح وليس له رواية أخرى.

٧ ـ صواب البيت: لقد ضمنت بنو زيد بن عمرو وهم في «جمهرة الأنساب» (ص١٩٥) حين ذكر قاتل بسطام فقال: «وقاتل بسطام هو عاصم بن خليفة بن معقل ابن صباح بن طريف بن زيد بن عمرو بن عامر بن ربيعة من بني ضبَّة».

٨ ـ يروى:

«فخرَّ على الألاءة»

(والألاءة): من الشجر الذي ينبت في الأماكن الرملية.

٩ ـ وباقي البيت: «**وفاتهم خليل**» يروى: «وحلَّ بهم جليل».

ويعود الأستاذ من حيث ابتدأ، فيقول: تقول العرب: ويل امه، ويراد به التعجب، والأصح هنا: بحيث أضر. والبدن هو الدرع، قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس: ٩٢]؛ أي: بدرعك، وفي «الكامل» (١/٦٥٦)، الذأل مشية كمشية الذئب ومن قال في بيت ابن عنمة دؤول أراد هذا، ومن أراد ذؤول فهو ضرب آخر. **(وربَّت الناقة)**: أسرعت. والبيت:

حقيبة رحله بدن وسَرج
تُعارضه مربَّبَة ذؤول

وكان العرب إذا أرادوا حربًا قرنوا الخيل بالإبل، وركبوا الإبل ليريحوا الخيل ويودعوها. فمعنى البيت الرابع إنه ركب بعيرًا تعارضه

مربَّبَة، أو أنه يركب الخيل وتعارضه الناقة مواشكة. والوصف في الشطر الأول من البيت الخامس لجبل تعشار، و(**الطوابق**): جمع طابق، وهو حرف نادر في قنة الجبل، أو نشز ينشز من الجبل ناتئ منه.

ومن ذلك: (**الطرة**)، وهي قبة تعقد من الآجرّ فوق الجبل. قال عمرو بن حسان:

ألا يا أم قيس لا تلومي وأبقي إنما ذا الناس هامُ

أجدك هل رأيت أبا قبيس أطال حياته النعم الرُّكامُ

بنى بالغمر أرعن مشمخرًا تغَنّي في طوائقه الحمام

وكسرى إذ تقسَّمه بنوه بأسياف كما اقتُسِمَ اللحام

تمخضت البنون له بيوم أتى ولكل حاملة تمام

«معجم البلدان»: (١/ ٨١).

ولأبي ذؤيب في ديوان الهذليين:

أعاذل أبقي للملامة حظها إذا راح عنّي بالجليَّة عائدي

وهو شبيه بمعنى أول بيت من أبيات عمرو بن حسان.

وبعد أن قال ابن عنمة في البيت الثامن إن قومه قد فجعوا بمقتله، وصفه قائلًا:

١٠ ـ بمطعام إذا الأشوال راحت
إلى الحجرات ليس لها فصيل

(**الأشوال**): النياق التي شالت ألبانها؛ أي: ارتفعت. و(**الحجرات**): حظائر الأبل، أما (**الفصيل**) فهو ولد الناقة.

وقول ابن عنمة:

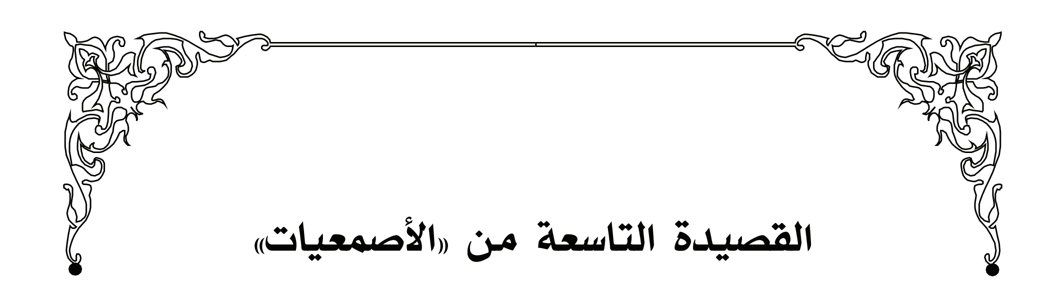
١١ ـ ومـــقـــدام إذا الأبـــطـــال خـــامـــت

وعـــرَّد عـــن خـــلـــيـــلـــتـــه الـــخـــلـــيـــل

(خامت): جبنت ونكصت، **(وعرد عن خليلته)** معناه: فَرَّ عنها وتركها.

وبهذا تم شرح القصيدة.





القصيدة التاسعة من «الأصمعيات»

هذه القصيدة من شعر عُقْبة بن سابق، وهي في واحد وعشرين بيتًا، مطلعها:

وجُــــرْفٍ ســـبــــســـبٍ يـــجـــري
عــــلـــيـــه مــــوره، جَــــدْبِ

يصف بها الخيل كما ذكر الأصمعي في بدايتها.

ذكر محققا «الأصمعيات» أنهما لم يجدا لهذا الشاعر ترجمة، وأن أكثر المصادر تذكره باسم عقبة بن سابق الهزّاني، بكسر الهاء وتشديد الزاي، فهو من بنى هزان بن صباح بن عتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد، وذكره ابن الأعرابي في كتاب الخيل فسماه عقبة بن سالم، وقد رجح المحققان أن يكون «سالم» تحريف عن «سابق» وقد اختُلف فيه اختلافًا كثيرًا، فقد ذكر أبو عبيدة أنه عقبة بن سابق الجرمي، فهو طائي. وقيل: عقبة ابن سابق العنبري، فهو من بني تميم، وجاء في «الكامل» بشرح المرصفي أنه جاهلي.

لم تذكر الأبيات الأولى من هذه القصيدة في شيء من الكتب إلا في «لسان العرب»، مادة: (لحب) و(ذمل) فقد ذكر البيت السادس الذي يقول فيه:

رفـــعـــنـــاهـــا ذمـــيـــلًا فـــي مُـــمَـــلٍّ مُـــعْـــمَـــلِ لـــحـــب

وهذه هي القصيدة:

١ ـ وجُـــرفٍ ســـبـــســـبٍ يـــجـــرى
عـــلـــيـــه مُـــورهُ جَـــدْبِ

روي: «وجوف سبسب»، وروي: و«خرق سبسب»، والخرق: هو الأرض الواسعة التي تخرقها الرِّياح. (**والخرق**): الفلاة الواسعة والأرض البعيدة، سميت بذلك لانخراق الريح فيها. (**السبسب**): الأرض الرملية الممتدة، (**المور**): الغبار، (**الوجناء**): الناقة الشديدة الوجه، قال الشاعر:

لـهـا أذنـا خـشـف وذفـرى أسـيـلـة وخـدٌّ كـمـرآة الـغـريـبـة أسـجـح

٢ ـ تَـــعَـــسَّـــفْـــتُ عـــلـــى وجـــنـــا
ءَ، حـــــرف حَـــــرَجٍ رهــــــب

(**تعسفت على وجناء**): ركبت المفازة دون اهتداء إلى الطريق على ناقتى الوجناء: الغليظة، والـ(**حرف**): هي الضامرة ـ (**حرج**): تُحرج صاحبها، وقوله: (**رهب**): عالية يرهبها راكبها.

٣ ـ طـــلـــيـــح كـــالـــفـــنـــيـــ
ـق الـقَـطِـمِ الـمـسـتـكـبـر الـصـعـب

الـ(**طليح**): الناقة التي أعياها المسير فسارت سيرًا بعيدًا. (**الفنيق**): الفحل المكرم من الإبل الذي لا يُرْكب ولا يهان لكرامته على أهله، وَيُعَدُّ للضراب والفحلة، وهو (**القطم**) والقطم هو: الجمل الصَّؤول.

٤ ـ تَـــــهَـــــادى بـــــالــــردافـــــى و
تَــــشَــــكّــــى وجـــع الـــنَّـــكـــب

(**تهادى**): تتمايل في مشيها، بـ(**الردافي**): بالذين يركبون مردفين، قال القطامي في ذكر امرأة لم تضيفه:

فقمت إلى مهرية قد تعودت يداها ورجلاها خبيب المراكب

٥ ـ وعـــــنـــــس قـــــد بــــراهـــــا لــــذ
ذة الـــــمـــــوكـــــب والـــــشَّـــــرب

الـ(**عنس**): الناقة الصلبة. (**الموكب**): القوم الركوب على الإبل، وجماعة الفرسان.

٦ ـ قوله:

رفـــــعـــــنـــــاهـــــا ذمـــــيـــــلًا فـــــي
مُـــــمِـــــلٍّ مُـــــعـــــمَـــــل لـــــحـــــب

(**الرفع**): نوع من السير، طريق (**ممل**): كثر ركوبه وسلوكه حتى مله الناس، و(**المعمَل**): ما عمل فيه السير، (**لحب**): مسلوك، فكأنه من أثر ذلك قد انقشرت طبقته العالية عليه.

٧ ـ البيت:

وقـــــد أغـــــدو بـــــطِـــــرْفٍ هـــــي
ـكـــــل ذي خـــــصـــــل، ســـــكـــــب

يروى: (ذى ميعة سكب).

والـ(**طِّرف**): الفرس الطويل القوائم، الطويل العنق، المطرف الأذنين. الـ(**خصل**): خصل الشعر، والـ(**سكب**): الجواد كثير العدو.

٨ ـ وهو البيت التاسع من المطبوعة:

مِسَحٍّ لا يواري العـ
ـير منه عصر اللهب

قوله: (**مِسَحٍّ**): سريع؛ كأنه يصب من علٍ، و(**العير**) هو: حمار الوحش، و(**عصر اللهب**) معناه: الشق في الجبل، أو بين جبلين في أسافل الجبل، ومعناه أن الفرس لسرعة جريانه فإنَّ حمار الوحش لا يستطيع أن يتفاداه أو يختفي عنه في شقوق الجبال.

٩ ـ البيت العاشر من المطبوعة:

له ساقًا ظليم خا
ضبٍ فوجئ بالرُّعب

الـ(**ظليم**): ذكر النعام، والـ(**خاضب**): الذي احمر ساقاه وقد مر بنا وصفه في قصيدة سابقة. وهو سريع لا تدركه الخيل، وإذا حل به رعب فهو أشد سرعة.

١٠ ـ وهو البيت الحادي عشر من المطبوعة:

وقُصرى شنج الأنسا
ءِ نَبَّاحٍ من الشُّعْب

قال الشارحان: الـ(**قُصرى**) بضم القاف: أسفل الأضلاع، شنج (**الأنساء**): مُتَقَبِّضها، والنَّسَا: عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر بالعرقوب حتى يبلغ الحافر. و(**الشُّعب**): جمع أشعب: وهو الظبي إذا أَسَنَّ، ونبتت لقرونه شُعَب، وهو ينبح في تلك الحال.

وقد قال النابعة الذبياني في نبح الغزال عند كبره:

ويصيدنا العير المدل بِحُضْرِهِ   قبل الونى والأشعب النَّباحا

١١ ـ وهو البيت السادس عشر من المطبوعة:

جواد الشد والتقري
ب والإحضار والعَقب

روي: «عتيد الشد» (**المحضار**): أشد السير، و(**العقب**): الجري يأتي بعد الجري الأول. يقال: لهذا الفرس عقب حسن؛ أي: يزداد في عدوه جودة.

١٢ ـ وهو البيت السابع عشر من المطبوعة:

يَخُدُّ الأرض خدًّا ب
صُمُلٍّ سلط وَأْبِ

(**سلط**): من السلاطة وهي الحدة المتتابعة، قال أبو دؤاد:

سلط السنبك لأم فصه   مكرب الأرساغ مهموك المعد

وفي «لسان العرب»، مادة: (سلط) ذكر السلط وقال: هو الشديد، ومنها السنابك، وعلى ذلك فإنَّ قول الشارحين أن السلط ليست في معاجم اللغة غير صحيح. الـ(**وأبِ**): الذي تكون في حافره فجوة.

١٣ ـ وهو ساقط من المطبوعة:

وأيَ يستفرغ المي
عة بين النزع والجذب

١٤ ـ وهو البيت التاسع عشر من المطبوعة:

ويُــــردي الـــخـــاضـــب الأخْــــرَ

ج فــــي ذي عُـــمُـــد صُـــهْـــب

في «لسان العرب»: «فيُردي».

أما (**الخاضب**): فقد جرى وصفه فيما تقدم. وهي صفة للذكر فقط لا الأنثى. (**الأخرج**): كل لونين يخرج أحدهما من الآخر، أو اللون الذي يخرج من لونين. والـ(**عُمُدُ**): جمع عمود، و(**الأصهب**): الأحمر.

١٥ ـ وهو البيت العشرون في المطبوعة:

وفـــحـــل الـــعـــانـــة الـــجُـــون ال

خِـــمـــاص الـــنُّـــحُـــص الـــحُـــقْـــب

(**العانة**): قطعة من إناث حمير الوحش، (**الجون**): البيض، وتطلق هذه الكلمة على الأبيض والأسود، ومفردها جَون بفتح الجيم. الـ(**خماص**): الضامرة الجياع.

(**النُّحُص**): مفردها نَحُوص، وهي الإناث الوحشية التي لا ولد لها، (**الحُقب**): جمع أحقب وحقباء، وهي التي في بطنها بياض.

١٦ ـ وهو البيت الثامن عشر في المطبوعة:

يـــزيـــن الـــبـــيـــت مـــربـــوطًـــا

ويـــشـــفـــي قـــرم الـــمـــركـــب

هذا الحصان يشبع جوعهم، ويشفي شهوتهم إلى أكل اللحم بما يتيح لهم من الصيد.

١٧ ـ وهو البيت الثامن في المطبوعة:

أسـيـل سـلـجـم الـمـقْـ
ـبـل لا شـخـت ولا جَـأب

يقصد الشاعر بقوله: (**أسيل**): أن حصانه أسيل الخد، وهو الدقيق المستوي. والـ(**سلجم**): الطويل الظاهر الطول عند إقباله، والـ(**شخت**): هو الدقيق الخلق مع دقة العنق، والـ(**جأب**): هو الغليظ، ومقبل الفرس: وجهه وعيناه.

١٨ ـ وهو البيت الثالث عشر في المطبوعة:

تـرى فـاه إذا أقـبـل
مـثـل الـسَّـلـق الـجـدب

ويروى: (**مثل الصَّلق**). و(**السَّلق**): القاع المستديرة الملساء ولا شجر فيها.

١٩ ـ وبعده؛ وليس في النسخة المطبوعة:

طـويـل طـامـح الـطـر
ف إلـى مـفـزعـة الـكـلـب

(في: الأزمنة والأمكنة، واللسان، والأمالي).

و(**مفزعة الكلب**): أقصى موقع يسمع منه الكلبُ إيساد صاحبه، و«الإيساد»: الإغراء بالصيد للكلب.

وإنما يريد أنه مدرب حاذق للصيد، فإذا فزع الكلب إلى جهة طمح ببصره إليها.

٢٠ ـ وبعده؛ وليس في المطبوعة:

عـــريـــض الـــخـــد والـــجـــبـــهـــة وال

صـــــهـــــوة والـــــجـــــنـــــب

٢١ ـ وهو البيت الثاني عشر في المطبوعة:

ومـــتـــنـــان خـــظـــاتـــان

كـــزحـــلـــوف مـــن الـــهَـــضْـــب

الـ(**متنان**): ما يكتنف الصلب، و(**خظاتان**): مثنى خظاة وهي المكتنزة من كل شيء. (**الزحلوف**): المكان المنزلق وتروى: الزحلوق بالقاف.

٢٢ ـ وهو البيت الخامس عشر من المطبوعة:

حـــديـــد الـــطـــرْف والـــمـــذ

ـكـــب والـــعـــرقـــوب والـــكـــعـــب

(**حديد الطرف**): حاد النظر، و(**العرقوب**): هو رجل الدابة بمنزلة الركبة في يدها.

٢٣ ـ وبعده بيت غير موجود في المطبوعة:

وأرساغ كأعناق ظباء أربع غُلب

ورد هذا البيت في كتاب الخيل الذي سبقت الإشارة إليه.

٢٤ ـ وهو البيت الرابع عشر من المطبوعة:

لـــه بـــيـــن حـــوامـــيـــه

نـــســـور كـــنـــوى الـــقَـــسْـــب

(**الحوامي**): مآخير حوافر الفرس، والـ(**نسور**): جمع نسر وهي لحمة صلبة في باطن الحافر، و(**القسب**): هو التمر الرديء.

٢٥ ـ وهو البيت الحادي والعشرون من المطبوعة:

يـــــهـــــز الـــــعـــــنـــــق الأجـــــر

د فـــــي مـــــســـــتـــــأمـــــن الـــــشَّـــــعـــــب

قال ابن قتيبة: (**الأجرد**): الأملس القصير الشعر، و(**الشَّعب**): هو الوصل المركب في الحالك، و(**مستأمن الشَّعب**): أمين لا يخاف ضعفًا. الحالك: التقاء العنق بالكاهل.

٢٦ ـ وبعده؛ وهو غير وارد في المطبوعة:

كـــــشـــــخـــــص الـــــرجـــــل الـــــعـــــريـــــا

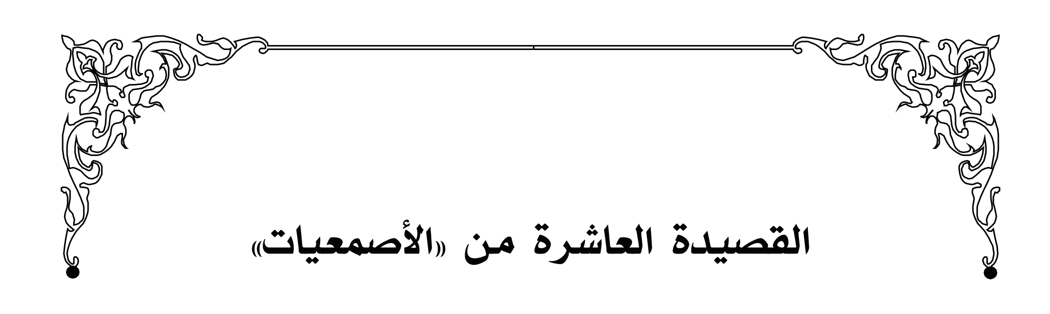
ن فـــــعـــــم مـــــدمـــــج الـــــعَـــــصْـــــب

أورده المرزوقي في شرح حماسة أبي تمام.

الـ(**فعم**): الضخم. (**مدمج العصب**): مفتول العضلات.

هذا ويلاحظ المتتبع لحديث الشيخ أنه أضاف أبياتًا أخرى إلى القصيدة من مراجعه التي اعتمد عليها كما غيَّر في ترتيبها وفقًا لتذوقه لها.





القصيدة العاشرة من «الأصمعيات»

هذه القصيدة مما قاله الشاعر عروة بن الورد، وهو وإن لم يعده الأصمعي من الشعراء الفحول غير أنه سماه شاعرًا كريمًا، وله ترجمة كبيرة في كتاب «الأغاني» للأصفهاني؛ هو شاعر نشأ في العصر الجاهلي، وهو فارس من فرسان العرب الأشداء، وكان ـ كذلك ـ صعلوكًا من الصعاليك المعدودين حتى لقد لحقه لقب: عروة الصعاليك؛ لأنه كان يجمع الصعاليك ويهتم بأمورهم، له ديوان مطبوع تم طبعه لأول مرة في أوروبا سنة (١٨٦٣م). وورد ذكر عروة في عدد كبير من كتب الأدب والشعر واللغة.

بدأ عروة بن الورد قصيدته هذه بتوجيه القول إلى زوجته سلمى بنت منذر، ومطلعها:

١ ـ أقِلِّي عليَّ اللوم يا ابنة منذر
ونامي، فإن لم تشتهي النوم فاسهري

ويروى: «فإن لم تشتهي ذاك فاسهري».

٢ ـ ذريني ونفسي أم حسان، إنني
بها قبل أن لا أملك الأمر مشتري

ورواية «الأصمعيات»: «لا أملك البيع».

٣ ـ أحــاديــث تــبــقــى والــفــتــى غــيــر خــالــد
إذا هـــو أمـــســـى هـــامـــة تـــحـــت صَـــيِّـــر

الرواية الجيدة: (فوق سيِّر). والـ(صيِّر): القبور القديمة، وهي تشبه الغرفة وفوقها قبة. وتشبَّه عيون النوق بقبور عاد؛ لأن العرب ـ من قبل ـ كانوا يحفرون قبورهم حفائر في الأرض وليس لها لحود.

٤ ـ تُـجـاوب أحـجـار الـكـنـاس وتـشـتـكـي
إلـــى كـــلِّ مـــعـــروف تـــراه ومـــنـــكـــر

و(**الكناس**): موقع في بلاد بني عبس.

٥ ـ ذريــنــي أطــوِّف فــي الــبــلاد لــعــلــنــي
أخــلــيــك أو أغــنــيــك عــن ســوء مــحــضــري

ومحضري في «الأصمعيات» بلا ياء في آخرها.

و(**أخليك**): أطلقك، ويقصد بذلك أنه قد يُقتل.

٦ ـ فــإن فــاز ســهـــم لــلــمــنــيــة لــم أكــن
جـــزوعًـــا، وهـــل عـــن ذاك مـــن مـــتـــأخـــر

ذكر أنه لا يجزع من الموت الذي سوف يأتيه بسبب الأمور التي تلومه امرأته عليها. وشبه مقارعته للموت بسهام الميسر.

٧ ـ وإن فــاز ســهــمــي كــفَّــكــم عــن مــقــاعــد
لــكــم خــلــف أدبــار الــبــيــوت ومــنــظــر

كلمة (**منظر**) تأتي كثيرًا في اللغة، والمقصود بها في هذا البيت: المذلة، والعرب يأتون البيوت من خلفها احترامًا لمن فيها،

والمنظر: الجلوس والنظر إلى أهل البيت انتظارًا لما يعطيه أهله لهم، بما في ذلك من ذل الحاجة.

٨ ـ تقول لك الويلات هل أنت تارك
ضَبُوءًا برَجْلٍ تارة وبمنسر

(**الضبوء**): الالتصاق بالأرض وذلك لكي يختل للصيد، (**الرَّجْل**): المشاة الرجَّالة، و(**المنسر**): جماعة الخيل. تقول: إنك لن تتخلى عن الصيد أو الغارة.

٩ ـ ومُسْتَثَبت في مالِكَ العام إنني
أراك على اقتاد صرماء مُذْكرِ

(**الاقتاد**): جمع قتد وهو خشب الرحل، والـ(**صرماء**): التي قلَّ لبنها. وقال ابن السكيت شارح ديوان عروة: إن الصرماء هي الناقة التي صرمت أطباؤها (أثداؤها)؛ أي: قطعت، لينقطع لبنها فتقوى ويشتد لحمها. أما المذكر فهي التي تلد الذكور، وهم لا يحبون هذا النوع من نتاج الإبل.

وفي هذا البيت يتحدث الشاعر بلسان زوجته، فيقول:

إنها توجه إليّ كلامها قائلة: هل أنت مستثبت هذا العام في مالك؟ إنني أخاف عليك ألا تعود، أنت تسعى إلى شن الغارات باستمرار، فكيف تسلم في كل مرة؟.

١٠ ـ فَجُوع بها للصالحين مَزِلة
مخوف رداها أن تصيبك فاحذر

لقد شبهت الزوجة حال زوجها بما أنه في خطر دائم فكأنه

على (**اقتاد صرماء مذكر**)، وهذه هي الدنيا في نظرها وهي (**فجوع**): تفجع الناس.

(**للصالحين**): لذوي المعروف.

(**مَزلة**): تزل بأهلها.

وهنا يرد عليها قائلًا:

١١ ـ أبـا الـخـفـض مـن يـغـشـاك مـن ذي قـرابـة
ومــن كــل ســوداء الــمــعــاصــم تــعــتــري

(**الخفض**): لين العيش، وهدوء البال، يقول: ولقد دفعني إلى ما أنا فيه من جهد الغارات أن أعيش في دعة وهدوء فأنا مضطر للغارات حتى استطيع أن أقدم لمن يغشاك من ذوى قرباك ما يحتاجون إليه، وما يأتونك من أجله بسبب حاجتهم الملحة، وهو يرى أن جسم الإنسان يتغير في زمن البؤس، ولذا قال سوداء المعاصم.

١٢ ـ ومُــســتــهــنــئ زيــدٌ أبــوه فــلا أرى
لــه مــدفــعًــا، فــاقــنــي حــيــاءك واصــبــري

(**المستهنئ**): هو طالب العطاء، وهذا المستهنئ رجل من قومه يجمعهما زيد، وزيد جد عروة، إنه يقوم بالغارات خشية أن يطرقه قريبه هذا وهو محتاج فلا يجد عنده شيئًا، (**اقني حياءك**): احفظيه.

١٣ ـ لـحـى الـلَّـه صُـعْـلـوكًـا إذا جَـنَّ لـيـلـه
مـضـى فـي الـمـشـاش آلـفًـا كـلَّ مَـجْـزر

تُروى: «مصافي المشاش»، من المصافاة، أو مضى في (**المشاش**)؛ أي: مضى يتبع المشاش، وهو الغظروف.

١٤ ـ يَعُدّ الغنى من دهره كلَّ ليلة
أصاب قراها من صديق ميسَّر

تروى: «يعد الغنى من نفسه قوت ليلة».

ثم: أصاب قراها من خليل مُيّسَّر

١٥ ـ وهو البيت السادس عشر من المطبوعة:

ينام قليلًا ثم يصبح قاعدًا
يَحُتُّ الحصى عن جنبه المتعفّر

ويروى: (**يصبح**) طاويًا ويصبح ناعسًا.

يقول: إن هذا ليس مثلي فهو ليس بصاحب إدلاج ولا غزو.

١٦ ـ وهو البيت الخامس عشر في المطبوعة:

قليل التماس المال إلا لنفسه
إذا هو أضحى كالعريش المجوَّر

يروى: (**قليل التماس**) الزاد. و(**العريش**) معروف، و(**المجور**): الساقط. يقول: إنه إذا ملأ بطنه بالأكل ألقى نفسه كأنه عريش منهار.

١٧ ـ يعين نساء الحي ما يَسْتعِنَّه
فيضحى طليحًا كالبعير المحسَّر

(**الطليح**): الذي أصابه الإعياء، و(**المحسَّر**) كذلك.

هذا الصعلوك الذي وصفه من النوع الذي لا يعجبه، ولا ينبغي أن ترتاح إليه زوجته، فهو مختلف عنه، وهو أكثر إقدامًا وشدة وعزمًا، يقول بعد ذلك:

١٨ ـ ولله صعلوكٌ صحيفة وجهه
كضوء شهاب القابس المتنور

(**الشهاب**): عود من خشب فيه نار، و(**المتنور**): الذي يأخذ النار ليشعل بها نارًا أخرى.

١٩ ـ مطلًا على أعدائه يزجرونه
بساحتهم زجر المنيح المشهَّر

هو مشرف على أعدائه، يعلوهم، ويغزوهم دائما وهم يحاولون زجره ودفعه عنهم، ولكنه لا يأبه بهم و(**المشهَّر**) تعني: المشهور.

٢٠ ـ وإن بعدوا لا يأمنون اقترابه
تَشَوُّفَ أهل الغائب المتَنَظر

وتروى: (**فإن بعدوا**)

٢١ ـ فذلك إن يلق المنية يلقها
حميدًا، وإن يَسْتَغنِ يومًا فأجْدَرِ

٢٢ ـ أيهلك معتمٌّ وزيد ولم أقم
على نَدَبٍ يومًا ولي نفسُ مُخْطِرِ

(**معتم وزيد**): بطنان من بني عبس، هما عمَّاه، يقول: كيف تُهلكهم الحاجة ولم أقم منتدبًا لنفسي، فابذل جهدي في المخاطرة حتى أغنيهما.

٢٣ ـ سيُفزِعُ بعد اليأس من لا يخافنا
كواسعُ في أخرى السَّوام المنفَّر

(اليأس) بمعنى: العلْم، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ﴾ [الرعد: ٣١]، ومعناها: أفلم يعلم؟ و**(الكسع)**: هو الطرد، بتتبع المطرودين من **(السوام)** وهي: الإبل. والمنفر: المذعور.

٢٤ ـ نطاعن عنها أول القوم بالقنا
وبيضٍ خفافٍ وقْعُهنَّ مُشَهَّر

(القنا): الرماح، والـ**(بيض)**: السيوف.

وروى شطر البيت: «**وبيض خفاف ذات لونٍ مُشَهَّر**».

٢٥ ـ ويومًا على غارات نجد وأهله
ويومًا بأرض ذات شتّ وعرعر

والرواية: **(فيومًا)** على **(نجد)** وغالب **(أهلها)**.

(الشتّ والعرعر): نباتان.

٢٦ ـ يناقلن بالشُّمْط الكرام أولي النُّهى
نقاب الحجاز في السريح المسيَّر

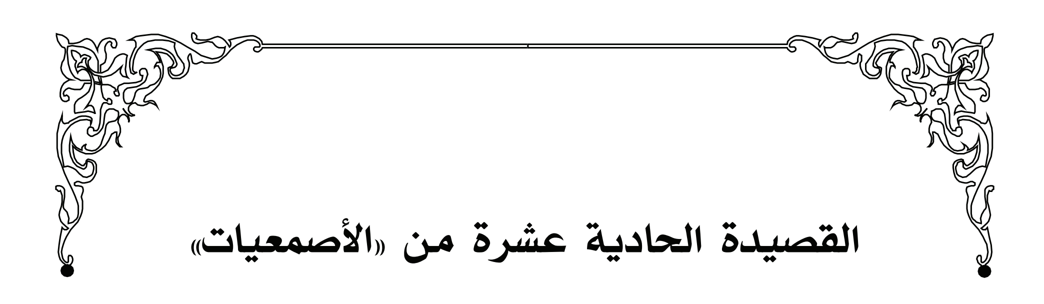
(المناقلة): أن يضع الفرس يده ورجله على غير حجر لحسن نقل قوائمه، وما كانت العرب قبل الإسلام تنعل الخيل. **(السريح)**: نعال الإبل، وهي من الجلد.

هذا وفي «الأصمعيات» المطبوعة بيت أخير هو:

يــريــح عــلــيَّ الــلــيــلُ أضــيــاف مــاجــد
كــريــم، ومــالــي ســارحًــا مــال مُــقْــتــر

ورقمه فيها: السابع والعشرون. ولم يشرحه الشيخ، ولاحظت أنني وضعت بجانبه رقم **(٢٣)**، ولا موضع له هناك؛ لأن تسلسل القصيدة كما تم لنا شرحها واضح بالأرقام. وهو في هذا البيت يذكر استقباله ـ ليلًا ـ لأضيافه الذين يردهم الليل إليه، ويصف نفسه بأنه ماجد كريم، و**(المال)**: يعني به الإبل التي يمتلكها، و**(المقتر)**: الفقير قليل المال.





القصيدة الحادية عشرة من «الأصمعيات»

وهي قصيدة الشاعر أسماء بن خارجة، وكان قد عمر طويلًا، وعاش شطرًا من حياته في الجاهلية، ومات في زمن الدولة الأموية، وكان له ذكر طيب، وكان الشعراء يمدحونه ومنهم الفرزدق، وقد تزوج الحجاج ابنته، وكان ابنه مالك بن أسماء واليًا من ولاته. توفي أسماء عن عمر يناهز التسعين بعد سنة ستين للهجرة.

وردت له ترجمات كثيرة في عدد من الكتب منها: «الإصابة في تمييز أسماء الصحابة»، و«الأغاني»، و«النقائض» و«طبقات فحول الشعراء»، و«الشعر والشعراء»، و«البيان والتبيين» وغيرها. . . .

يوجه الشاعر قصيدته هذه إلى ذوي الفهم والتجربة، يسألهم عن علاج ناجح لداء الصبابة، فقد رأى أن المحب الذي تغلبه محبته لمن يحب كالمريض الذي مسه الداء، فهو يرجو له الشفاء:

١ ـ إنِّـــي أســـائـــل كـــلَّ ذي طِـــبِّ

مـــاذا دواء صـــبـــابـــة الـــصـــبِّ

وليس هذا فحسب بل هو يريد دواء يمنع عنه هذه العاذلة التي صارت تلومه وتعاتبه:

٢ ـ ودواءُ عـــاذلـــة تُـــبـــاكـــرُنـــي

جـــعـــلـــت عـــتـــابـــي أوجـــب الـــنـــحـــب

(والنحب): هو: النذر، فكأن نذرًا عليها بل هو أول نذورها أن تتولاه بالعتاب الساخط.

وهو يرى أن تدخُّل هذه المعاتبة (بكسر التاء) لا داعي له، فإن له شأنه ولها شأنها:

٣ ـ أولــيــس مــن عــجــب أســائــلــكــم
مــا خــطــب عــاذلــتــي ومــا خــطــبــي

٤ ـ وبعده:

أبِــهَــا ذهــاب الــعــقــل أم عــتــبــت
فــأزيــدهــا عــتــبًــا عــلــى عــتــب

لقد ألحَّت بالعتاب حتى عدها فاقدة لعقلها.

٥ ـ أولــم يــجــرّبــنــي الــعــواذل، أو
لــم أبْــلُ مــن أمــثــالــهــا، حــســبــي

٦ ـ مــا ضَــرَّهــا أن لا تــذكــرنــي
عــيــش الــخــيــام لــيــالــي الــخــب

(الخب): اسم موضع، **(لم أبلُ حسبي)**: لم أبلغ كفايتي.

٧ ـ ثم يقول:

مــا أصــبــحــت فــي شــر أخــبــيــة
مــا بــيــن شــرق الأرض والــغــرب

وقد علق شيخنا على الشطر الأول من هذا البيت بقوله: «هذا الشطر قلق لا محل له إلا أن يكون قد ذكر اسم امرأة أغفلها الرواة، أو اندثرت، يدل على ذلك البيت الذي بعده» وهو:

٨ ـ عرف الحسان لها جويرية
تسعى مع الأتراب في إتب

(**الأتراب**): المماثلات لها في السن. و(**الإتب**): نوع من اللباس الخارجي يشبه البردة.

٩ ـ بنت الذين نبيَّهم نصروا
والحقَّ عند مواطن الكرْب

١٠ ـ والحيِّ من غطفان قد نزلوا
من عزةٍ في شامخ صعب

١١ ـ بذلوا لكل عمارة كفرت
سوقين من طعنٍ ومن ضرب

١٢ ـ حتى تحصَّن منهُمُ مَنْ دونَه
ما شاء من بحر ومن درْب

(والحي من غطفان): ممن يمت إليه انتماؤه، و(**العمارة**): الحي العظيم من الناس مستقل بذاته، وفضّل الأستاذ: وضعوا لكل عمارة.

واستمر الشاعر في الحديث عن هؤلاء الذين ذكرهم في آخر بيت قدمناه، قائلًا؛ إنهم قد أضروا بأعدائهم حتى تحصن منهم من دون ذلك ما أمكن من بحر، ومن (**درب**)، والدرب هنا: كل مدخل إلى بلاد الروم. يريد أن يقول إن الناس تهابهم في أي مكان كانوا وأي سبيل سلكوا.

ولقد أضرب عن الحديث حول هذا الأمر بعد هذا البيت،

وصار يتحدث عن نفسه، ذاكرًا الفلوات التي قطعها وهي فلوات لا أنيس بها ولا ترى فيها إلا الصخور الناتئة وهي صخور يُستَدل بها عادة على الطريق الذي يراه بعيدًا مستويًا، مَحْلُهُ دائم.

وهو ـ أيضًا ـ طريق يُنسي الدليل ـ لشدة رعبه ـ ما عرفه عنه واستدل به عليه.

وهو طريق ـ بسبب خلوه من الحياة ـ يكاد يهلك بالقفر المحيط به حصانه مهما كان سريعًا كريمًا.

يبذل جهده في السرعة إلى الشأو والغاية والمدى، فيستفرغ كل طاقته في الجري (الحُضر) ولا يبقي لمقدرته شيئًا.

١٣ ـ بــــل رُبَّ خـــرقٍ لا أنـــيـــس بـــه
نـــابـــي الـــصُّـــوى مـــتـــمـــاحـــل ســـهـــب

١٤ ـ يـــنـــســـى الـــدلـــيـــل بـــه هـــدايـــتـــه
مـــن هـــول مـــا يـــلـــقـــى مـــن الـــرُّعـــب

١٥ ـ ويـــكـــاد يـــهـــلـــك فـــي تـــنـــائـــفـــه
شـــأوُ الـــفَـــريـــغ وعَـــقْـــب ذي عَـــقـــبِ

وإضافة إلى ما تقدم من الشرح إليك ما يلي:

(التماحل): في صفة الصحراء ما يوحي بعضها بالمحل، وهو الجدب، وإذا استمر الجدب تواصل وزادت البقعة التي أضر بها، **(الفريغ)**: الذي يستفرغ حُضْره (جريه) فلا يبقي من طاقته شيئًا. وقد مر ذكر ذلك آنفًا.

ثم يقول:

١٦ ـ وبــه الــصــدى والــعــزف تــحــســبــه
صــــدحَ الــقــيــان عــزفــن لــلــشَّــرب

١٧ ـ كــابــدتــه بــالــلــيــل أعــســفــه
فــي ظــلــمــة بــســواهــم حُــدْب

(**أعسفه**): أسير فيه على غير هدى، (**السواهم**): الإبل التي تغيرت أجسامها من الهزال، أو الخيل التي اسود لونها من أثر التعب، الـ(**حُدْب**): جمع حدباء وهي التي ظهرت عظام ظهرها.

(**والصدى**): هو ما يطلق عليه العرب اسم: الهامة، وهي كما يظنون أصوات القتلى تنادي بالثأر لنفسها، والصدى ـ أيضًا ـ: صوت البوم في الخلاء، في «اللسان»: «بكل يفاعٍ بومها يُسمع الصدى»، و(**العزف**) هنا: صوت الجن الذي كان يتخيل سماعه وهو في طريقه، و(**القيان**): مفردها: قينة وهي الأَمَة التي تُغَنّي، أما (**الشّرْب**): فهم جماعة الشاربين.

❑ ❑ ❑

ثم انتقل أسماء بن خارجة إلى حديث آخر، ذكر فيه الضيف الذي ألَمَّ به، فوصفه وصفًا يدل على حاله:

١٨ ـ ولــقــد ألَــمَّ بــنــا لــنــقــريــة
بــادي الــشــقــاء مــحــارَف الــكــســب

(**ألم بنا**): نزل عندنا، طالبًا القِرى (بكسر القاف) وهو

الاستضافة والإطعام، الـ(**محارف**): الذي لم يُصب كسبًا في كل ما حاول، وانحرف عن سبيل الارتزاق.

١٩ ـ يــدعــو الــغــنــى أن نــال عُــلــقــتــه
مــــن مـــطـــعـــم غـــبًّـــا إلـــى غـــبِّ

ولا يغيب عن البال أن الشاعر يتحدث عن ذئب جائع مر به في تلك الصحراء القاحلة، ولقد كان ذلك الذئب قنوعًا يدعى أنه غني عندما ينال قليلًا من الزاد (**عُلقة**): يناله بين الفينة والفينة.

إنه يطوى (**ثميلته**): (وهو باقي الطعام الذي في جوفه) وقد ألحق بطنه بظهره لشدة الجوع.

٢٠ ـ فــطــوى ثــمــيــلــتــه فــألــحــقــهــا
بــالــصُّــلــب بــعــد لــدونــه الــصُّــلــب

ثم وجه نصائحه إلى الذئب فقال:

لقد ضل سعيك في كل ما صنعت بنفسك منذ بداية حياتك حتى اليوم، وإنك لو كنت ذا عقل لصنعت ما يصنعه صاحب العقل، ولجعلت الصالح مما جمعته طيلة حياتك لهذا اليوم، ولكنك شغلت نفسك بالعداوة والخصام، بل صرت تجترئ على فعل ذلك.

٢١ ـ يــا ضَــل ســعــيــك مــا صــنــعــت بــمــا
جَــــمَّـــــعْــــتَ مـــــن شُـــــبٍّ إلـــــى دُبِّ

٢٢ ـ لــو كـــنـــت ذا لُـــبٍّ تــعــيــشُ بــه
لــفــعــلــت فــعــل الــمــرء ذي الــلُّــب

٢٣ ـ فجعلت صالح ما اخترشت وما

جَمَّعْتَ من نَهْبٍ إلى نَهْب

٢٤ ـ واظنه شَغْبًا تُدِلُّ به

فلقد مُنيتَ بغاية الشَّغْب

(البيت الثاني والعشرون لم يرد في الطبعة الأوروبية) وقوله في **(٢٣)** إلى **(نهب)** بمعنى: مع نهب.

٢٥ ـ إذ ليس غير مَنَاصل نعصًا بها

ورحالنا وركائب الركب

ويروى:

أو كان غير مناصل نعصًا بها مشحوذة وركائبَ الركب

(المناصل): السيوف، **(نعصًا بها)**: نضرب بها كما يُضرب بالعصا.

٢٦ ـ فاعمد إلى أهل الوقير فإنما

يخشى شذاك مقرمص الزّرب

هكذا في «الأصمعيات» المطبوعة. وجاءت لهذا البيت رواية أخرى، هي:

فاعمد إلى أهل الوقير فما يخشاك غير مقرمص الإرب

(الوقير): الغنم، إن الشاعر ينصح الذئب بالاتجاه إلى أصحاب الأغنام لكي يفترس من أغنامهم فيسدَّ جوعه، **(الشذا)**: الشر، و**(الزّرب)**: الموضع الذي توضع فيه الأغنام، والـ**(مقرمص)**: هو الجالس في القرموص وهو حفرة يُتَّقى بها من البرد.

ذكر ابن منظور في كتابه «لسان العرب» هذا البيت برواية:

«يخشى أذاك مقرمص الزرب»

ونقل قول الأزهري: «كنت بالبادية فهبَّت ريح غريبة، فرأيت من كان لا كِنَّ لهم من خدمهم يحفرون حفرًا ويتقبضون فيها، ويلقون أهدامهم فوقهم يردون بذلك برد الشمال عنهم، ويسمون تلك الحفر القراميص».

والكنُّ: هو الموْضع الذي يأوي إليه المرء ليحفظه من الحر أو البرد.

٢٧ ـ أحَسِبْتَنا ممن تُطيف به
فاخترتنا للأمن والخِصب

٢٨ ـ وبغير معرفة ولا نسبٍ
أنّى وشعبك ليس من شعبي

ويروى الشطر الأول من البيت الثاني هكذا:

«وبغير معرفة ولا سبب»

٢٩ ـ لما رأى أن ليس نافعه
جدٌّ تهاون صادقَ الإرب

(**الإرب**): طلب الحاجة.

٣٠ ـ وألحَّ إلحاحًا بحاجته
شكوى الضرير ومزجر الكلب

(**الضرير**): المضرور من مرض أو هزال، وقد جلس حيث يزجر الكلب؛ أي: مهانًا. والضر ـ أيضًا ـ: شدة الحاجة.

٣١ ـ ولـوى الـتـكـلُّـحَ يـشـتـكـي سـغـبًـا
وأنـــا ابـــن قـــاتـــل شِـــدة الـــسَّـــغْـــب

ويروى: (بادي التكلح). و(**التكلح**): إظهار العبوس. وروى ابن منظور في «اللسان» الشطر الثاني هكذا:

«وأنا ابن بدر قاتل السغب»

وبدر هو جده الأعلى، و(السغب): هو الجوع.

وهنا انتهى إلى أنه قد رقّ لهذا الذئب وعزم على مكافأته فقال:

٣٢ ـ فـــرأيـــت أن قـــد نـــلـــتـــه بـــأذى
مـــن عـــذم مـــثـــلـــبَـــة ومـــن سَـــبِّ

٣٣ ـ ورأيـــت حـــقًـــا أن أضـــيِّـــفـــه
إذ رام ســـلـــمـــي واتـــقـــى حـــربـــي

٣٤ ـ فـــوقـــفـــت مـــعـــتـــامًـــا أزاولـــهـــا
بـــمـــهـــنَّـــد ذي رونـــق عـــضـــب

٣٥ ـ فـعـرضـتـه فـي سـاق أسـمـنـهـا
فـــاجـــتـــاز بـــيـــن الـــحـــاذ والـــكـــعـــب

٣٦ ـ فـــتـــركـــتـــهـــا لـــعـــيـــالـــه جَـــزَرًا
عـــمـــدًا، وعـــلَّـــق رَحْـــلَـــهـــا صـــحـــبـــي

والـ(**عذم**): العض، والـ(**مثلبة**): التنقص والعيب، (**أزاولها**): أعالجها. (**معتامًا**): مختارًا، يقول: وقفت لكي أعالج اختياري؛ أي: أفكر في الأمر الذي سوف أختاره، الـ(**رونق**): ماء السيف.

والـ(**عضب**): هو القاطع. (**الحاذ**): أعلى الفخذ، و(**الجزر**): القطع، و(**عمدًا**) هنا بمعنى: عجبًا. ومنه قولهم: «أعمد من سيد قتله قومه».

وبمناسبة حديث الشاعر أسماء بن خارجة الذي أكملنا قراءة قصيدته توًّا؛ قرأ علينا الأستاذ شيئًا من قصيدة الشنفرى المسماة «لامية العرب» وأختار لنا منها ما يتعلق بوصف الذئب لمقارنته بوصف خارجة بن أسماء له. ومنها:

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا   أزلّ تهاداه التنائف أطحلُ
غدًا طاويًا للريح يعرض هافيًا   يَخُوت بأذناب الشعاب ويعسِلُ
فلما لواه القوت من حيث أمَّه   دعا، فأجابته نظائر نُحَّلُ

الزهيد: القليل، الأزل: السريع، التنائف: جمع تنوفه، وهي الصحراء الواسعة، أطحل: أغبر، يعارض الريح: يسابقه، هافيًا: مسرعًا، يخوت: ينقضُّ، أذناب الشعاب: أطرافها، يعسل: يمشي مشية الذئب، يهتز في عدوه.

لواه القوت: أنهكته الحاجة إلى القوت وجعلته ضامرًا، أمَّه: قصده، وقوله: نظائر نُحَّلُ؛ يعني: أمثاله.

❑ ❑ ❑

وضمن تخريج القصيدة ذكر لنا الشيخ ما يلي:

١ ـ جاء البيتان رقم **٢١** ورقم **٢٦** في كتاب «لسان العرب»، مادة: (شذا) وروايته:

يا ضل سعيك ما صنعت بما   جمعت من شُبٍّ إلى دُبِّ
فاعمد إلى أهل الوقير فما   يخشى شذاك مقرقم الإرب

شذاك: جوعك، المقرقم: الضاوى الضعيف.

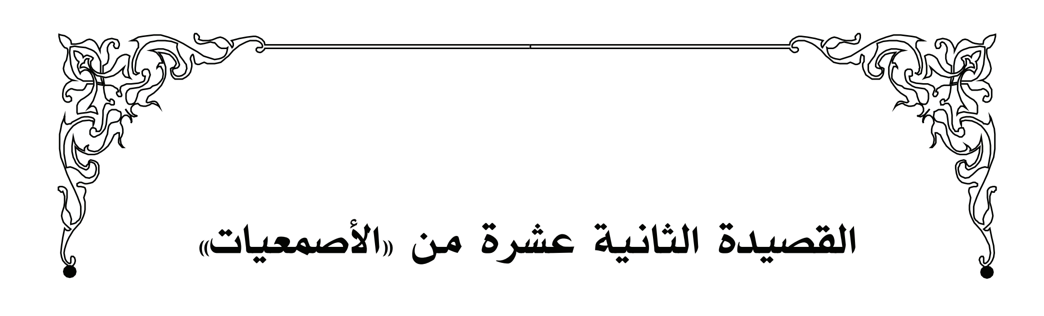
الإزب: دقيق المفاصل.

٢ ـ وجاء في أمالي الشريف المرتضى **(٢/ ٢٠٧)** بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ذكر الأبيات التي تبدأ بالبيت الثامن عشر من «الأصمعيات» وتنتهى بنهاية القصيدة.

وقال السيد في البداية: «ومن مستحسن ما قيل في الذئب قول أسماء بن خارجة بن حصن الفزارى» ثم أورد الشعر، وفي نهايته؛ قام بالشرح بمثل ما تقدم، وقد فسر قوله: «من شُبٍّ إلى دبَّ» بأنهما اسمان للشباب والهرم، لا يفردان، ولا يُلفظ بهما إلا هكذا، والمعنى: هو منذ كان شابًا حتى أن دب على العصا.

هذه هي قصيدة أسماء بن خارجة، وقد تم شرحها شرحًا كاملًا.





القصيدة الثانية عشرة من «الأصمعيات»

بدأنا قراءة هذه القصيدة على أستاذنا محمود محمد شاكر في اليوم الثالث والعشرين من شهر نوفمبر لسنة (١٩٥٧م). وهي قصيدة نسبها الأصمعي إلى رجل من قبيلة (غنيّ)، وذكر أحد رواة الأصمعي أنها لشاعر اسمه سهم بن حنضلة الغنوي. وهو فارس مذكور وشاعر مشهور. نسبه مذكور في كتاب «نسب عدنان وقحطان» للمبرد (ص٨٠)، وكتب عنه الإمام أبو القاسم الآمدي في كتابه: «المؤتلف والمختلف»، وجاء ذكره ـ أيضًا ـ في كتاب: «أنساب الأشراف»، وكتاب: «تهذيب الألفاظ»، وهو إسلامي محض عاش في زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وله قصيدة تدل على ذلك منها قوله:

خذها أبا عبد المليك بحقها   وأرفع يمينك بالعصا فتَخَصَّرِ

إن الخلافة لم تكن مجعولة   أبدًا على جافي اليدين مُجذرِ

مجذر: غليظ اليدين خشن الأصابع.

وقصيدته التي بين يدينا تبدأ بالشكوى من لوم العواذل اللاتي يلمنه على الإنفاق، ويوجه النصح إلى الراغب في الغنى بأن يكون غير عاجز عن أداء الأعمال التي توصله إلى ذلك، وعليه أن ينطلق على فرس منعوت بالقوة والمتانة حتى يصل إلى ما يريد أو يموت

دون ذلك. وهو يرى أن ذلك أشرف من القعود، وسؤال من لا يستحق ممن يدنو إليه عند اليسر وينأى عنه عند العسر، إنه يبث روح الأمل في صاحبه ويدعوه إلى التطلع إلى رحمة الله تعالى، وأن يتحلى بالحلم واللباقة والجرأة، وألا يشغله الغنى عن أهله ووصلهم. ويختم قصيدته بالفخر بحزمه مع العدو والصديق، وبقومه وكرم موقعه بينهم.

وهذه هي القصيدة:

١ ـ إن العواذل قد أتعبنني نصبًا
وخِلتُهن ضعيفات القُوى كذبًا

(خالَ) هنا بمعنى: أيقن، يقصد: وأنا أعرفهن أنهن كاذبات، ولا يقصد كذب اللسان، ولكنه يقصد كذب القلب، وأراد ـ أيضًا ـ أنهن كثيرات التَّوهم.

٢ ـ الغادياتِ على لوم الفتى سفهًا
فيما استفاد ولا يرجعن ما ذهبا

(الغاديات): منصوب على الذم مثل قوله تعالى: ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ [المسد: ٤].

٣ ـ يا أيها الراكب المُزجي مطيته
لا نعمة تبتغي عندي ولا نسبا

(الراكب المزجي): الإزجاء سوق المطية في هدوء واطمئنان، ويروى: (ولا نشبًا): بالشين.

٤ ـ اعـص الـعـواذل وارم الـلـيـل عـن عُـرُض
بـذي سـبـيـب يـقـاسـي لـيـلـه خـبـبـا

هذا البيت مروي في «الوحشيات» لأبي تمام هكذا:

«اعص العواذل وارم الناس. . . »

وذكره صاحب كتاب «أنساب الأشراف» (٤/ ١٠) برواية «الأصمعيات». ومعنى عن عرض؛ أي: يعترضها؛ أي: أنه يعتسفها على غير قصد، يقال: يضربون الناس على عرض، وصوابها عن عرض؛ أي: لا يبالون من أين ضربوا. (انظر: شرح ابن الانباري على «المفضليات»)، ومنه كُلْ الجبن عرضًا؛ أي: لا تسأل عمن صنعه من أهل الكتاب أو من المجوس، وفي «اللسان» عرض له أشد العرض، واعترضه؛ قابله بنفسه ودخل في عرضه. وفي لفظ آخر: العرضنه في الخيل: الصعوبة؛ أي: أن يركب رأسه عجرفة، وفي خبر الخوارج: «استعرض الخوارج الناس لم يبالوا من قتلوا».

وفي «المفضليات» بيت للممزق العبدي يقول فيه:

كأنني قد رماني الدهر عن عُرُض ... بـنـافـذات بـلا ريـش وأفـواق

(والأفواق: جمع فوق، وهو مجرى السهم من الوتر).

ولعلقمة الفحل:

بمثلها تُقطع الموماة عن عرض ... إذا تـبـغَّـم فـي ظـلـمـائـه الـبـوم

(تبغم: صَوَّت صوتًا يختلسه، والموماة: الفلاة).

٥ ـ نــابــى الــمــعــدَّيــن خــاظ لــحــمــه زِيَــمٌ

ســام يــجــذّ جــيــاد الــخــيــل مــنــجــذبًــا

(**نبو المعدين**): قال أبو عبيدة نبو المعدَّين في الخيل كثرة لحمها، ومعداه: اللحم الغليظ المجتمع في جنبيه خلف كتفيه، وذلك لشدتهما وإجفار ما تحتهما من الضلوع لتنفسه لموضع الربو، فإذا ضاق ذلك الموضع منه ضغط القلب فَغَمَّه، فيأخذه لذلك الغمّ.

وإجفاره: انحناء ضلوعه من أعلى أصولها.

والمعدّ على وزن فَعَلّ: موضع رجلي الراكب من الفرس، والخظاتان: ارتفاع لحم المتنين على الصلب، والزِّيم: اتساع الجوف، والسمو: إشراف العنق.

٦ ـ مــلءِ الــحــزام إذا مــا اشــتــد مــحــزمــه

ذي كـــاهـــل ولـــبَـــان يـــمـــلأ الـــلـــبـــبـــا

الـ(**كاهل**): مُقَدَّم أعلى الظهر مما يلي العنق، والـ(**لبان**): الصدر، و(**اللبب**): ما يشد في صدر الدابة حتى يمنع استئخار السرج أو الرحل.

٧ ـ يــظــل يَــخْــلــجُ طــرفَ الــعــيــن مــشــتــرفًــا

فـــوق الإكـــام إذا مـــا انـــتـــص وارتـــقـــبـــا

(**خلج بعينه**): إذا حركها، وكذا اختلاج الحاجبين: تحركهما، قال الشاعر:

يــكــلــمــنــي ويــخــلــج حــاجــبــيــه لأحــســبَ عــنــده عــلــمًــا قــديــمًــا

(**المستشرف**): المشرف، وذكور الخيل تُشرف في سيرها ويظل

أحدها سامي العنق وهو يجري، والمشترف كما يقول ابن قتيبة: عالي النظر، ويقول أبو عبيده: منتصب مشرف. **(انتص)**: برز وارتفع.

٨ ـ كالسِّمْع لم ينقب البيطار سرَّته
ولم يدجه ولم يضرب له عصبا

(السمع): ولد الذئب من الضبع، **(لم يدجه)**: لم يقطع ودجه وهو عرق في العنق، والمقصود أن هذا الفرس بريء من الأمراض.

هذا وقد وردت في «الوحشيات» من هذه القصيدة ثلاثة أبيات متوالية هي البيت الرابع وهذا البيت ثم البيت الثاني عشر. وهي مروية في الهامش في عدة مصادر منها: «خزانة الأدب» (٤/ ١٢٤)، و«الحيوان» (١/ ٨٤)، وقال محقق «الوحشيات»: عزاها المرزباني إلى كعب بن سعد الغنوي وإلى يزيد بن معاوية. وقد كتب هذه الحاشية الأستاذ محمود محمد شاكر، والكتاب من تحقيق: عبد العزيز الميمني. وذلك بعد اطلاعي على الكتاب المذكور.

وأورد ابن منظور في «لسان العرب»، مادة: (نقب) هذا البيت برواية: كالسيد لم ينقب... وفي الشطر الثاني: ولم يلمس له... والسيد: هو الذئب.

ينقب البيطار سرته بآلة تسمى المنقب حتى يخرج من هذا الموضع ماء أصفر، وجوده يؤذي، وخروجه يريح. ورواية «الحيوان»: ولم يغمز له... .

٩ ـ عـاري الـنـواهـق لا يـنـفـك مـقـتَـعـدًا

فـي الـمـطـنـبـات كـأسـراب الـقـطـا عُـصَـبـا

(**النواهق أو الناهقان**): عظمان نائتان في وجه كل ذي حافر أسفل عينيه، (**مقتعدًا**): مركوبًا، و(**المطنبات**): الخيل التي يجري بعضها بعد بعض، وقد شبهها بأسراب القطا تجمعًا وسرعة.

١٠ ـ تـرى الـعـنـاجـيـج تُـمـري بـعـدمـا لـغـبـت

بـالـقِـدِّ مـريًـا، ومـا يُـمـرى ومـا لـغـبـا

ويروى: «يُرى» بالياء.

(**العناجيج**): أصلها الجياد الطوال الأعناق، وهي تكون بذلك أكثر روعة. و(**المري**): هو أن يستخرج كل ما في طاقتها من الجري، و(**لغبت**): تعبت وأصابها الإعياء، و(**القد**): هو السوط، يقول: إذا كانت الجياد تُمرى بالسوط حتى تُستخرج سرعتها، فإن هذا الجواد لا يحتاج إلى ذلك، فهو يقبل على الجري بنفسه دون أن يُمرى، ثم إنه لا يتعب، وذلك لأنه من أصول كريمة.

١١ ـ يُـدنـي الـفـتـى لـلـغـنـى فـي الـراغـبـيـن إذا

لـيـلُ الـتّـمـام أهـمَّ الـمـقـتـر الـعـزَبـا

(**الراغبين**): الطالبين الطامعين. (**ليل التمام**): أطول ليالي الشتاء، و(**المقتر**): الفقير، و(**العزب**): غير المتزوج.

١٢ ـ حـتـى يُـصـادف مـالًا أو يُـقـال فـتـىً

لاقـى الـتـي تَـشْـعَـبُ الـفـتـيـان فـانـشـعـبـا

روي هذا البيت في كتاب «أنساب الأشراف» (٤/ ١٠)، وفي

«الوحشيات» (ص**٣٢**): «حتى تصادف». وفي «لسان العرب»، مادة: (شعب) «حتى تصادف»، ورواية «المؤتلف والمختلف» (ص**١٣٦**):

حــتـى تـمـوِّل مـالًا أو يُـقـال فـتـىً   لاقى التي تشعب الأقوام فانشعبا

وروي ـ أيضًا ـ «حتى يُثمِّرَ مالًا» وكذلك: «حتى يصادف مالًا» وهذه الأخيرة أجودها.

تشعبهم: تهلكهم، ويقصد بالتي تشعب الأقوام: المنيَّة.

١٣ ـ إن انـتـيـابـك مـولـى الـسـوء تـسـألـه
مـثـلُ الـقُـعـود ولـمـا تـتـخـذ نـشـبـا

(**انتيابك**): قصدك إياه مرارًا، (**مولى السوء**): من يمت إليك بصلة ولكنه لا فائدة منه فهو موصوف بالسوء، و(**النشب**): المال الأصيل.

وروى الجوهري بيتًا فيه وصف لما ورد في البيت الثالث عشر، هو:

مــن إن رآك غــنـيًـا لان جـانـبـه   وإن رآك فـقـيـرًا نـاء فـاغـتـربـا

وهو مشابه ـ تمامًا ـ للبيت الرابع عشر:

١٤ ـ إذا افـتـقـرت نـأى واشـتـد جـانـبـه
وإن رآك غـنـيًـا لان واقـتـربـا

وأحل شيخنا البيت الذي رواه الجوهري محل البيت الخامس عشر في المخطوطة، وجعل الخامس عشر فيها هو:

١٥ ـ وإن أتـاك لـمـال أو لـتَـنْـصُـره
أثـنـى عـلـيـك الـذي تـهـوى وإن كـذبـا

١٦ ـ وهو البيت الخامس عشر في المطبوعة:

وذو الـقـرابـة عـنـد الـنَّـيـل يـطـلـبـه

وهـو الـبـعـيـد إذا مـا جـئـت مـطـلـبـا

ويروى:

«مُدلي القرابة عند النَّيل...»

يقول: إن هذا الذي يمت إليك بقرابة يقرب منك إذا رغب في شيء منك وعطاء تعطيه إيّاه، ولكنه يبتعد عنك إذا طلبت أنت إليه شيئًا.

ثم غيّر في ترتيب أبيات القصيدة، وأمرنا بوضع أرقام متسلسلة أمامها تدل على الترتيب الذي يرتضيه، ولكن هذا الترقيم يخص الأرقام التالية: (**١٧، ٢٥، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤**) وسوف ندرج الأرقام التي وردت لها أبيات، ونترك الأخرى فارغة:

١٧ ـ وهو غير مذكور في المطبوعة:

حـلـو الـلـسـان بـعـيـد الـقـلـب مـشـتـمِـلٌ

عـلـى الـعـداوة لابـن الـعـمّ مـا اصـطـحـبـا

١٨ ـ البيت السابع عشر في المطبوعة:

لا، بـل سَـلِ الـلَّـهَ مـا ضـنّـوا عـلـيـك بـه

ولا يَـمُـنُّ عـلـيـك الـمـرء مـا وهـبـا

وبه روايتان: أولاهما:

«ولا يمنُّ عليك الله ما وهبا»

والثانية:

«ولا يَمُنَّ عليك المرء ما وهبا»

١٩ ـ وهو البيت الثامن عشر في المطبوعة:

ألا تــرى أنــمــا الــدنــيــا مــعــلــلــةٌ

أصــحــابــهــا ثــم تــســرى عــنــهــم ســلــبًــا

(السلب): كل شيء على الإنسان من اللباس.

(التعليل): الإشغال بالقليل. **(تسرى عنهم)**: تأخذ منهم.

٢٠ ـ وهو البيت التاسع عشر في المطبوعة:

بــيــنــا الــفــتــى فــي نــعــيــم يــطــمــئــن بــه

رد الــبــيــئــسَ عــلــيــه الــدهــرُ فــانــقــلــبــا

البيت في حماسة البحترى برواية: البؤوس.

٢١ ـ وهو البيت العشرون في المطبوعة:

أو فــي بــئــيــس يــقــاســيــه وفــي نــصــب

أمــســى وقــد زايــل الــبــأســاء والــنَّــصــبــا

وهذا البيت ـ أيضًا ـ في حماسة البحترى برواية: «أو في بؤوس».

٢٢ ـ وهو البيت السادس عشر في المطبوعة:

لا يــحْــمــلــنَّــك إقــتــار عــلــى زُهُــدٍ

ولا تــزل فــي عــطــاء الله مــرتــغــبًــا

(الزهد): كنّى به عن البخل، والزهد: الزكاة؛ لأن زكاة المال

تقي الشرور. ويقال: رجل زاهد؛ أي: لئيم، لا يُطمع في ماله، وفي المسند في حديث: «قالت: يا رسول الله إنى ليأتيني السائل فأتزهَّد له بعض ما عندي، فقال: «**ضعي في يد المسكين ولو ظلفًا مخرَّقًا**»». وقال عدي بن زيد:

ولا البخلة الأولى لمن كان باخلًا اعف، ومن يبخل يُلمْ ويُزهَّد

٢٣ ـ وهو البيت الرابع والعشرون في المطبوعة:

اللَّه يخلف ما أنفقت محتسبًا
إذا شكرت، ويؤتيك الذى كَتَبَا

يروى: (الله مخلف). في «خزانة الأدب».

٢٤ ـ وهو البيت الثالث والعشرون في المطبوعة:

لاتك ضَبًّا إذا استغنى أضَرَّ ولم
يحفلْ قرابة ذي قُربى ولا نسبا

ينعت الضب بالعقوق، ولذا فهو يأكل حسوله وهي أولاده لشدة عقوقه.

٢٥ ـ وهذا البيت غير وارد في المطبوعة:

قد يعلم الناس أني من خيارهم
في الدين دينًا، وفي أحسابهم حَسَبا

٢٦ ـ وهو البيت الثلاثون في المطبوعة:

لا يمنع الناس منّي ما أردت ولا
أعطيهُمُ ما أرادوا، حُسنَ ذا أدبا

٢٧ ـ وهو البيت الحادي والعشرون في المطبوعة:

ومـــن يُـــسَـــوِّي قـــصـــيـــرًا بـــاعُـــهُ حَـــصِـــرًا

ضَـــيْـــق الـــخـــلـــيـــقـــة عـــثَّـــارًا إذا ركـــبـــا

(**قصير الباع**): قليل الحيلة، والباع قياس معروف هو مسافة ما بين الكفَّين إذا بَسَطتها، والـ(**حَصر**): هو قليل الحيلة الذي لا يقدر على التصرف الملائم، والحصر العيي في نطقه، والبخيل الممسك، وَ(**ضَيْق الخليقة**): ضيَّق الصدر. أما عثارًا فمعناها كثير التعثر عند ركوبه.

٢٨ ـ وهو البيت الثاني والعشرين في المطبوعة:

بـــذي مـــخـــارج وضـــاح، إذا نـــدبـــوا

فـي الـنـاس يـومًـا إلـى الـمـخـشـيـة انـتـدبـا

يعني: من يُسوّي قصيرًا باعه... يعني: رجل يحسن التصرف والخروج من كل مأزق، والـ(**وضاح**): الحسن الوجه المبتسم، (**المخشية**): الحالة العظيمة التي يُخشى منها، (**انتدبا**): لبى النداء حين يدعى؛ أي: حين يندب.

هذا والأبيات الأربعة التالية غير واردة في المطبوعة:

٢٩ ـ يـــا لـــلـــرجـــال لأقـــوامٍ أجـــاورهـــم

مـــســـتـــقـــبـــســـيـــنٍ ولـــمـــا يـــقـــبـــســـوا لـــهـــبـــا

٣٠ ـ يـصـلـون نـاري وأحـمـيـهـا لـغـيـرهـم

ولـــو أشـــاء لـــقـــد كـــانـــوا لـــهـــا حَـــطـــبـــا

٣١ ـ مـــن الـــرجـــال رجـــال لا أعـــاتـــبـــهـــم

ولا تُــــفَــــزَّع مــــنــــهــــم هــــامــــتــــي رُعُــــبــــا

٣٢ ـ مـــن لا يـــزل غـــرضًـــا تُـــرمـــى مـــقـــاتـــلـــهُ

لا يــــتــــقــــي وهــــو مــــنــــي واقــــف كــــتــــبــــا

وقد علَّق الشيخ على لفظة: (**مستقبس**)، فقال إنها غير واردة في المعاجم ولكنها صحيحة.

٣٣ ـ وهو البيت الخامس والعشرون في المطبوعة:

مـــثـــلـــي يَـــرُدُّ عـــلـــى الـــعـــادي عـــداوتـــه

ويُــــعــــتــــب الــــمــــرءَ ذا الــــقــــربــــى إذا عــــتــــبــــا

(**العادي**): هو العدو، و(**العُتب**): السخط، و(**أعتبه**): أزال سخطه.

٣٤ ـ وهو غير وارد في المطبوعة:

ولا أســـــب امـــــرءًا إلا رفـــــعـــــتُ لـــــه

عــــارًا تُــــسَــــبُّ لــــه الأقــــوام أو لــــقــــبــــا

٣٥ ـ وهو البيت السادس والعشرون في المطبوعة:

تَـــــحْـــــمـــــى عـــــلـــــيَّ أنـــــوف أن أذل ولا

يــــحــــمــــي مُــــنــــاوئُــــهــــا أنــــفًــــا ولا ذنــــبــــا

ورواية ابن السكيت لهذا البيت هي:

تُـحـمـي غـنـي أنـوفًـا لا تـذل ولا　　يـحـمـى مـنـاوِئُـهـا أنـفًـا ولا ذنـبـا

و(**المناوأة**): المناهضة بالعداوة وفي الحديث الشريف: «**لا**

تزال طائفة من أمّتى ظاهرين على من ناوأهم» وفي «اللسان»، مادة: (نوأ):

إذا أنت ناوأت الرجال فلم تَنُؤْ بقرنين غرتك القرون الكوامل
ولا يستوي قرن النطاح الذي به تنوء، وقرن كلما نؤت مائل

٣٦ ـ مما هو مكتوب عندي ما يدل على بيت لم يذكر في «الأصمعيات» ولم أتمكن حتى هذه اللحظة من معرفته، ولكن شرحه ورد كما يلي:

(**الزمزمة**): الجماعة التي تخرج لحماية رجل وهم يحدثون أصواتًا وهم من بعيد، ومنها: زمزمة الرعد وهي تتابع صوته، وزمزمة العلوج وهي الصوت الذي يتردد في الحلق ولا يفصح.

والأبناء هم أبناء غني بن أعصر، وباهلة أمهم، وقد نسبوا إليها، وهم أبناء معن بن مالك، وبعض هؤلاء الذين احتضنتهم من غيرها ولكنهم أخوة لأبنائها من أبيهم.

ثم عثرت على هذا البيت في كتاب «سمط اللآلى في شرح أمالي القالي» للبكري (٢/ ٧٤٠)، ونصه:

وحال دوني من الأبناء زمزمة كانوا الأنوفَ وكانوا الأكرمين أبا

٣٧ ـ وهو البيت السابع والعشرون في المطبوعة:

أنا ابن أعصر أسمو للعلى، وترى
فيمن أقاذفُ عن أعراضهم نَكَبا

(**أقاذف**): أدافع، والـ(**نكب**): الضلع، مرض في الإبل.

(**وأعصر**) هو أبو قبيلة غني التي ينتمي إليها الشاعر.

٣٨ ـ وهو البيت الثامن والعشرون من المطبوعة:

إذا قـتـيـبـة مـدَّتـنـي حـوالـبُـهـا

بـالـدُّهـم تـسـمـع فـي حـافـاتـهـا لـجـبـا

(**الحوالب**): مدد الموج، وأصله من حوالب البئر؛ أي: منابعها، و(**الدّهم**): الخيل السود، و(**اللجب**): الجلبة، و(**قتيبة**) هم: قتيبة بن معن بن أعصر.

٣٩ ـ وهو البيت التاسع والعشرون في المطبوعة:

مـدَّ الـخـلـيـج تـرى فـي مـدّه تـأقـا

وفـي الـغـوارب مـن آذِيِّـهِ حَـدَبـا

(**الخليج**): شق في النهر الأعظم، و(**التأق**): شدة الامتلاء، و(**الغوارب**): أعلى الأمواج، و(**الآذي**): الموج، (**الحدب**): ارتفاع الموج.

يقول: إذا أمدتني كان ذلك مثل مدِّ الخليج.

٤٠ ـ وهو البيت الحادي والثلاثين من المطبوعة:

لا تُـخـفـض الـحـرب لـلـدُّنـيـا إذا اسـتـعـرت

ولا تـبـوخ إذا كـنـا لـهـا شُـهُـبـا

٤١ ـ وهو البيت الثاني والثلاثون من المطبوعة:

حـتـى نـشـدَّ الأسـارى بـعـدمـا فَـزعـوا

مـن بـيـن مُـتَّـكِـئٍ قـد فـاظ أو كـربـا

(**الأسارى**): الأسرى جمع أسير، (**فاظ**): مات، (**كرب**):

كاد؛ أي: قرب من الموت. هم بين ميت وآخر يكاد يموت.

٤٢ ـ وهو البيت الثالث والثلاثون من المطبوعة:

سـائـل بـنـا حَـيَّ عِـلـبـاء فـقـد شـربـوا
مـنّـا بـكـأسٍ فـلـم يـسـتـمـرئـوا الـشُّـربـا

(علباء): قبيلة قد تكون بني علباء بن عوف

٤٣ ـ وهو البيت الرابع والثلاثون من المطبوعة:

إنـا نَـحُـسُّـهُـمُ بـالـمـشـرفـي وَهُـمْ
كـالـهـيـم تُـغْـشَـى بـأيـدي الـذّادة الـخُـشُـبَـا

صححها الشيخ هكذا:

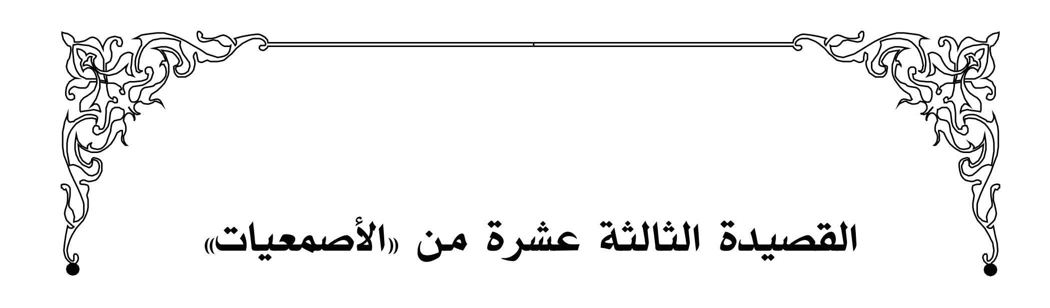
«كالهيم تخشى بأيدي الذادة الخشبا»

و**(الهيم)**: الإبل العطاش التي تأتي إلى الشرب. **(نحسُّهم)**: نقتلهم قتلًا ذريعًا، **(المشرفي)**: السيف، **(الذادة)**: الذين يذودون الإبل.

❑ ❑ ❑

وبعد؛ فهذه هي قصيدة الشاعر سهم بن حنظلة الغنوي كما شرحها شيخنا الأستاذ محمود محمد شاكر، ويلاحظ قارؤها أن بعض الأبيات بعد اعتماد الترتيب الذي اختاره الشيخ غير واردة في النسخة المطبوعة من «الأصمعيات»، وقد زودنا الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بالناقص من الأبيات، وقد أشرنا إلى ذلك، وعلى كل حال فإنَّ القصيدة جميلة ومعبِّرة، والشرح قد أوضح الكثير من معانيها.





القصيدة الثالثة عشرة من «الأصمعيات»

وهي قصيدة قالها مقَّاس العائذي، ووجهها إلى امرئ القيس العبسي، وكانت قد وقعت بين شيبان وكلب غارات يذكرها الشاعر في قصيدته.

ولم يشرح لنا الشيخ ما قاله مقاس العائذي لورود هذه القصيدة في كتاب «المفضل الضَّبيِّ» المسمى: «المفضليات»(1) فقد وجد أن

---

(1) «المفضليات»، قصائد جمعها المفضل الضبى، وحققها: الشيخ أحمد محمد شاكر، والأستاذ عبد السلام محمد هارون، نشرتها دار المعارف بمصر سنة (١٩٥٢م). وللشاعر في هذا الكتاب قصيدتان؛ الثانية منهما في (ص٣٠٦) وهي هذه القصيدة، ورقمها (٨٥).

جو القصيدة: يتوعد امرأ القيس بن بحر بن زهير بن جناب الكلبي، مفتخرًا بقومه أنهم أهل بادية يصبرون على البؤس والجفاء، لا كأهل القرى، الذين يغلبهم الحنين الي أوطانهم، فينقض ذلك من عزمهم. ثم ذكر فرار امرئ القيس وسبقه الحيل، وأنه لولا ذلك لأدركه الأسر أو الطعن.

ثم عرج على قوم أمرئ القيس، فجعلهم فداء لمن أعاد لهم حالهم الأولى من السلامة ولذاذة العيش يتهكم بهم، وفي البيت ٨ يسفه عقولهم التي دفعت بهم الى مناجزة قومه والعدوان عليهم.

تخريجها: البيت ٣ في «الخزانة» (٣/ ٨١). والقصيدة مكررة في الأصمعية ١٣ عدا البيت ٧، وانظر: «الشرح» (٦٠٩ ـ ٦١١).

مكانها هناك ومن الجدير بالذكر أن محققي «الأصمعيات» قد أوردا القصيدة ولم يكتبا شيئًا عنها، بل أحالا القارئ على «المفضليات» وهي الأخرى من تحقيقهما. ومطلع القصيدة:

أولى فأولى يا امرأ القيس بعدما
خصفن بآثار المطي الحوافرا

(**أولى فأولى**): لفظ تهديد ووعيد، (**خصفن**): لحقن، يقصد أن الإبل لحقت الخيل؛ كعادة العرب في الركوب للحرب.

هذا ويدل تجاوز الشيخ لهذه القصيدة على أنه كان ينوي أن يشرحها لنا عندما يشرح «المفضليات» بعد انتهائه من شرح «الأصمعيات» ولكن الأمور سارت بخلاف ذلك.

أمَّا قصيدة الشاعر كما وردت في كتاب «المفضليات» فتجدها بعد الحديث عن هذه القصيدة هنا.

القصيدة في كتاب «المفضليات»

وقال مَقَّاسُ أيضًا:

١ ـ فأولى[(١)] يا أمرأ القيس بعدما
خصفن بآثار المطي الحوافرا

---

(١) أولى فأولى: صيغة توعد، أمرؤ القيس: هو ابن بحر بن زهير بن جناب الكلبي.
خصفن: يعني: الإبل، يقال: خصفت الإبل الخيل؛ أي: تبعتها. العرب يوكبون الإبل ويقودون الخيل إذا أرادوا الغارة، فإذا صاروا إلى موضوع القتال ركبوا الخيل.

٢ ـ فـإن تَـك قـد نُـجـيـت مـن غـمـراتـهـا
فـلا تـأتـيـنـا بَـعْـدهـا الـدهـر سـادرا[١]

٣ ـ تـذكـرتِ الـخـيـل الـشـعـيـر عـشـيـة
وكـنـا أنـاسًـا يـعـلـفـون الأيـاصـرا[٢]

٤ ـ فـوالـلَّـه لـو أن امـرأ الـقـيـس لـم يـكـن
بـفـلـج[٣] عـلـى أن يَـسْـبـقَ الـخـيـل قـادرا

٥ ـ لـقـاظ[٤] أسـيـرًا أو لـعـاج طـعـنـة
تـري خـلـفـه مـنـهـا رشـاشًـا وقـاطـرا

٦ ـ فـدى لأنـاس ذكـروهـم مـعـيـشـة
تـرى لـلـثـريـد الـورد[٥] فـيـهـا نـواخـرا

٧ ـ فـإن بـنـى عـجـل هـم صَـبَّـحُـوكُـمُ[٦]
صـبـوحًـا، يـنـسـى ذا الـلـذاذة، سـاعـرا

---

(١) السادر: الراكب رأسة بجهل وحمق.

(٢) الأياصر: جمع أيصر، وهو كساء يجمع فيه الحشيش، ثم اطلق على الحشيش. ويقول: نحن أهل تصبر على البؤس والجفاء، وأنتم أهل القرى تحنون إليها، ويجعل الخيل مثلًا، فجعل خيلهم تحن إلى علفها إذا تذكرته.

(٣) فلج: موضع.

(٤) قاظ: أقام زمن القيظ.

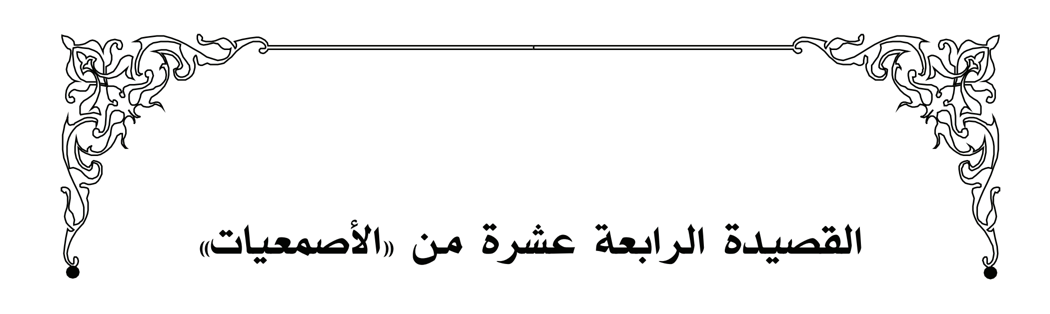
(٥) الورد: ما لونه بين الكمتة والشقرة. نواخر: ينخرون فيه من كثرته، يأكلون فيدخل في أنوفهم من كثرة أكلهم. يتهكم بهم ويسخر، إذ جعلهم فداء لمن أعاد لهم حالتهم الأولى من السلامة ولذاذة العيش...

(٦) صبحوكم: سقوكم الصبوح، وهو ما حلب من اللبن في الصبح. ساعرًا: حارًا، نعت للصبوح والساعر لم يذكر في «المعاجم».

٨ ـ أجِـئـتـمْ إلـيـنـا فـي بـقـيـة مـالـنـا
تُـزَجُّـون(١) مـن جَـهْـلٍ إلـيـنـا الـمـنـاكـرا



(١) تزجون: من التزجية، وهي الدفع برفق. المناكر: جمع منكر.



القصيدة الرابعة عشرة من «الأصمعيات»

بدأنا دراسة هذه القصيدة على يدي الشيخ في مساء اليوم السادس والعشرين من شهر نوفمبر لسنة (١٩٥٧م) وهي للشاعر المنخّل بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكري وقد تلقاها الأصمعي عن عالم اللغة الشهير أبي عمرو بن العلاء.

والمنخل شاعر جاهلي قديم. وكان نديمًا للنعمان بن المنذر، والنعمان دميم قبيح المنظر، أما المنخل فكان من أجمل العرب. وقد أخذت النعمان الغيرة من نديمه حتى أدى تزايدها في نفسه إلى قتل المنخل.

شِعْرُ هذا الشاعر جميل، ولطيف، وألفاظه ليست بعيدة عن الفهم حتى يومنا هذا، وقصيدته هذه من أجمل قصائد الغزل وأدلَّها على روح الشاعر وهو يتحدث إلى عاذلته قائلًا لها: اذهبي عني ولا تعودي، ولا تسألي عمّا أملك من مال، ولكن اسألي عن حسبي وعن كرمي، ثم يتحدث لها عن بذله في زمان الحرب، ويصف لها فرسان قومه، والكواعب اللاتي يلهو معهن، إلى غير ذلك.

والقصيدة موجودة في كثير من الكتب، ولكنها غير مكتملة في واحد منها، ففي بعضها نجد أبياتًا تصل في عددها إلى ما فوق العشرين بيتًا، وفي بعضها الآخر لا نجد إلا أبياتًا متفرقة قليلة.

لقد دلَّت دراستنا لهذه القصيدة على سعة اطلاع الشيخ على الشعر العربي ومعرفته بدقائقه، وهذا أمر غير مستغرب منه. ولذلك فقد بلغت أعداد أبيات قصيدة المنخل هذه عنده اثنين وثلاثين بيتًا، مطلعها:

١ ـ إن كـــنـــت عـــاذلـــتـــي فـــســـيـــري
نـــحـــو الـــعـــراق ولا تـــحـــوري

٢ ـ لا تـــســـألـــي عـــن جُـــلِّ مـــا
لـــي، وانـــظـــري حـــســـبـــي وَخِـــيـــري

وروي عجز البيت الثاني: «واذكري حسبي وخيري» أو «كرمي وخيري» وفضل الأستاذ رواية الأصل.

٣ ـ وإذا الـــريـــاح تـــكـــمـــشـــت
بـــجـــوانـــب الـــبـــيـــت الـــكـــبـــيـــر

(تكمشت): تسارعت، ويروى: «تناوحت»، كما في «الحماسة البصرية»، وحماسة أبي تمام.

٤ ـ ألـــفـــيـــتـــنـــي هـــش الـــنـــدى
بـــشـــريـــج قـــدحـــي أو شـــجـــيـــري

(الشريج): قدح مكون من شريحتين، والـ**(شجير)**: قدح آخر ينتظر له الفوز عند الضرب بالقداح على عادة العرب.

وقد أورد أبو تمام في حماسته هذا البيت بهذه الرواية:

ألـــفـــيـــتـــنـــي هـــشَّ الـــيـــد ... يـــن بـــمـــري قِـــدْحـــي أو شـــجـــيـــري

هش اليدين: خفيف اليدين بالبذل، والشجير: القدح.

وهذا البيت مُكمِّل للبيت السابق (رقم ٣) الذي روي ـ أيضًا ـ «بجوانب البيت الكسير»، وهو يقصد أن اشتداد الرياح في أوقات المحل تؤدي إلى كسر البيت وتحطيمه، وهنالك يبدو استعدادي لمساعدة المحتاجين المتضررين من هذه الأجواء السَّيئة.

بعد البيت الرابع، يُدخل الأستاذ ستة أبيات مرقمة من (٥) إلى (١٠) تكون ضمن القصيدة وهي غير واردة في «الأصمعيات» وهي:

٥ ـ ونـــــهـــــى أبـــــو أفـــــعـــــى
فَـــقَـــلَّـــدنـــي أبـــو أفـــعـــى جـــريـــري

٦ ـ وجـــــلالـــــة خـــــطـــــارة
هـــوجـــاء جـــائـــلـــة الـــظـــفـــور

٧ ـ تـــعـــدو بـــأشـــعـــث قـــد وهـــى
ســـربـــالـــه بـــاقـــي الـــمـــســـيـــر

٨ ـ فـــضـــلًا عـــلـــى ظـــهـــر الـــطـــريـــق
إلـــيـــك عـــلـــقـــمـــة بـــن صـــيـــر

٩ ـ الـــواهـــب الـــكـــوم الـــصـــفـــا
يـــا، والأوانـــس فـــي الـــخـــدور

١٠ ـ يـــصـــفـــيـــك حـــيـــن تـــجـــيـــئـــه
بـــالـــفـــض والـــحَـــلْـــي الـــكـــثـــيـــر

أ ـ (**الجرير**): الحبل الذي تقُاد به الناقة، وقلَّده جريره جعل الحبل على غاربه.

ب ـ (**الجلالة**): الناقة العظيمة الجليلة، مثل رجل طويل وطُوال.

والـ(**خطارة**): التي تخطر بذنبها عند سيرها. و(**الظفور**): جمع ظفر، وهو حبل يشد به الرحل على البعير أو الناقة. والـ(**جائلة**): هي التي تُدني جلولها من كثرة السير. والجلول: جمع جُلّ، وهو كساء يوضع على الإبل.

وفي الإبل يقول القطامي:

يتبعن سامية العينين تحسبها مجنونة، أو ترى ما لا ترى الإبل

ج ـ (**السربال**): كل ما يُلبس، والعرب تتمدح بتقطع الثياب؛ لأنه دليل على بذل الجهد.

د ـ (**فضلًا**): مصدر بمعنى الفضل، يريد أن يقول: إنها تعدو عَدْوًا زائدًا. وقرأ الشيخ الشطر الأول من هذا البيت: «فصلًا على ظهر الطريق» بالصاد، وفصلًا بمعنى: فصلت العير؛ أي: تركت مكانها للرحلة، وقال: إن العرب يرون أن ظهر الطريق معناه طريق البحر، وبطن الطريق هو طريق البر.

هـ ـ (**الكوم**): جمع كوماء، وهي العظيمة السنام، والصفايا هنا جمع صفي، وهي غزيرة اللبن، وكذلك في النخلة الغزيرة الثمر لأنها تُصطفى. (**الآنسة**): هي التي تحدثك فتؤنسك.

و ـ (**الفض**): جمع القطع، وهو الكسر أيضًا، وكل ما فُضَّ وكسر فهو: فض، وأراد به قطع الفضة التي لم تُصنَّع، ويرى الأستاذ أنها الفضة نفسها.

١١ ـ وهو البيت الخامس في المطبوعة:

وفـــــوارس كـــــأوار حــــر الـــــنـــــا

ر أحـــــــلاس الـــــــذكـــــــــور

(الأوار): اللهب، و**(الأحلاس)**: جمع حلس، وهو ما يلي ظهر الدابة تحت سرجها. وفي «لسان العرب»: «فلان من أحلاس الخيل؛ أي: هو في الفروسية ولزوم ظهر الخيل كالحلس الملازم لظهر الفرس».

١٢ ـ وهو البيت السادس في المطبوعة:

شــــــدُّوا دوابـــــر بــــيـــــضـــــهــــم

فـــي كـــل مـــحـــكـــمـــة الـــقـــتـــيـــر

(البيض): القلانس المصنوعة من الحديد، و**(دوابرها)**: مآخيرها، و**(القتير)**: مسامير الدروع. تشد القلانس بالدروع حتى لا تسقط وقت المعركة.

١٣ ـ وهو البيت السابع في المطبوعة:

واســــتـــلأمـــوا وتـــلـــبـــبـــوا

إن الـــتـــلـــبـــب لـــلـــمـــغـــيـــر

(استلأموا): لبسوا اللأمة، وهي لباس الفارس، و**(التلبب)**: هو التحزم بالسلاح للغارة.

١٤ ـ وهو البيت الثامن في المطبوعة:

وعـــلـــى الـــجـــيـــاد الـــمـــضـــمـــرا

ت فـــوارسٌ مِـــثـــلُ الـــصـــقـــور

١٥ ـ وهو البيت التاسع في المطبوعة:

يـــخـــرجـــن مـــن خـــلـــل الـــغـــبـــا
ر يـــجـــفـــن بـــالـــنَّـــعَـــم الـــكـــثـــيـــر

(**يجفن**): يسرعن، (**النعم**): الإبل والشاء.

١٦ ـ وهو البيت العاشر في المطبوعة:

أقـــررتُ عـــيـــنـــي مـــن أول
ئـــك، والـــفـــوائـــح بـــالـــعـــبـــيـــر

يريد أن يقول: (**أقررت عيني**): بالأسيرات اللاتي يفوح ريح عطرهن. و(**العبير**): طيب ينتج من الزعفران.

١٧ ـ وهو البيت الحادي عشر في المطبوعة:

يـــرفُـــلـــن، فـــي الـــمـــســـك الـــذكـــيْ
يِ وصـــائـــكٍ كَـــدَم الـــنَّـــحـــيـــر

هنا يصف الأسيرات اللاتي كن يجررن ذيول ثيابهن، (**الصائك**): اللاصق، ذو اللون الأحمر الذي يشبه دم المنحور (**كدم النحير**).

١٨ ـ وهو البيت الثاني عشر في المطبوعة:

يَـــعْـــكُـــفْـــنَ مـــثـــل أســـاود ال
تَّـــنُّـــوم لـــم تُـــعْـــكـــفْ لـــزورِ

(**يعكفن**[1]): يُمشّطنَ شعرهن، ويجعلنه ضفائر. الـ(**أساود**): الحيات، وهذا النوع هو أخبثها وضربته مميتة.

---

(١) يعكفن من ألفاظ اللهجة الكويتية، وتنطق الكاف مكشكشة.

(**والتنوم**): شجر أغبر، تلتف عليه الأساود. و(**الزور**): الباطل، ويقصد بذلك أنهن لا يُزَيِّنَّ أنفسهن لريبة.

١٩ ـ وهو البيت الثالث عشر من المطبوعة:

ولــــقـــد دخـــلـــت عـــلـــى الـــفـــتـــا
ة الـــخـــدر فـــي الـــيـــوم الـــمـــطـــيـــر

٢٠ ـ وهو البيت الرابع عشر من المطبوعة:

الـــكـــاعـــب الـــحـــســـنـــاء تـــر
فـــلُ فـــي الـــدمـــقـــس وفـــي الـــحـــريـــر

(**الكاعب**): الناهد، حسنة الخلقة، تتبختر في ملابس الحرير الملونة، و(**الدمقس**) منها: وهو الحرير الأبيض.

٢١ ـ وهو البيت الخامس عشر من المطبوعة:

فـــدفـــعـــتـــهـــا فـــتـــدافـــعـــت
مـــشـــي الـــقـــطـــاة إلـــى الـــغـــديـــر

وأضاف ابن قتيبة في كتابه «الشعر والشعراء» هذا البيت هنا:

وعـطـفـتـهـا فـتـعـطَّـفـت كـتـعـطُّـفِ الـغـصـن الـنـضـيـر

٢٢ ـ البيت السادس عشر من المطبوعة:

ولـــثـــمـــتـــهـــا فـــتـــنـــفـــســـت
كـــتـــنـــفُّـــس الـــظـــبـــي الـــبـــهـــيـــر

ويروى: «الظبي الغرير».

٢٣ ـ هو البيت السابع عشر في المطبوعة:

فـــدنـــت وقـــالـــت يـــا مُـــنـــخَّـــل

مـــا بـــجـــســـمـــك مـــن حَـــرور

ويروى: (ورنت وقالت).

(والرنو): إدامة النظر من الإنسان إلى من يحب، ويقول الشيخ إن باقي البيت: (من غرور) وهو جمع غَرْ، والغرور: الشقوق في جلد الإنسان والكسور. أما الـ(**حَرور**) فهو تلويح الحر.

٢٤ ـ وهو البيت الثامن عشر في المطبوعة:

مـــا شـــفَّ جـــســـمـــي غـــيـــر حـــبُّ

ـكِ فـــاهـــنـــئـــي عـــنّـــي وســـيـــري

يقال: سر عنك؛ أي: تغافل واحتمل، وفيه إضمار لمعنى آخر فكأنه يقول: سر ودع عنك المراء والشك.

وروى صاحب «الأغاني» الشطر الأول من هذا البيت هكذا: «ما مسَّ جسمي غير جسمك».

٢٥ ـ وهو البيت التاسع عشر في المطبوعة:

وأحُـــبـــهـــا وتـــحـــبـــنـــي

ويـــحـــب نـــاقـــتـــهـــا بـــعـــيـــري

٢٦ ـ وهو البيت الثالث والعشرون في المطبوعة:

ولـــقـــد شـــربـــت مـــن الـــمـــدا

مـــة بـــالـــقـــلـــيـــل وبـــالـــكـــثـــيـــر

٢٧ ـ زيادة أملاها الشيخ:

ولـــــقـــــد شـــــربـــــت الـــــخـــــمـــــر
بـــــالـــــخـــــيـــــل الإنـــــاث وبـــــالـــــذكـــــور

رواها ابن قتيبة: «بالخيل الإناث وبالطَّهمة الذكور»

٢٨ ـ ولـــــقـــــد شـــــربـــــت الـــــخـــــمـــــر بـــــال
ـعـــــبـــــد الـــــصـــــحـــــيـــــح وبـــــالأســـــيـــــر

٢٩ ـ وهو البيت الحادي والعشرون في المطبوعة:

فـــــإذا انـــــتـــــشـــــيـــــت فـــــإنـــــنـــــي
رب الـــــخـــــورنـــــق والـــــســـــديـــــر

٣٠ ـ وهو البيت الثاني والعشرون في المطبوعة:

وإذا صـــــحـــــوت فـــــإنـــــنـــــي
رب الـــــشـــــويـــــهـــــة والـــــبـــــعـــــيـــــر

(**والخورنق**): موضع قرب الكوفة فيه قصر للنعمان. و(**السدير**): قصر أو نهر في منطقة الحيرة.

٣١ ـ وهو البيت العشرون في المطبوعة:

يـــــا رب يـــــوم لـــــلـــــمـــــنـــــخَّ
ـلِ قـــــد لـــــهـــــا فـــــيـــــه قـــــصـــــيـــــر

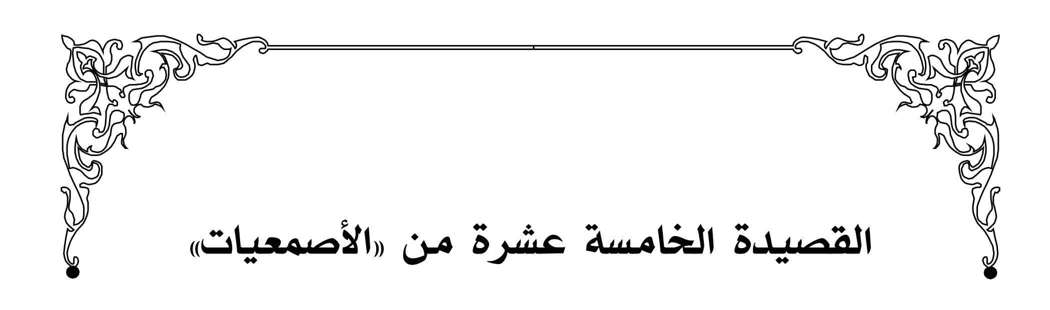
يراه قصيرًا؛ لأنه لا يحس ذهاب اليوم.

٣٢ ـ وهو البيت الرابع والعشرون في المطبوعة:

يـــا هـــنـــد مـــن لـــمـــتـــيَّـــم
يـــا هـــنـــد لـــلـــعـــانـــي الأســـيـــر

(**العاني**): الأسير الذليل، ويروى: (يا هند هل من نائل) «الأغاني».





القصيدة الخامسة عشرة من «الأصمعيات»

قال هذه القصيدة الشاعر مالك بن حريم الهمداني، وقد اختارها الأصمعي لما فيها من مظاهر الفن الشعري الجميل ولما فيها من دلالة على الأجواء التي كان الشاعر يعيش فيها.

وهي قصيدة طويلة إذا قارنَّاها بالقصائد المختارة في «الأصمعيات» ولذا فإن الأستاذ محمود محمد شاكر قد أمضى وقتًا طويلًا في الحديث عنها وفي عرضها، وكان ذلك منذ اليوم الثلاثين من شهر نوفمبر لسنة (١٩٥٧م).

يقول الشاعر في مطلع قصيدته:

جَزِعت ولم أجزع من الشيب مَجْزَعا
وقد فات رِبعيُّ الشباب فودَّعا

يقول الأستاذ:

ورد ذكر هذا الشاعر في كتاب «الإكليل» (ص٧٦) على أنه مالك بن حَرِيم الهَمْداني، وورد كذلك في كتاب «الاقتضاب في شرح أدب الكتاب» (ص٤٣٥)، وفي «سمط اللآلي» (ص٧٤٨)، باسم خُريم بالخاء والتصغير، وقال نفطويه: خزيم بالخاء والزاي مع التصغير. وهو مالك ابن حريم بن مالك بن حريم بن ذالان بالذال، وفي اللباب: دالان بالدال وهو الصواب، ومن أدلته وجوده في

«الإكليل»، ونص عليه في كتاب «لسان العرب» بقوله: «دالان من هَمْدان، بغير همز»، وقال ابن دريد: دألان بالهمز، وفي «الإكليل» (١٠/ ٨٧ ـ ٨٨) أورد الهمْداني ستة أبيات من قصيدته وقال: «مالك بن حريم بن مالك بن حريم، شاعر همدان وفارسها وصاحب مغازيها، وهو مُفَزِّع الخيل، وأحد وصَّافي العرب للخيل، وَيُعد من فحول الشعراء، وله أخبار جَمَّةَ، ومناقب برزة. وكان يفي بعسى أن يكون، كما يفي بنعم، وهو القائل...» ثم ذكر الأبيات الستة.

ولمالك بن حريم شعر في «حماسة أبي تمام» (٢/ ٢٦ ـ ٢٧)، و«معجم الشعراء» للمرزباني (ص٣٥٧ وص ٣٥٨) الذي روى قوله:

تدارك فضلي الألمعي ولم يكن ... بذي نعمة عندى ولا بخليل

فقلت له قولًا فألفيت عنده ... وكنت حَرِيًّا أن أصَدِّق قيلي

بذلك أوصاني حريم بن مالك ... بأن قليل الذم غير قليل

وفي البيت الأخير تأكيد لاسم أبيه.

وله بيت في «أمالي الشريف المرتضى» (٢/ ٢٧٣)، هو:

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ... مراغمة ما دام للسيف قائم

وأورد له البحتري في «الحماسة» بيتًا واحدًا هو قوله:

وأدبر عمرو والفرار فضيحة ... وولَّى كما ولَّى الظليم من الذعر

وله في كتاب «الإكليل» (١٠/ ٨٨) و(ص١٩٠). كما اختار له أبو تمام في كتابه «الوحشيات» بعض قصيدته العينية، وأبيات أخرى هي:

سائل بني ثور فهل لاقاكُمُ يوم العروبة جحفل خَطَّابُ
متشنعون لأن يشنوا غارة بيض الصوارم فيهُمُ والغاب
وأغَرُّ منخرقُ القميص سميدعٌ يدعو ليغزوَ ظالمًا فيجاب
متعمِّمٌ بالشر مؤتزر به ضرم الشذاة قضاقض قصاب
قد مد أرسال الجياد من الوجا فكأنما أرسانها أطناب

متشنعون: متهيؤون.

وصحح الشيخ في «الوحشيات» كلمة خطاب؛ فجعلها حصَّاب؛ أي: يثير الحصا في طريقه.

الصوارم: السيوف.

سميدع: شجاع، تام الخَلق.

ضرام: مشتعل، مشبوب.

الشذاة: الحِدَّة والشدة.

قضاقض: وكانت بفائين، وصححها بقافين، والأسد القضاقض: هو الذي يحطم فريسته.

ونقل أبو تمام في «الوحشيات» عنه قوله:

وربعيّ نحرت على ثلاث لحمْدِ ثلاثة من بعد حين
فراحوا حامدين ورحن بُحَّا فلم أحفل لهرهرة الحنين

والخلاصة أن مالك بن حريم الهمداني كان شاعرًا فحلًا فارسًا عاش في أيام الجاهلية، وذكرته مراجع كثيرة؛ منها من أصاب اسمه، ومنها من أخطأه، ومنها من نسب إليه صلة قرابة مع آخرين، ومنها من رد ذلك، هذا ويتردد للشاعر بيت مشهور هو:

متى تجمع القلب الذكي وصارمًا   وأنفًا حميًّا تجتنبك المظالم

(انظر: «جمهرة أنساب العرب»، لابن حزم تحقيق: الأستاذ عبد السلام هارون (ص٣٩٥)).

هناك تقديم وتأخير كبيران في أبيات هذه القصيدة؛ لأن للأستاذ ملاحظات كثيرة على ترتيبها كما وردت في كتاب «الأصمعيات»، ولقد قارنتها بنصها الوارد في كتاب «الاختيارين» الذي صنعه الأخفش الأصغر فما وجدت كبير خلاف عما ورد في «الأصمعيات» عدا ما ورد في البيت رقم (٣٤) عنده ونَصُّه:

تقول:

أمن أعضادها حين مشيها   أم العضُّ من تحت الدوابر أوجعًا

إضافة إلى ذلك فإن ما ورد من القصيدة في «الاختيارين» هو (٣٨) بيتًا فقط، وينقصها البيت رقم (٣٠) من «الأصمعيات» وهو:

طلعن هضابًا ثم عالين قُنَّة   وجاوزن خيفًا ثم أسهلن بلقعا

وجاء البيت الذي يقول:

«مقربة أدْنيتُها وافتليتها»

قبل البيت الذي يقول:

«فأصبحن لم يتركن وترًا علمتُهُ»

وفي «الأصمعيات»: (تشكَّين من) أم القضُّ من تحت الدوابر أوجعا.

ومعنى خان مشيها: ضعف فلم يكن كما تحب لنفسها.

والقض: صغار الحجارة، يتساءل: هل ضعف مشيها بسبب خيانة أعضادها، أم بسبب الحجارة المتناثرة في الطريق.

وتبدأ القصيدة هكذا:

١ ـ جزعت ولم تَجْزَع من الشيب مجزعًا
وقد فات ربعيّ الشباب فودَّعا

٢ ـ ولاح بياضٌ في سواد كأنه
صُوَار بجوٍّ كان جدبًا فأمرعا

وردت في البيت الأول كلمة (**ربعيّ الشباب**): وهي نسبة إلى الربيع، وليس ذلك قياسًا، ويوصف به الفصيل والطفل.

وفي البيت الثاني: الـ(**صوار**): وهو البقر الذي تصفه العرب في أشعارها بالبياض. و(**الجوُّ**) هو: الساحة الواسعة، التي ترعى بها الإبل، وهو (القاع) أيضًا، (**أمرعًا**): صار خصبًا.

ثم يأتي البيتان:

٣ ـ وأقبل إخوان الصَّفاء فأوضعوا
إلى كل أحوى في المقامة أفرعا

٤ ـ تَذكَّر سلمى والركابُ كأنها
قطًا واردٌ بين اللفاظ ولعلعا

في البيت الثالث:

(**أوضعوا**): أسرعوا، (**أحوى**): أسود، (**المقامة**): المجلس. (**أفرعا**): طويل الشعر.

و(**اللفاظ**) في البيت الرابع: اسم موضع به ماء، أما (**لعلع**): فاسم مكان آخر.

وبعد أن قال إنه تذكر سلمى في البيت السابق انتقل إلى حديث حدثته به نفسه عن زيارة خيالها إليه مساء حين أزف وقت النوم (لنهجعا).

وفي البيت السادس وجه حديثه إلى هذا الخيال قائلًا: بيتي لدينا، وانزلي عندنا وقت (**التعريس**) وهو آخر الليل. ثم اتجه إلى وصفها (البيت السابع) فقال إنها (**منعمة**)، لم تلق في حياتها ما يكدرها، ولم تذق طعم البؤس والشقاء، فيبدو عليها ما يدل على ذلك.

٦ ـ فقلت لها بيتي لدينا وَعَرِّسي
وما طرقتْ بعد الرقاد لتنفعا

٧ ـ مُنعَّمة لم تلق في العيش تَرْحَة
ولم تلق بؤسًا عند ذاك فتُجدعا

بعد ذلك يتغير ترتيب القصيدة بحيث يختلف عن النسخة المطوعة هكذا.

٨ ـ وهو البيت التاسع في المطبوعة:

كأن جَنَى الكافور والمسك خالصًا
وبَرْدَ النَّدى والأقحوان المنزّعا

(**الجنى**): كل ما يُجنى، و(**الأقحوان**): نبات له نور أبيض، (**المنزعا**): المنزوع، وإذا نُزع النَّوْرُ ظهرت رائحته.

٩ ـ وهو البيت العاشر في المطبوعة:

وَقَلْتًا قَرَت فيه السَّحابة ماءها
بأنيابها والفارسي المشعشعا

(القلت): حفرة في الجبل تمسك الماء، وقرت: جمعت، **(الفارسي)**: الخمر، **(المشعشعا)**: المخلوط بالماء.

١٠ ـ وهو البيت الثامن في المطبوعة:

أهيم بها لم أقض منها لبانة
وكنت بها في سالف الدهر مُوزَعا

يقول إني أحبها بل وأهيم بها، ولكنني لم أقض منها **(لبانة)**: أي حاجة من حاجات النفس، على الرغم من أنني **(موزع)** بها؛ أي: مغرىً بها يغريني كل شيء فيها.

١١ ـ وهو البيت الرابع عشر في المطبوعة:

فإن يك شاب الرأس مني فإنني
أبَيْتُ على نفسي مناقب أربعا

ثم يذكر المناقب التي أبى على نفسه إلا أن يتصف بها، رغبة منه في التميُّز على غيره.

١٢ ـ وهو البيت الخامس عشر في المطبوعة:

فواحدة ألا أبيت بِغرَّةٍ
إذا ما سوام الحي حولي تضوعا

(وتضوع) معناها: تفرق. وهو يقصد هنا أنه لا يغفل عن حماية قومه حين يذعرهم أمر.

١٣ ـ البيت السادس عشر من المطبوعة:

وثانية ألا أُصَمِّتَ كلبنا

إذا نزل الأضياف حرصًا لنُودعا

إنه لا يمنع كلبه من النباح في وجوه الأضياف الذين يأتون إليه عندما يسمعون النباح، وحتى يجد الضيف عنده ما يشاء ولا يتركه **(لنودعا)**.

١٤ ـ وهو البيت السابع عشر من المطبوعة:

وثالثة ألا تُقَذع جارتي

إذا كان جار القوم فيهم مُقَذعا

يقول: لا أسمح لأحد أن يوجه قولًا **(مقذعًا)**؛ أي: سيئًا وفاحشًا لجارتي، على خلاف غيري ممن لا يمنع جاره من أن يُوَجَّه إليه فحش أو سوء قول.

١٥ ـ وهو البيت الثامن عشر من المطبوعة:

ورابعة ألا أُحَجِّلَ قدرنا

على لحمها حين الشتاء لنشبعا

(أحجل): أستر، يقول: أن طعامي مكشوف لمن يريد.

١٦ ـ وهو البيت الثاني عشر من المطبوعة:

وأكرم نفسي عن أمور كثيرة

حفاظًا، وأنهى شُحَّها أن تَطلّعا

وأنهى نفسي عن أن تتطلع إلى الشح والبخل، واحرص على أن تتمثل بالخصال الأربع التي ذكرتها.

(**والحفاظ**): هو الذبُّ عن المحارم والمحافظة على العهد، والحفيظة مثلها، و(**الشح**) هنا: هو الطمع.

١٧ ـ وهو البيت الحادي عشر في المطبوعة:

وإنــي لأســتــحــيــي مــن الــمــشــي أبــتــغــي
إلــى غــيــر ذي الــمـجــد الــمـؤثــل مــطــمــعــا

هو يكرم نفسه كما قال في البيت السابق، ولذا فهو يستحيي أن يتوجه بطلب ما إلى شخص لا يتمتع بمجد أصيل يستحق أن يسأله عمّا يريد.

١٨ ـ وهو البيت التاسع عشر من المخطوطة:

وإنــي لَأُعْــدي الــخــيــل تُــقــدَعُ بــالــقــنــا
حــفــاظًــا عــلــى الــمــولــى الــحــريــد لــيُــمــنَــعَــا

(**أعدي الخيل**): أجعلها تجري، و(**تقدع**)؛ أي: تضرب، و(**الحفاظ**): هو حماية الأهل والجار، والحرص على الوفاء بالعهود، و(**الحريد**): المعتزل المنفرد الذي لا حماية له. فأنا أحفظ الذي لا سند له ولا منعة كما أحفظ نفسي.

١٩ ـ البيت الثالث عشر في المطبوعة:

وآخــذ لــلــمــولــى، إذا ضــيــم، حــقــه
مــن الأعْــيــط الآبــي إذا مــا تــمــنَّــعــا

(**إذا ضيم**): إذا لحقه الضيم باغتصاب حقه، (**الأعيط**): هو

الطويل العنق، (**الآبي**): الذي يأبى إعطاء الحقوق.

٢٠ ـ البيت الثامن والثلاثون في المطبوعة:

ولا يـسـأل الـضـيـفُ الـغـريـبُ إذا شـتـا

بـمـا زخـرَتْ قـدري لـه حـيـن ودَّعـا

(**شتا**): أظله وقت الشتاء حين يعم القحط في البوادي، (**بما**): عن ما، (**زخرت**): جاشت أثناء الطبخ.

٢١ ـ وهو البيت التاسع والثلاثون من المطبوعة:

فـإن يـك غـثًّـا أو سـمـيـنًـا فـإنـنـي

سـأجـعـل عـيـنـيـه لـنـفـسـه مـقْـنـعًـا

يقول: إنه إذا ذبحتُ الجزور (الناقة أو الجمل) بين يديه، اتخذتُ له الطعام بحضرته، لا أغَيِّبُ عنه غثًا كان أو سمينًا، لئلا يظن أني قد استأثرت عليه بأطايب الجزور، وهذا الشرح من ديوان المعاني لابن قتيبة.

٢٢ ـ وهو البيت الأربعون من المطبوعة:

إذا حـل قـومـي كـنـت أوسـط دارهـم

ولا أبـتـغـي عـنـد الـثـنـيّـة مـطـلـعًـا

يريد أن يقول: إنه لا يطلب العلو على قومه، أو أن يكون مشرفًا فوقهم.

٢٣ ـ وهو البيت السادس والثلاثون من المطبوعة:

ومـنـا رئـيـس يُـسـتـضـاء بـنـوره

سـنـاء وحـلـمـا فـيـه، فـاجـتـمـعـا مـعًـا

٢٤ ـ وهو البيت السابع والثلاثون من المطبوعة:

وســـــارع أقـــوام لـــمـــجـــدٍ فـــقـــصَّـــروا
وقـــاربـــهـــا زيـــد بـــن قـــيـــس فـــأســـرعـــا

(**زيد بن قيس**): من ملوك اليمن القدماء.

٢٥ ـ وهو البيت العشرون من المطبوعة:

ونـحـن جـلـبـنـا الـخـيـل مـن سَـرْوِ حِـمْـيَـرٍ
إلـــى أن وطـــئـــنـــا أرض خـــيـــثـــم أجـــمـــعـــا

قرأناها على الأستاذ: (فنحن جلبنا)، (**سرو حمير**): جبال اليمن، و(**السرو**) هو ما انحدر من الوادي، وارتفع من غلظ الجبل، وبلاد حمير مدن جبلية، وفي «الحماسة»:

«إلى أن هبطنا أرض نجران أربعا»

بعد هذا تتسلسل أبيات القصيدة، وفقًا لأرقامها الواردة في الأصل وهي ماضية في ترتيبها ابتداء من البيت الثالث والعشرين في المطبوعة مع مراعاة إسقاط الأبيات التي وردت قبل ذلك بموجب ترتيب القصيدة الذي ارتضاه الأستاذ. وهذا القسم الباقي يبدأ من البيت رقم (**٢١**) من المطبوعة وينتهي عند البيت رقم (**٤٠**) مع استثناء الأبيات التي مرت وفق ترتيب الأستاذ وهي: (**٣١، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠**)، وهذا عرض لبعض معاني الأبيات الباقية.

❑ ❑ ❑

ـ البيت رقم (٢١) من المطبوعة:

٢٦ ـ فـمـن يـأتـنـا أو يـعـتـرضْ بـسـبـيـلـنـا
يــجــد أثــرًا دعــسًــا وسَــخْــلًا مُــوَضَّــعــا

في «التهذيب»:

«فمن يأتنا يومًا يقص طريقنا»

(**والسخل**): جمع سخلة، وهي أولاد العنز، وتستعار للإبل.

ـ البيت رقم (٢٢) من المطبوعة:

٢٧ ـ ويـلـق سـقـيـطًـا مـن نـعـال كـثـيـرة
إذا خَــدم الأرســاغ يــومًــا تــقــطــعــا

(**السقيط**): هو ما سقط، ويقصد هنا: نعال الإبل، وخدم (**الأرساغ**): جمع خدمة، وهي سير غليظ محكم كالحلقة يُشَدُّ في رسغ البعير ثم يشد إلى نعالها.

ـ البيت رقم (٢٣) في المطبوعة:

٢٨ ـ إذا مــا بــعــيــر قــام عُــلّــق رحْــلُــهُ
وإن هــو أنــقــى الــحــمــوه مُــقَــطــعــا

(**إذا ما بعير قام**): إذا عجز عن المسير فعد ميتًا، رفع عنه رحله، وإذا سمن أطعموا الناس لحمه.

انظر: «أساس البلاغة» للزمخشري وفي «اللسان» مادة: (قطع): إذا انقطع به، بأن وقفت راحلته أو عطبت، وفي «الوحشيات» «عَلَّقوه، وأنقت الناقة»: سمنت أول السمن في الإقبال، وآخر الشحم في الهزال.

ـ البيت رقم (٢٤) في المطبوعة:

٢٩ ـ نـريـد بـنـي الـخـيْـفـان، إن دمـاءهُـم
شـفـاءٌ، ومـا والـى زبَـيـدٌ وَجَـمَّـعـا

(**بنو الخيفان**): قبيلة، (**دماؤهم شفاء**): لأنهم أشراف. وروي: «نريد بني الخيوان» وزُبيد بضم الزاي والتصغير: قبيلة. و(**زبيد**): بفتحها اسم بلد باليمن، وكانوا يقولون إن دماء الأشراف دواء للمريض المصاب بداء الكلب. قال الشاعر عوف بن الأحوص:

أو الـعـنـقـاءِ ثـعـلـبـة بـن عـمـرو   دمـاء الـقـوم لـلـكـلْـبـي شـفـاءُ

ـ البيت رقم (٢٥) في المطبوعة:

٣٠ ـ يـقـود بـأرسـان الـجـيـاد سـراتُـنـا
لِـيَـنْـقِـمـنَ وِتْـرًا أو لـيـدفـعـن مَـدْفَـعًـا

(**السراة**): الأشراف، (**لينقمن**): من النقمة، وهي المكافأة بالعقوبة، و(**الأرسان**): جمع رسن وهو معروف، و(**الوِتْر**): الثأر، (**مدفعًا**): دفعًا.

ـ البيت رقم (٢٦) في المطبوعة:

٣١ ـ تـرى الـمُـهْـرةَ الـروعـاء تَـنـفُـضُ رأسـهـا
كـلالًا وأيْـنـا، والـكـمـيـتَ الـمـقـزّعـا

الفرس (**الروعاء**): هي التي كأن بها فزع لكثرة تحفزها وخفتها، و(**الكلال والأين**): التعب والإعياء، و(**الكميت**) من الخيل ما كان لونه بين السواد والحمرة، و(**المقزّع**): الرقيق الناصية خِلْقة، وهو الأجرد.

ـ البيت رقم (٢٧) من المطبوعة:

٣٢ ـ ونـخـلـعُ نـعـل الـعـبـد مـن سـوء قَـوْده
لـكـيـمـا يـكـون الـعـبـد لـلـسَّـهـل أضْـرَعَـا

إذا كان العبد سيئًا في قيادة الخيل أو الإبل، نزعوا نعله لكي يسلك بها السهولة، وحتى يدنو من المناطق السهلة، (**أضرعا**): أميل.

ـ البيت رقم (٢٨) من المطبوعة:

٣٣ ـ وقـد وعـدوه عُـقْـبَـة فـمَـشَـى لـهـا
فـمـا نـالـهـا حـتـى رآى الـصـبـحَ أدْرَعَـا

لقد وعدوه بالركوب عندما ينهي المدة المقررة له بالسير، ولكنهم تركوه يسير حتى (**أدرع**): بدا الصباح.

ـ البيت رقم (٢٩) من المطبوعة:

٣٤ ـ وَأوْسـعـنَ عَـقْـبـيـه دمـاء فـأصـبـحـت
أصـابـع رِجـلـيـه رواعِـفَ دُمَّـعَـا

ولكثرة ما مشى حافيًا أدمت الخيل رجليه فسالت دماؤه على عقبيه وتصببت من أصابعه حتى صارت كأنها دامعة. وجاء في وصفه: أن القصيم أكل عقبيه، والقصيم منبت الغضا والأرطا والسلم، والمعنى أن الأرض التي كان يسير فيها ذات شوك ومنابت للغضى.

ـ البيت رقم (٣٠) من المطبوعة:

٣٥ ـ طـلـعـن هـضـابًـا ثـم عـالـيـن قُـنَّـة
وجَـاوَزنَ خـيـفًـا ثـم أسـهـلـن بـلـقـعـا

علون الهضاب، ثم ارتفعن إلى أعلى الجبل ثم نزلن إلى السهل (**البلقع**): وهو القفر الخالي. والـ(**خيف**): هو ما ارتفع عن مجرى السيل.

ـ البيت رقم (٣١) من المطبوعة:

٣٦ ـ وتـهـدي بـيَ الـخـيـلَ الـمـغـيـرة نَـهْـدَةٌ
إذا ضـبـرت صـابـت قـوائـمـهـا مـعًـا

(**تَهْدي بي الخيل**): تتقدمها وتسير أمامها وكأنها تهديها الطريق، والـ(**نهدة**): الفرس المرتفعة القوية الخلق، (**ضبرت**): وثبت. (**صابت**): وقعت.

ـ البيت رقم (٣٢) من المطبوعة:

٣٧ ـ إذا وقـعـت إحـدى يـديـهـا بـثـبـرة
تـجـاوب أثـنـاءُ الـثـلاث بـدعْـدَعـا

(**الثبرة**): الحفرة في الطريق، يقول: إذا حدث لإحدى يديها ذلك تداعت باقي القوائم لإسعافها، كما يقال للعاثر عادة دع دع.

ـ البيت رقم (٣٣) من المطبوعة:

٣٨ ـ فـأصـبـحـن لـم يـتـركـن وتـرًا عَـلِـمـنَـه
لـهَـمْـدانَ فـي سـعـد وأصـبـحـنَ طُـلَّـعـا

(**لم يتركن**) ثأرًا لهن، وبذلن طاقتهن حتى ضلعن؛ أي: أصابهنَّ مثل العرج. وَرُوي البيت بالطاء المهملة فكأنها: (تطلع إلى المرتفعات).

ـ البيت رقم (٣٤) من المطبوعة:

٣٩ ـ مُقَرَّبَة أدْنيتُها وافتليتُها
لتشهدَ غُنمًا أو لتدفع مَدْفعًا

(**مقربة**): مكرمة عند الشاعر، (**افتليتها**): اخترتها، لمعرفتي بكرمها. وأعددتها لهذه المهمات التي ذكرتها.

ـ البيت رقم (٣٥) من المطبوعة:

٤٠ ـ تشكَّين من أعضادها حين مشيها
أم القضُّ من تحت الدوابر أوْجَعَا

هذا البيت فيه تساؤل، هل (**تشكت**) هذه الخيل لما أصاب أعضاءها من التعب، أم إنها تألمت بسبب حصى الطريق الذي آذى أرساغها؟ وقد مر بنا شرح البيت.

وباقي القصيدة سبق شرحه، فلا داعي لإعادة ذلك.

❑ ❑ ❑

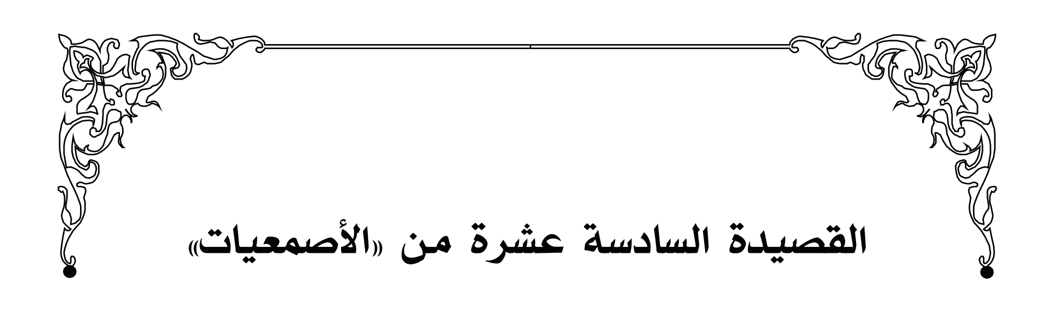
يستطيع القارئ أن يراعي الترتيب الذي ارتضاه الأستاذ محمود محمد شاكر، وفق ما تبيَّن له فيما تقدم، وما دامت الأبيات التي حوتها القصيدة مرتبة ومرقمة بحسب ذلك الترتيب فإن من السهولة بمكان إعادة كتابة القصيدة مرة أخرى.

إن حرص الأستاذ على إعادة ترتيب القصيدة وفقًا لقراءاته، والمصادر التي استقى منها الأبيات المتناثرة، ووفقًا لتذوقه للشعر العربي يدل على أنه مهتم بهذه الناحية ليرد على الذين يقولون إن القصيدة العربية القديمة لا تربطها وحدة عضوية فهي مفككة، وهو

يرى أنها كذلك لضياع بعض أبياتها من جهة وللتقديم والتأخير الذي تسبب به سوء حفظ بعض رواتها، ولكننا إذا عدنا إلى الأصل بحسب ما يتراءى لنا بعد الدراسة فإننا سوف نعود بها إلى وضعها الذي كانت عليه فنراها متماسكة يأخذ بعضها ببعض.

وهناك أمر آخر أود أن أشير إليه هنا، وهو أن الأستاذ لم يتحدث عن أمر دار حول هذه القصيدة لا لأنه لم يخطر له على بال، بل ربما لأنه وجد الأمر أيسر من أن يُبذل فيه الوقت. وذلك واضح عندما أعاد ترتيب القسم الأول من القصيدة وأبقى أكثر الجزء الثاني على حاله. وكان محققا «الأصمعيات» قد ذكرا عند شرحهما للبيتين: العشرين والحادي والعشرين أنهما لم يَردا في الطبعة الأوربية، وأن مصححها قد ذكر في تعليقاته أنهما زائدان في إحدى النسخ، وزاد على ذلك أن فصل باقي القصيدة بعدهما عما سبقهما واعتبر القصيدة الواحدة قصيدتين. ولعل الأخفش الأصغر كان قريبًا من ذلك حين اكتفى من القصيدة بالأبيات الثمانية والثلاثين، فكأنه يقول: هذا هو كل القصيدة. (انظر: كتاب «الاختيارين» للأخفش الأصغر بتحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة).





القصيدة السادسة عشرة من «الأصمعيات»

أثبت الأصمعي هنا قصيدة الأجدع بن مالك الهمْداني، وهو شاعر. وفارس وَسَيِّد، نسبه مذكور في الكتب بما يدل على أصله الكريم، عاش في الجاهلية، وأدرك الاسلام، ثم وفد على سيدنا عمر بن الخطاب الذي سأله عن اسمه؛ فقال: اسمي الأجدع، فقال عمر: إنما الأجدع شيطان، أنت عبد الرحمٰن. وولده التابعي الكريم مسروق بن عبد الرحمٰن.

ومسروق من الذين صارت لهم مكانة بين الناس بسبب ما كان يتمتع به من علم وتقوى، توفي سنة (٦٣ هجرية)، وقال عنه الحافظ الذهبي في كتابه: «العبر في خبر من غبر» «وفيها ـ أي: في تلك السنة ـ توفي مسروق بن الأجدع الهمداني الفقيه العابد، صاحب ابن مسعود» ونقل عن عامر الشعبي قوله: «ما رأيت أطلب للعلم منه».

وللأجدع بن مالك أخبار في الجزء العاشر من كتاب «الإكليل» (ص٦ و٧٦ و٧٨ و٨٢) ونسبه وقصة وفوده على الخليفة عمر بن الخطاب واردة في كتاب «سمط اللآلي» (ص١٠٩)، و«العقد الفريد» (٢/ ١٣٠). وقال بعض الرواة: إن عمر لقي مسروقًا ولم يلق والده، والأجدع هو زوج كبشة بنت معد يكرب الزبيدي أخت عمرو بن معد يكرب المشهور ولها يقول:

ألا أبلغ فتاة بني زبير كبيشة والحديث له نماء
مغلغلة[1] وَجَهْرُ القول مما يوكَّل في الخطوب به البلاء

وكانت كبشة شاعرة أيضًا ولها شعر في «الحماسة».

واستطرد الأستاذ في حديثه وهو يروي جوانب من حياة الأجدع بن مالك فقال:

وفي الجاهلية كانت بين همدان ومراد حرب فيما يسمى (يوم الرزم)، وكان الأجدع بن مالك قائد همدان، أما قائد مراد فكان فروة بن مسيك المرادي، وكان يُكنى أبا عمير، وأصابت همدان من مراد في تلك الحروب، وأثخنوهم. وقد ورد فروة على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله فيما بلغنا: «**ما أصاب قومك يوم الرزم**»، فقال: يا رسول الله ومن ذا يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الرزم لا يسوؤه ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيرًا**» «تاريخ الطبري» **(٣/ ١٦٠)**، و«سيرة ابن هشام في أخبار الوفود» ويقول فروة:

فإن نَغلبْ فغلابون قدْمَا وإن نُهزم فغير مهزَّمينا
وما إن طبُّنا جبن ولكن منايانا، ودولة آخرينا
كذاك الدهر دولته سجال تكرّ صروفه حينًا وحينا
فبينا هو نُسر به وَيُرضى ولو لبست غضارته سنينا
إذ انقلبت به كرّات دهر فألفيت الألى غُبطوا طحينا

(١) مغلغلة: المغلغلة هي الرسالة المحمولة من مكان إلى آخر.

ومـن يـغـبـط بـريـب الـدهـر منهم يجد ريب الزمان له خؤونا
فـلـو خـلـد الـمـلـوك إذن خـلـدنـا ولـو بـقـيَ الـكـرام إذن بـقـيـنـا
فـأفـنـى ذلـكـم سـروات قـومـي كـمـا أفـنـى الـقـرون الأولـيـنـا

(عن «الكامل» لابن الأثير (٢/ ٢٠٢)، طِبُّنا: عادتنا، سجال: تارة للمرء وتارة عليه، غضارته: طراوته ونعمته، سروات قومي: أشرافهم).

وتكتمل هذه الأبيات ببيتين مشهورين هما:

إذا مـا الـدهـر جرَّ عـلـى أنـاس كـلاكـلـه أنـاخ بـآخـريـنـا
فـقـل لـلـشـامـتـيـن بـنـا أفـيـقـوا سيـلـقـى الـشـامـتـون كـمـا لـقـيـنـا

(شبه الدهر بالجمل حين يهبط إلى الأرض ويضع صدره عليها).

وللأجدع بن مالك شعر جيد روى له أبو تمام في كتاب «الوحشيات» قوله:

وهـمٍّ قـد نـشـلـت الـنـفـس عـنـه إذا مـا أُفْـحِـم الـجَـدِلُ الـخـلـيـقُ
وأشـرفـت الـجـحـافـلُ فـاسـتـقـلـت فـويـق لـثـاتـهـا والـقـوم روق
وقـال دلـيـلـهـم لـمـا أتـاهـم: بـأعـلـى الـخـبـت داهـيـةٌ عـقـوق
وعـيَّ الـقـائـلـون فـلـم يـقـولـوا وقـد بَـحَّـت مـن الـصَّـخَـب الـحـلـوق

الخليق: التام الخلق. والقوم روق: هادئون.

واختار له أيضًا:

رددت الـحـي حـيّ بـنـي نـمـيـر ولـم أُعْـنُـف بـهـم ردًّا يـسـيـرا
وقـد قـالـت نـويـرة لـيـس حَـيٌّ عـلـى الـجُـلَّـى يـكـون لـنـا خـفـيـرا

رأت رَجْراجَة حَجَفًا وبَيْضًا ... ونقعًا بالحُبَابة مستديرا
فلا وأبيكِ ما طلعوا لشرٍّ ... وهم يُزجون في غرقى بعيرا
رأيت الذمّ أغبر جانباه ... وكان الحمد أبلج مستنيرا

واختار أبو تمام أيضًا:

ألا أبلغ النعمان عني رسالةً ... ألم ينه شيب الرأس أن يُنْطقَ الهُجْرُ
وشعث نحا أعناقها لبلادكم ... سراع إلى الهيجا غطارفة زُهرُ
إذا قيل يومًا: يا صباحًا، رأيتها ... كعقبان يوم الدجن ألثقها القطر
وكيف افتخار القوم قبل لقائهم ... ألا إن ما بعد اللقاء هو الفخر

وروى له البحتري في حماسته:

لحا اللَّه قومًا يُقسرون وعندهم ... جياد ولم يُعصب بأيديهمُ قِدُّ

((ص**٢١**)، يُقسرون: يُقهرون، عندهم جيادهم، وهم أحرار لم يطو على أيديهم القدّ وهو الجلد مثل السوط).

واختار له المبرد في «الكامل» (١/ ٦٨) قوله:

لقد علمت نسوان هَمْدان أنني ... لهن غداة الروع غير خَذولِ
وأبذل في الهيجاء وجهي وأنني ... له في سوى الهيجاء غير بَذول

وروى ابن منظور في «اللسان» مادة: (أبى):

فإن أثقف عميرًا لا أقِلْهُ ... وإن أثقف أباه لا أبا له

وكانت بين عمرو بن معد يكرب وفروة بن مسيك ملاحاة فقال عمرو:

وجدنا ملك فروة شَرَّ ملك ... حمارًا ساف منخره بقذر
وكنتَ إذا رأيتَ أبا عمير ... ترى الحولاء من خبث وغدر

ورد عليه فروة:

أتـــانـــي عـــن أبـــى ثـــور كـــلام وَقِـدْمًـا كـان في الأبـغـال يـجـري
وكـان الـلَّـه يـبـغـضـه قـديـمًـا عـلـى مـا كـان مـن خُـبـث وغـدر

وبعد هذه المقدمات جاء دور قصيدة الأجدع بن مالك وهي تبدأ بقوله:

أسَـــألـــتِـــنِـــي بـــركـــائـــبٍ ورِحـــالـــهـــا
ونَـــســـيـــتِ قـــتـــل فـــوارس الأربـــاع

وقد قيلت هذه القصيدة في يوم الرزم، وذكر فيها أبو عمير وهو فروة بن مسيك المرادي، ذكر ابن الكلبي في تعليق له على هامش «معجم ما استعجم» أن الأجدع غزا بني الحارث، وكانت امرأته منهم، فأصاب فيهم، وقتل من بني حصين أربعة نفر، فقالت له امرأته: أين الإبل والغنيمة؟، فرد عليها بهذه القصيدة. انظر: «معجم ما استعجم» (ص٦٤٩).

هذا وترتيب القصيدة وفق ما ارتضاه الأستاذ كما يلي:

١ ـ أســالـــتـــنـــي بـــركـــائـــبٍ وَرِحـــالـــهـــا
ونـــســـيـــت قـــتـــل فـــوارس الأربـــاع

(الأرباع): موضع قتلت فيه همدان أولئك الفوارس، وهم أبناء الحصين بن يزيد بن شداد.

٢ ـ وبـنـو الـحـصـيـن أمـا أتـاك نـعـيُّـهُـمْ
أهـــل الـــلـــواء وســـادة الـــمـــربـــاع

ويروى: وبنو الحصين ألم يرعك نعيُّهم.

٣ ـ حضروا المواسم فانتزعنا مجدهم
منّا بأمر حَسَادةٍ ورباع

(حسادة): مصدر: حسد

(ورباع) مصدر رابَعَه، يقال: ربعت الحبل إذا حملت أنت طرفه، وحمل صاحبك الطرف الآخر ثم رفعتماه على البعير، ويقال: رجل مستربع وهو المطيق للشيء، يقول الأخطل:

لعمري لقد ناطت هوازن أمرها بمستربعين الحرب شم المناخر

ورواية بيت الأجدع هذا عند الأخفش الأصغر في «الاختيارين»:

شهدوا المواسم فانتزعنا مجدهم منا، بأمر صريمة وزماع

وسيأتي بيان معنى صريمة وزماع.

وهذا البيت غير مرقم في الدفتر ولكن موضعه هنا ملائم.

٤ ـ تلك الرزية لاركائب أسلمت
برحالها مشدودة الأنساع

(لاركائب): تروى: لاقلائص. **(الأنساع)**: جمع نسع، وهو سير يشد به رحل البعير.

٥ ـ وهو البيت الثاني في المطبوعة:

والحارث بْن يزيدَ ويحك أعولي
حلوًا شمائله رحيب الباع

(أعولي): أبكي عليه بصوت عال.

والبيت الثالث في المطبوعة:

٦ ـ فــلــو انــنــي فــوديــتــه لــفــديــتــه
بــأنــامــلــي، وَأجَــنَّــه أضــلاعــي

(فوديته): قُبل مني فداؤه.

٧ ـ لــدفــعــت عــنــه فــي الــلــقــاء وفــاتــه
دفــعــي وكــلُّ مــنــيــة بــدفــاع

٨ ـ والــخــيــل تــعــلــم أنــنــي جــاريْــتــهــا
بــأجــشَّ لا ثــلْــبٍ ولا مــضــلاع

(الأجش): مما يحمد في الخيل أن يكون أجشَّ الصهيل غليظة، **(الثلب)**: أصلها البعير المسن الهرم الذي تساقطت أسنانه، وهنا أراد الفرس، وقد ذكر هذا صاحب «لسان العرب» عند كلمة **(مضلاع)** فقال: إنه يقصد الفرس.

٩ ـ يــهــدي الــجــيــاد وقــد تــزايــل خــلــقــه
بــيــديْ فــتــىً ســمــح الــيــديــن شــجــاع

(يهدي): الخيّال الجياد وقد ترامت أو ترادت في سيرها بمعنى أنها تابعة له.

١٠ ـ يــصــطــادك الــوحَــد الــمــدِلُّ بــشــأوه
بــشــريــج بــيــن الــشــد والإيــضــاع

ورد هذا البيت في قصيدة للأسود بن يعفر في كتاب «المفضليات» وروايته هناك:

يُشوى لنا الوحَدُ المدلُّ بحُضره   بشريج بين الشد والإيراد

(**الوحد**): هو حمار الوحش السريع الجري، والشاعر هنا يتحدث عن فرس سريع يلحق بحمار الوحش مهما كان سبقه (حضره: عَدْوُه) الـ(**شريج**): المزيج. هو يسير سيرًا وسطًا بين (**الشد**): السرعة، والإيراد: وهو أشد الجري. والبيت في قصيدة الأجدع يقول: (**يصطادك**)؛ أي: يصيد لك. و(**الإيضاع**): أخف سير للإبل.

١١ ـ فرضيت آلاء الكميت ومن يبع
فرسًا، فليس جوادنا بمباع

(انظر: كتاب «جمهرة ابن دريد» (**٣/ ٤٣٦**)، ففيه: «أي غير معروض للبيع، قال الأصمعي: لعلها لغة لهم؛ يعني: أهل اليمن». (**الآلاء**): النعم، وروي: (**أفلاء الكميت**): وهي أولاده (اللسان)».

وفي رواية «الأصمعيات» وهو البيت السابع فيها:

«نقفو الجياد من البيوت ومن يبع»

نقفو: نتبع. قال سلامة بن جندل يصف فرسًا:

ليس بأسفى ولا أقنى ولا سَغِلٍ   يُعطى دواء قفيَّ السّكْن مربوب

أسفى: خفيف شعر الناصية، أقنى: في أنفه احديداب، السغل: المضطرب الأعضاء، والدواء: ما يداوى به الفرس، قفيّ: القفية الإيثار، يريد أن يقول: إن هذا الفرس يؤثر على ما لأهل هذه البيوت من طعام ويقدم له قبلهم.

١٢ ـ أبلغ لديك أبا عمير مرسلًا
فلقد أنخت بمنزل جعجاع

قرأ الشيخ صدر هذا البيت هكذا:

«أبلغ لديك أبا عمير موئلًا»

الـ**(جعجاع)**: الأرض السهلة.

١٣ ـ وهو البيت السابع في المطبوعة:

ولقد قتلنا من بنيك ثلاثة

فلتنزعنَّ وأنت غير مطاع

(تنزع): تكف عن الأمر، وهو هنا يقصد: إيقاف الحرب.

١٤ ـ وهو البيت الثامن في المطبوعة:

إن الفوارس قد علمْت مكانهم

فانعق بشاتك نحو أهل رُداع

روي: **(فانعق بشائك)**، ورُداع بضم الراء كما قال ياقوت، وبالفتح كما قال الهمداني في «صفة جزيرة العرب»: مخلاف من مخاليف اليمن، واسع المساحة، وفيه قبائل عدة.

١٥ ـ وهو البيت التاسع في المطبوعة:

حيَان من قومي ومن أعدائهم

خفضوا أسنَّتَهم فكلٌّ ناعي

رواه ابن قتيبة في «المعاني الكبير» (ص٨٨٣):

«خيلان من قومي»

خفضوا الأسنة استعدادًا للحرب، وتنادوا يا لثاراتنا وهذا ما اعتبره الشاعر نعيًا.

١٦ ـ خـفـضـوا الأسـنـة بـيـنـهـم فـتـواسـقـوا
يــــمــــشــــون فـــي حُــــلـــل مــــن الأدراع

(**تواسقوا**): انتظموا وتجمعوا، ثم سعوا إلى القتال.

١٧ ـ وهو البيت العاشر في المطبوعة:

والـخـيـل تـنـزو فـي الأعـنَّـة بـيـنـهـم
نـزوَ الـظـبـاء تُـحُـوِّشـت بـالـقـاع

(**تنزو**): تثب، و(**تحاوشوا**): من حوش الصيد، وهو الاستدارة حوله لصيده، و(**القاع**): الأرض المستوية.

١٨ ـ فـلـحـقـتـهـم بـالـجـزع جـزع حَـبَـونَـنٍ
يــــطــــلــــبــــن أذوادًا لأهــــل مُـــلاع

وهو غير وارد في المطبوعة.

(**الجزع**): منحنى الوادي حيث يستطيع المرء عبوره من جهة إلى جهة أخرى مقابلة، و(**ملاع**) اسم جبل في اليمن. ورواية الأخفش الأصغر: جزع تبالة، وتبالة في اليمن أيضًا.

١٩ ـ وهو البيت الحادي عشر في المطبوعة:

وكـأنَّ قـتـلانَـا كِـعَـابُ مـقـامـر
ضـربـت عـلـى شَـزَنٍ فـهـنَّ شـواعِ

ويروى: «وكأن عقرانًا،» ويروى: «قتلاها، وصرعاها». انظر: «المؤتلف والمختلف»، و«سمط اللآلي»، و«المعارف» لابن قتيبة. ورواه الأخفش الأصغر: (**عقراها**).

يقول: وكأنّ القتلى كعاب من التي يلعب بها المقامرون فإذا ألقاها اللاعب تفرقت وتعددت هيئاتها، وكذا الإبل المتساقطة في المعركة تقع على مرتفع غير مستوٍ من الأرض، فهنَّ متفرقات **(شواع)**. و**(شُزُن)**: جمع شَزَن: موضع غير مستوٍ.

وردت في كتاب «الوحشيات» ستة أبيات من هذه القصيدة بعضها ورد فيما سبق، وبعضها ورد مع اختلاف في الرواية، وبعضها الآخر لم يرد هنا وهي الأبيات رقم (٣ و٤ و٦). ولم يذكر لنا أستاذنا شيئًا عن خبرها، ويبدو أنه أحجم عن ذلك؛ لأنها في «الوحشيات» منسوبة إلى عبد العزيز بن زرارة الكلابي. وقد ورد تعليق على ذلك في هامش الكتاب المذكور كتبه الشيخ عبد العزيز الميمني يقول فيه: «لا أعرف أحدًا يكون عزا الأبيات إليه (يقصد الكلابي) وإنما هي للأجدع والد مسروق الفقيه من كلمة أصمعية برقم (١٦)». وهذه هي الأبيات الستة:

١ ـ إن الفوارسَ قد علمْتَ مكانها
فانعِق بشائك نحو أهل رُداع

٢ ـ خيلان من قومي ومن أعدائهم
رفعوا أسنَّتهم فكلٌّ ناع

٣ ـ وفداؤكم أمي وأمكمُ لكم
فبمثلكم في الوتر يسعى الساعي

٤ ـ فلقد شددتم شدَّةً مذكورة
ولقد رفعتم صوتكم بيفاع

٥ ـ وبـنـو الـحـصـيـن ألـم يـجـئـكَ نـعِـيُّـهـم
أهـــل الـــلـــواء وســـادة الـــمـــربـــاع
٦ ـ شـهـدوا الـمـواسـم فـانـتـزعـنـا ذكـرهـم
مـــنـــهـــم بـــأمـــر صـــريـــمـــة وزَمـــاع

(صريمة): انقطاع. و**(الزماع)**: المضي في السير.

وروى الأخفش الأصغر: **(فانتزعنا ذكرهم)**: «فانتزعنا مجدهم».

ولقد حرصت على نقل الأبيات التي ذكرها أبو تمام في كتابه «الوحشيات» على الرغم من أن شيخنا لم يشر إليها لدور الشيخ في نشر هذا الكتاب، قرأه وزاد في حواشيه حتى جاءت طبعته التي صدرت عن دار المعارف بمصر ضمن سلسلة ذخائر العرب طبعة متكاملة ينبغي ألا نترك منها شيئًا له علاقة بعملنا هذا.

وفي الختام نشير إلى أن الأخفش الأصغر **(٢٣٥ ـ ٣١٥هـ)** روى هذه القصيدة وزاد عليها، فوصل بعدد أبياتها إلى واحد وعشرين بيتًا.

وفيها أورد بعض الاختلاف في روايته للأبيات، وفيها زيادة لم ترد عند شيخنا ولا في «الوحشيات» وهي البيت القائل:

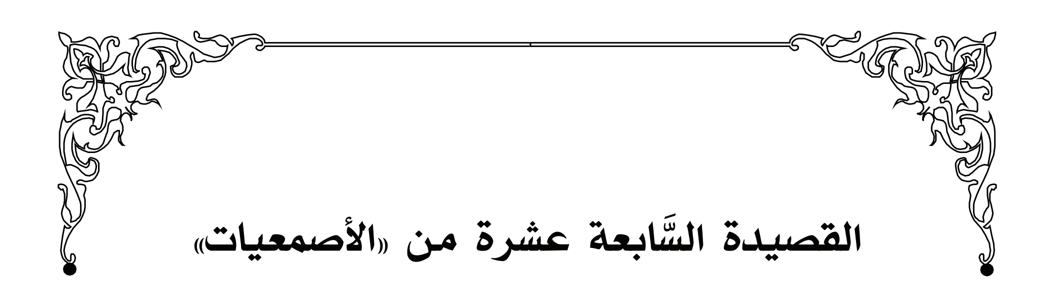
وَهِلَت فهِيَّ تسور في أرماحنا ورفعن وهوهة، صهيل وقاع

وهلت: فزعت، تسور: تنزو، لوقع الرماح والوهوهة ترديد الصوت بالألم. وتشديد الياء من كلمة فهيَّ لغة همدان، صهيل وقاع؛ أي: صهيل حرب لاصهيل نشاط.

ترتيب القصيدة السادسة عشرة

رقم البيت في الدراسة	في «الأصمعيات»	في كتاب «الاختيارين»
١	١	١
٢	-	٢
٣	-	٣
٤	٤	٦
٥	٢	٤
٦	٣	٥
٧	-	-
٨	-	٩
٩	-	١١
١٠	-	١٠
١١	٧	١٢
١٢	٥	٧
١٣	٦	٨
١٤	٨	١٣
١٥	٩	١٤
١٦	-	١٥
١٧	١٠	١٦
١٨	-	١٩
١٩	١١	١٧





القصيدة السَّابعة عشرة من «الأصمعيات»

وهي قصيدة للحارث بن عُبَاد ومطلعها:

قــربًــا مــربــط الــنــعــامــة مــنــي
لَــقِــحَــتْ حــرب وائــل عــن حــيــال

والنعامة فرسه، ولقّحت بمعنى حملت، عن حيال معناها بعد ما كانت لا تحمل، شبه الحرب بالناقة. وليس في هذه الأصمعية غير ثلاثة أبيات قالها الشاعر في أحد أيام الحرب التي دارت بين قبيلتي بكر وتغلب، والقصيدة في حد ذاتها طويلة ولكن الأصمعي لم يختر منها إلا هذه الأبيات الثلاثة. ولقد تجاوزها أستاذنا فلم يشرحها أسوة بما عمله فيما مضى في قصيدة أخرى قصيرة.

وبعد هذه الصفحة تجد صفحتين مصورتين من صفحات كتاب «الأصمعيات»، هما (ص٧٠ وص٧١)، تتضمن أبيات الحارث بن عباد الثلاثة وما يتعلق بهما.

وقال الحرث بن عباد[1]

. . . .

---

(١) ترجمته: هو الحرث بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صبع بن علي بن بكر بن وائل، بقية النسب مضت في «المفضلية» (٤٥)، وهو ابن عم سعد بن مالك بن ضبيعة والد المرقش الأكبر. وكان الحرث من حكام ربيعة وفرسان المعدودين، وله عقب معروف، ومنهم بكير بن معبد، أصم بني الحرث بن عباد، ومنهم رهيمة بنت غنيم بن درهم زوج الفرزدق، أمها الحميصة من بني الحرث بن عباد. و«عباد» بضم العين وتخفيف الباء، ويضبط في بعض الكتب المطبوعة بفتح العين وتشديد الباء، وهو خطأ، وانظر: «الاشتقاء» (٢١٤)، و«الخزانة» (١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦)، و«الأمالي» (٣/ ٢٥ ـ ٢٦)، و«العقد» (٣/ ٩٦ ـ ٩٧)، و«الأغاني» (٤/ ١٣٩ ـ ١٥١)، و«الشعراء» (١٤٠، ١٦٤، ١٦٦)، و«النقائض» (٥٩٤ ـ ٥٩٥ ـ ٦٤٤)، «والسمط» (٧٥٧)، و«أخبار المراقسة» للسندوبي (٣٥ ـ ٤١)، و«شعراء الجاهلية» (٢٧٠ ـ ٢٨١)، و«أيام العرب» (١٥٨ ـ ١٦٨).

جو القصيدة: هذه الأبيات من قصيدة طويل أبياتها مائة بيت وردت في كتاب «بكر وتغلب» (ص٦١) من طبع بمبي سنة (١٣٠٥هـ). وقد قالها في يوم قضية من أيام بكر وتغلب. وقالوا: كان الحرث ابن عباد البكري قد اعتزل يوم قتل كليب، وقال: لا أنا من هذا ولا ناقتي ولا جمالي ولا عدلي! واستعظم قتل كليب في ناقة. ولكن سعد بن مالك حضضة بقصيدة منها:

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهط فاستراحوا

وفي هذا اليوم قتل بجير ـ وهو ابنه أو ابن أخيه عمرو بن عباد ـ وكان أرسلة في الصلح بين بكر وتغلب، فقتله مهلهل بن ربيعة التغلبي، وقال له: «بؤبشسع نعل كليب». فقال الغلام: «إن رضيت بنو بكر بهذا رضيت». فلما بلغ الحرث مصرع بجير قال: نعم القتيل قتيلًا أن =

١ ـ قــربــا مــربــط الــنــعــامــة مــنــي
لــقــحــت حــرب وائــل حــيــال[1]

٢ ـ لــم أكــن مــن جــنــاتــهــا عــلــم الــلَّــه،
وإنــــي بــــحــــرهــــا الــــيــــوم صــــال[2]

= اصلح الله به بين بكر وتغلب وباء بكليب! فقيل له: إنما قال مهلهل ما قال... (الكلمة). فغضب الحرث وتشمر للحرب، وهو يوم قضة أو يوم التحالق، وقال في ذلك هذه القصيدة، وفيها رثاء بجير، وانظر: «العقد»، و«الأغاني» (٤/ ١٤٢)، و«الأمالي» (٣/ ٢٥ ـ ٢٦)، و«الخزانة» (١/ ٢٢٥)، و«الشعراء وشعر الجاهلية» (٢٧٠ ـ ٢٨١).

تخريجها: وهي في الأرووبية برقم (٦٠)، وهي من قصيدة طويلة في «أيام العرب»، و«أخبار المراقسة»، و«شعراء الجاهلية» وغيرها. والأبيات في «حماسة» البحتري (٣٣)، و«الأغاني» (٤/ ١٤٤)، وهي مع رابع في «الخزانة» (١/ ٢٦٦)، و«البيتان» (١)، (٢)، وفي «الحيوان» (١/ ٢٢)، و«العقد» (٣/ ٩٦)، و«السمط» (٧٥٧)، وهما مع ثالث في «الأمالي» (٣/ ٢٦)، وهما وبينهما بين في «الأغاني» (٤/ ١٤٩)، وابن الأثير (١/ ٢٢٠)، والبيت ١ في «الحيوان» (٣/ ٢٨٤ و٤/ ٣٦١)، و«الخيل» لابن الكلبي (٢٨)، ولابن الأعرابي (٨٩)، و«الجمهرة» (١/ ٢٦٢)، و«اللسان» (١٦/ ٨٦)، وهو مع آخر في ديوان المعاني (٢/ ٦٣)، والبيتان (٣)، (١) في «الجواليقي» (٣٦٥)، والبيتان (٣)، (٢) ومعها آخر في ابن السيد (٤٤٣ ـ ٤٤٤).

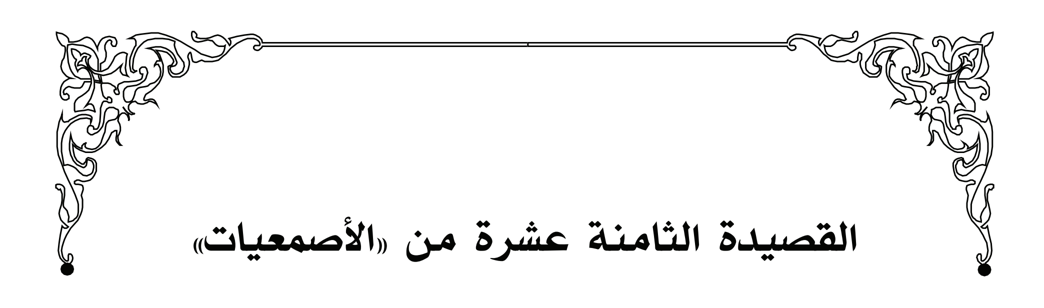
(١) النعامة: اسم فرسة. لفحت: حملت. عن الحيال: بعد حيال، والحيال، بكسر الحاء: من قولهم: «حالت الناقة»؛ أي: لم تحمل. قال الجوالقي: «وإذا بقيت الناقة أعوامًا لم تلقح ثم ألقحت كان أقوى لولدها، كما أن الأرض إذا لم تزرع أعوامًا كان أكثر لنباتها؛ لأن النتائج بمنزلة الحرب عندهم. وهذا مثل ضربة لشدة الحرب».

(٢) صال: من قولهم: (صلي بالنار) قاسي حرها.

٣ ـ لا بــجــيــر أغـــنـــى فــتــيـــلًا ولا رهـــ
ـط كـــلـــيـــب تـــزاجـــروا عـــن ضـــلال[١]



(١) يريد أن قتل بجير ابن أخيه لم يغن شيئًا في قطع الحرب بين بكر وتغلب ابني وائل.



القصيدة الثامنة عشرة من «الأصمعيات»

وهي قصيدة ذي الإصبع العدواني ومطلعها:

ولـــــيـــــس الــــمــــرء فــــي شـــــيء
مــــــن الإبـــــرام والـــــنـــــقــــــض

وهي التي فيها البيت المشهور:

عـــذيـــر الـــحـــي مـــن عـــدوا نَ كـــانـــوا حـــيَّـــة الأرض

وهي تصور ما حدث لهذا الحي من عدوان من حروب أودت بكثير منهم، وذو الإصبع هو حرثان بن الحارث، وهو أحد بني عدوان وهم بطن من جديلة، وهو شاعر جاهلي وفارس من الفرسان المشهورين، وقد ذكر الأصمعي سبب إنشاد هذا الشاعر لقصيدته بقوله: نزلت عدوان على ماء، فأحصوا فيهم أكثر من سبعين ألف فتى، وذلك يدل على كثرتهم. ولكنهم انشغلوا بالحروب، وتفانوا بأسرع مدة مما جعل ذا الإصبع العدواني يقول قصيدته هذه.

وفي درسنا لهذه القصيدة أجد أولًا التعليق الذي كتبته بخصوص استمرارية الدروس وهو: «وقفنا اليوم على هذه الأصمعية، وتفرغنا للمراجعة، وقد أُجِّلت الدروس إلى ما بعد الامتحان» كان ذلك في اليوم العاشر من شهر ديسمبر لسنة (١٩٥٧م).

بدأ الأستاذ درسه قائلًا: جديلة هي أم بني فهم، والحارث وعدوان أبناء عمر بن قيس عيلان بن مضر ابن نزار. وكان لعدوان في أول أمرها الغلبة على جزيرة العرب، وبأيديهم أمور الحج، وهم حكام العرب يحكمون في الدماء والأموال، ومن أشهرهم عامر بن الظرِب العدواني، وكان لعامر ابنة هى: زينب بنت عامر بن الظرب، زَوَّجها لقسيّ ابن منبه، وهو كفيف، وعندما ماتت زوَّجه ابنة له أخرى يقال لها: آمنة، وأيضًا كانت له ابنة يقال لها: عمرة، تزوجها صعصعة بن معاوية بن بكر وهم هوازن، فولدت عامر بن صعصعة، وهم بنو عامر، ومنهم عامر بن الطفيل، وخبر عدوان في «معجم ما استعجم» للبكري (ج١ ص) وما بعدها. وليست في أي كتاب زيادة على هذه الرواية غير «الأغاني».

وقد سمي ذو الإصبع؛ لأنَّ حية نهشته، في إصبعه فيبست، واكتسب هذا الاسم، ونسي الناس اسمه الأصلي وهو: حرثان. وقد كبر سنه كثيرًا حتى خرف، وأهْتَرَ، وصار يفرق ماله دون تدبير، فعذله أصهاره ولاموه فقال:

أهلكنا الليل والنهار معًا   والدهر يعدو مصممًا جذعًا

فليس فيما أصابني عجب   إن كنت شيبًا أنكرت أو صلعًا

تتكون هذه الأصمعية من خمسة أبيات، ولكنها في الحقيقة أكثر، وشك بعض النقاد الأقدمين في وجود أبيات منحولة أدخلت عليها. ولكن الأستاذ عرض علينا ستة وعشرين بيتًا جمعها من مصادر مختلفة، وَنَسَّق فيما بينها كعادته.

وهذه هي القصيدة وفق ترتيبه، ووفق ما درسها لنا في ذلك اليوم:

١ ـ ولـــــيـــــس الـــــمـــــرء فـــــي شـــــيء

مـــــن الإبـــــرام والـــــنـــــقـــــض

٢ ـ إذا أبـــــرم أمـــــرًا خـــــا

لـــــه يـــــقـــــضـــــي ومـــــا يـــــقـــــضـــــي

(**خاله**): خال نفسه.

٣ ـ يـــــقـــــول: الـــــيـــــوم أمـــــضـــــيـــــه

ولا يـــــمـــــلـــــك مـــــا يُـــــمـــــضـــــي

٤ ـ فـــــأمـــــر الـــــيـــــوم أصْـــــلِـــــحْـــــهُ

ولا تـــــعـــــرِض لـــــمـــــا يَـــــمـــــضـــــي

٥ ـ جـــــديـــــد الـــــعـــــيـــــش مـــــلـــــبـــــوس

وقـــــد يـــــوشـــــك أن يـــــنـــــضـــــي

(**ينضي**): من أنضيت الثوب بمعنى أبليته، ويرى الأستاذ أنَّ أنضى من الإنضاء: وهو الهزال، والنضو: هو البعير المهزول.

٦ ـ فـــــبـــــيـــــنـــــا الـــــمـــــرء فـــــي عـــــيـــــش

لـــــه مـــــن عـــــيـــــشـــــه خـــــفـــــض

٧ ـ أتـــــاه طَـــــبَـــــقٌ يـــــومًـــــا

عـــــلـــــى مـــــزلـــــقـــــة دحـــــض

(**الطبق**): هو الداهية، والشدة، ويقال للدواهي: بنات طبق؛ لأنها تُطبق على الإنسان، والـ(**مزلقة**): الموضع الزلق الذي لا تثبت عليه قدم، وهو الدحض أيضًا.

٨ ـ عـــــــذيـــــــر الأرض مـــــــن عــــــدوا
ن كـــــــانـــــــوا حـــــــيـــــــة الأرض

وهذا هو أول أبيات المطبوعة.

ويروى: **(عذير)** الحي، والعرب تستعمل كلمة عذير في استنكار الشيء واستغرابه، وحية الأرض تستعمل بمعنى الجمع، أراد: إنهم ذوو بأس وشدة، لا يُضَيِّعُون ثأرًا لهم «اللسان»، مادة: (حيا) والمراد بحية الوادي الأسوَدُ الذي كان يقال إنه من الجن، وهو الذي لا يترك ثأره، قال حسان:

يا محكم بن طفيل قد أتيح لكم   للّه در أبيكم حية الوادي

أراد: الذي لا يترك ثأره، وهذا البيت ليس في ديوان حسان بن ثابت ولكنه في كتاب: «الروض الأنف» للسهيلي.

٩ ـ بـــغـــى بـــعـــضـــهُـــمُ بـــعـــضًـــا
فـــلـــم يُـــرعُـــوا عـــلـــى بـــعـــض

وهو البيت الثاني في المطبوعة.

(الإرعاء): الإبقاء؛ أي: لم يُبقوا على بعض.

١٠ ـ فـــــقـــــد صـــــاروا أحـــــادي
ـث بـــرفـــع الـــقـــول والـــخـــفـــض

١١ ـ ومـــنـــهـــم كـــانـــت الـــســـا
دات والـــمـــوفـــون بـــالـــقـــرض

(والسيادة): عند العرب ليست على الملك، ولا على الغنى،

بل على كرم النفس، وقوة العزيمة. والقرض هنا هو ما سلف من إحسان أو إساءة.

١٢ ـ ومـــنـــهـــم حـــكـــم يـــقـــضـــي
فـــلا يُـــنـــقـــض مـــا يـــقـــضـــي

ذكر الأصفهاني في كتابه «الأغاني» أن ذا الإصبع كان يعني بقوله (**ومنهم حكم يقضى**): عامر بن الظرب العدواني، وكان حكمًا للعرب تحتكم إليه.

والبيت الحادي عشر والثاني عشر هما: البيتان الثالث والرابع من المطبوعة.

وكانت للعرب مجموعة تسمى الحُمس وهم: قريش، وكنانة، وفَهْم، وعدوان، وهم القائمون بأمر الحاج. «لسان العرب»: (حمس).

١٣ ـ ومـــنـــهـــم مـــن يـــجـــيـــز الـــنـــا
س بـــالـــسُّـــنَّـــة والـــفـــرض

وفي «الأصمعيات»:

ومـــنـــهـــم حـــامـــل الـــنـــا   س عـــلـــى الـــسُّـــنَّـــة والـــفـــرض

ورواية «الحماسة البصرية»: «ومنهم من أجاز الحج بالسُّنَّة والفرض».

١٤ ـ وهـــم مـــن ولـــدوا أشـــبـــوا
بـــســـر الـــحـــســـب الـــمـــحـــض

يقال فلان: (**أشبى**) إذا ولد له ولد كيّس، ويقال: أشبى فلانًا

ولـده؛ أي: أشـبـهـه، وأنـشـد عـمـران بـن حـطـان يـصـف رجـلًا من الخوارج، ويذكر أن أمه قد أنجبت بولادته:

قـد أنـجـبـتـه وأشْبـتـه وأعـجـبـهـا   لو كان يعجبها الإنجاب والحبلُ

١٥ ـ ومـــــن ولــــدوا عــــا

مــــر ذي الـــطـــول وذي الـــعـــرض

(**عامر**): اسم قبيلة، والمراد: عامر بن صعصعة لما سبق في الأول خلافًا لما أورده محققا «الأصمعيات».

(**والطول والعرض**): كثرة الولد والبأس.

١٦ ـ وهـــم بـــوَّوا ثـــقـــيـــفًـــا دا

رلاذل ولا خـــــــــفـــــــــض

(**بووا**): هيأوا لهم دارًا.

١٧ ـ وهـــم كـــانـــوا فـــلا تـــكـــذبْ

ذوي الـــقـــوة والـــنـــهـــض

١٨ ـ لـــهـــم كـــانـــت أعـــالـــي الأر

ض فـــالـــســـران فـــالـــعـــرض

١٩ ـ إلـــى مـــا حـــازه الـــحـــزن

فـــمـــا أســـهـــل لـــلـــحـــمـــض

٢٠ ـ إلـــى الـــكـــفـــريـــن مـــن

نـــخـــلـــة فـــالـــدارة فـــالـــمـــرض

٢١ ـ لـــهـــم كـــان جـــمـــام الـــمـــا

ء لا الـــمـــزجـــى ولا الـــبـــرض

(**المزجى**): القليل، (**البرض**): القليل من الماء والغمر ضده. (**جمام الماء**): الغزير من الماء الصافي. وما سبق ذلك فهي أسماء مواقع.

٢٢ ـ فـــكـــان الـــنـــاس إذ هـــمّـــوا

بـــســـيـــر خـــاشـــع مـــغـــض

(**مغض**): من الإغضاء وهو حفض النظر.

٢٣ ـ تـــنـــادوا ثـــم ســـاروا ب

ـرئـــيـــس لـــهُـــمُ مُـــرض

٢٤ ـ فـــمـــن ســاجـــلـــهـــم حـــربًـــا

فـــفـــي الـــخـــيـــبـــة والـــخـــفـــض

(**الخيبة**): الذل والمسكنة.

٢٥ ـ وهـــم نـــالـــوا عـــلـــى الـــشـــنـــآ

ن والـــشـــحـــنـــاء والـــبـــغـــض

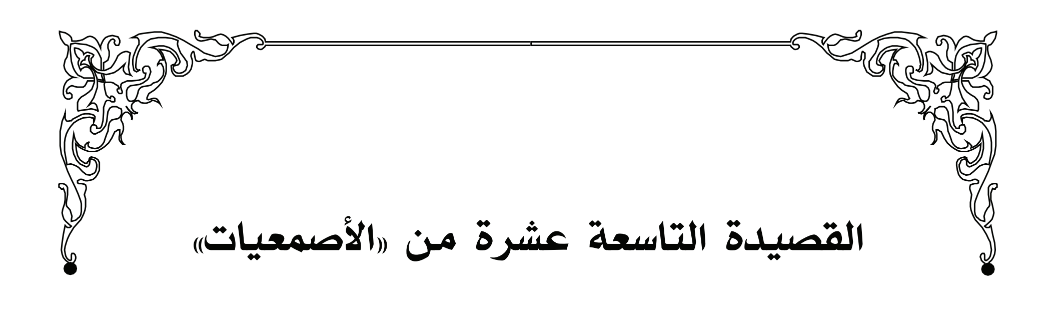
(**الشنآن**): البغض والحسد.

٢٦ ـ مـــعـــالـــي لـــم يَـــنَـــلْـــهـــا الـــنـــا

سُ فـــي بـــســـط ولا قـــبـــض

إلى هنا انتهى درسنا على الأستاذ. ونلاحظ أن الأبيات الخمسة التي ضمتها «الأصمعيات» قد صارت ستة وعشرين بيتًا، بفضل تتبع أستاذنا لهذه القصيدة ودراسته لما حولها.

ونلاحظ أنه قد مرت بنا أسماءٌ لعدة مواقع وهي كلها في جنوبي المملكة العربية السعودية واليمن.



القصيدة التاسعة عشرة من «الأصمعيات»

علقت في صدر الصفحة من الكراس الذي أكتب الدرس فيه:

«ابتدأت الدراسة من جديد في ١٥/ ١/ ١٩٥٨م».

وهذه القصيدة لكعب بن سعد الغنوي، وهو شاعر معروف، وقد اختُلف كثيرًا في نسبه، وفي تاريخ حياته وأسهب محققا «الأصمعيات» في ذلك، وعدّد المراجع التي ذكرت كل قول من الأقوال المحيطة به.

وهو معدود من الشعراء الفحول، وقد ورد في كتاب «فحولة الشعراء» المخطوط ما ذكره الأصمعي جوابًا عن سؤال يتعلق بالشاعر وهو قوله «.... من بينهم كعب» وهو من أصحاب المراثي المعدودين. جاء في كتاب «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام: «مراثي الجاهلية المستحسنة المستجادة المقدمة معلومة موسومة منها قصيدة متمم بن نويرة وقصيدة أعشى باهلة، وقصيدة كعب الغنوي». انظر: «التعازي والمراثي» للمبرد.

وفي «لسان العرب»: مادة: (علي)، ومادة: (يدا) بيتان لكعب قالهما في النصح لولده علي، هما:

وإذا رأيت الأمر يشعب أمره ... شعب العصا، ويلج في العصيان

فاعمد لما تعلو فما لك بالذي ... لا تستطيع من الأمور يدان

وقد نسب البيتان لشاعر آخر هو علي بن الغدير الغنوي ولكنّ المشهور أنها لكعب كما ذكرنا.

من المراجع التي ينبغي الرجوع إليها لمعرفة شيء عن هذا الشاعر وعن قصيدته ما يلي:

«الموشح» للمرزباني (ص٨١).

«خزانة الأدب» (٣/ ٦٢١).

«بلوغ الأدب» (٢/ ١٠٥).

«سمط اللآلي» (ص٧٧١).

«أمالي القالي» (٢ / ١٤٧ و١٤٨ و٣١٢).

وفي هذا كفاية. ومنه ننتقل إلى القصيده:

قصيدة كعب بن سعد الغنوي في «الأصمعيات» موضع درسنا هذا، هي قصيدة قالها صاحبها عندما أراد أن يرد على امرأة وجهت إليه اللوم طالبة منه الكف عن مواجهة الأخطار، وهو يرى أن المنية تجري مع القدر، وأن الدعة والأماكن الآمنة لا تمنعها، وقد اتسع في حديثه إلى هذه المرأة فأخذ يفخر بكرمه ورعايته للصديق، وبجوده، وعزمه على الأسفار مع قدرته عليها، يصحو في الليل البهيم لينبه صاحبه من نومه من أجل استئناف الرحلة، ثم فخر بجوده وعفته وتسامحه وتحمله للأعباء وحفظه لأسرار الناس.

وقد رتب أستاذنا القصيدة ترتيبًا مختلفًا عن الترتيب الذي وجدناها عليه في «الأصمعيات»، فبدت هكذا:

١ ـ لـقـد أنـصـبـتـنـي أم قـيـس تـلـومـنـي
ومـا لـوم مـثـلـي بـاطـلًا بـجـمـيـل

وهي تروى: «لقد انصبتني أم عمرو»، وقد اختارها الأستاذ لسببين، أولهما ورودها في الطبعه الأوروبية وثانيهما، ورود اسم: أم عمرو في قصيدة للشاعر نفسه ضمن الأصمعية رقم **(٢٥)** إذ قال:

يبيت النَّدى يا أم عمرو ضجيعه   إذا لم يكن في المنقيات حلوب

(المنقيات: ذوات النقي وهو الشحم).

٢ ـ تـقـول: ألا يـا اسـتـبـق نـفـسـك، لا تـكـن
تـسـاق لـغـبـراء الـمـقـام دحـول

(دحول): البئر التي تآكلت جوانبها، وهي تقصد بذلك: القبر، تقول: لا تكن تساق إلى حتفك بما تفعل.

وتروى: «زحول»

قال لبيد:

لـو يـقـوم الـفـيـل أو فـيـالـه   زلَّ عـن مـثـل مـقـامـي وزَحَـلْ

والمقام: مكان الإقامة

٣ ـ كـمـلـقـى عـظـام أو كَـمُـهـلـك سـالـم
ولـسـتَ لـمـيْـت هـالـك بـوصـيـل

ويروي ـ أيضًا ـ: «كمَلقى عقال أو كمهلك سالم».

يقول الشيخ: وقد يكون عقال من أجداده، بدليل ذكر سالم وهو سالم بن عبيد الغنوي، يقال إن الرجلين يذكران بفعال حميدة،

وقد مات أحدهما: فقال ذلك ولا يوصل حيٌّ بميت، دعاء للحي منهما بالبقاء «اللسان»: (وصل).

ورواية «اللسان»: «وليس لحي هالك» وهي خطأ.

٤ ـ أراك امرًا ترمي بنفسك عامدًا
مراميَ تغتال الرجال بغول

٥ ـ ومن لا يزل يرجى بغيب إيابُهُ
يجوب وَيَغشى هول كل سبيل

٦ ـ على قَلَتٍ، يوشكْ ردًى أن يصيبه
إلى غير أدنى موضع لمقيل

روي: «يوشك ردًى أن يقيله» وإلى هنا بمعنى عند، و(**القلت**): خوف الهلاك.

٧ ـ ألم تعلمي أن لا يراخي منيتي
قعودي ولا يُدني الوفاة رحيلي

٨ ـ مع القدر الموقوت حتى يصيبني
حمامي لوان النفس غير عجول

رواها الشيخ: «لزاز النفس غير عجول».

وقال: العجلة هنا: الجزع، والـ(**عجول**): الجزوع، يقال ذلك للنساء الثاكلات، تقول الخنساء:

فما عجول على بوٍّ تطيف به   لها حنينان: إعلان وإسرار

وفي سورة الإسراء (آية: ١١): ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ يقال:

عجولًا وجزوعًا، اللزاز: الخصم الشديد البأس الذي إذا لزَّ بقرن لصق به، ولم يتركه.

٩ ـ فـإنـك والـمـوت الـذي تـرهـبـيـنـه
عـلـيَّ، ومـا عَـذَّالـةٌ بـغـفـول

الرواية:

فإنك واللوم الذي ترجعينه عليَّ، وما لوَّامه بعقول

ترجعينه؛ أي: تُرَدِّدِينه وهي من ترجيع الغناء.

وفي المطبوعة: (**ترهبينه**).

١٠ ـ كـداعـى هـديـل لا يـجـاب إذا دعـا
ولا هـو يـسـلـو عـن دعـاء هـديـل

١١ ـ وذي نـدب دامـي الأظَـلِّ قـسـمْـتـه
مـحـافـظـةً بـيـنـي وبـيـن زمـيـلـي

الـ(**ندب**): أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد، (**الأظلَّ**): باطن خف البعير، (**محافظة**): وفاءً وحرصًا على المودة، يريد أنه تناصف ظهر بعيره مع رفيقه في الركوب.

١٢ ـ وزاد رفـعـت الـكـف عـنـه عـفـافـة
لأوثـر فـي زادي عـلـيَّ أكـيـلـي

يروى: «عنه تجمَّلًا». (**أكيلي**) بمعنى مواكلي الذي يأكل معي.

١٣ ـ وشـخـص درأت الـشـمـس عـنـه بـراحـتـي
لأنـظـر قـبـل الـلـيـل أيـن نـزولـي

(درأت): دفعت.

١٤ ـ ومـنـشـقّ أعـطـاف الـقـمـيـص دعـوتـه
وَقَـدْ سَـدَّ جـوز الـلـيـل كـل سـبـيـل

يروي: «ومُنقَدِّ أكناف القميص»، كما قال ابن الشجري في أماليه: «وقد مال جوز الليل كل مميل» **(جوز الليل)**: معظمه.

١٥ ـ فـقـلـت لـه: قـد طـال نـومـك فـارتـحـل
ومـا ذاق طـعـم الـنـوم غـيـر قـلـيـل

١٦ ـ سـحـيـرًا وأعـجـاز الـنـجـوم كـأنـهـا
صـوار تـدلَّـى مـن سـواء أمـيـل

الـ**(صوار)**: البقرة الوحشية البيضاء، ولا تعرف العرب غيرها في اللون. **(سحيرًا)**: وقت السحر مصغرًا، **(وأعجاز النجوم)**: بقاياها التي لم تأفل بعد، **(الأميل)**: حبل من الرمل ممتد يكون عرضه وطوله مسيرة يوم أو يومين ونصف. **(وسواؤه)**: وسطه.

١٧ ـ وقـد شـالـت الـجـوزاء حـتـى كـأنـهـا
فـسـاطـيـط ركـب بـالـفـلاة نـزول

الرواية: «وقد مالت الجوزاء»، و**(الجوزاء)**: في الكواكب اليمانية وهي الجبار؛ لأنه على صورة رجل على كرسي عليه تاج. و**(شالت)**: ارتفعت. **(فساطيط)**: جمع فسطاط، وهو مذكور في بيت من الشعر. انظر: كتاب «الأنواء» لابن قتيبة (ص٤٧).

١٨ ـ ومـن لا يُـنَـلْ حـتـى يَـسُـدَّ خـلالـه
يـجـد شـهـوات الـنـفـس غـيـر قـلـيـل

(خلال): جمع خُلَّة وهي الحاجة. يقول من لم يعط المحتاج حتى يسد حاجته إلا بعد أن يسد حاجة نفسه فإنه سوف يجد حاجاتها لا تنتهي.

١٩ ـ وعـوراء قـد قـيـلـت فـلـم اسـتـمـع لـهـا
ومـا الـكِـلْـمـة الـعـوراء لـي بـقـبـول

ورواية «اللسان»:

«وما الكلم العوران لي بقبول»

و**(الكلمة العوراء)**: القبيحة.

٢٠ ـ ومـا أنـا لـلـشـيء الـذي لـيـس نـافـعـي
ويـغـضـب مـنـه صـاحـبـي بـقـؤول

٢١ ـ وأعـرض عـن مـولاي لـو شـئـت سـبـنـي
ومـا كـلَّ يـوم حـلـمُـه بـأصـيـل

٢٢ ـ ولـن يـلـبـث الـجـهـال أن يـتـهـضـمـوا
أخـا الـحـلـم مـا لـم يـسـتـعـن بـجـهـول

(الجهال): من الجهل وهو ضد الحلم. **(يتهضموا)**: يظلموا، ويُغضبوا.

٢٣ ـ وأذكـر أيـام الـعـشـيـرة بـعـدمـا
أُمـيِّـلُ غـيـظ اَلـصـدر كـلَّ مـمـيـل

(التمييل): هو أن يبعد غيظ النفس كل الإبعاد، وَيَتَّبعَ الحلم بعد أن يوازن بينه وبين الجهل.

٢٤ ـ ولست بمبدٍ للرجال سريرتي

وما أنا عن أسرارهم بسؤول

٢٥ ـ وقوم يجرون الثياب كأنهم

نشاوى وقد نبهتهم لرحيل

(**نشاوى**): جمع نشوان، والانتشاء أول السكر.

٢٦ ـ وعافي الجبا طامي الجمام وردته

بذي خُصَل ضافي السبيب رجيل

(**الجبا**): جوانب أعلى البئر، والـ(**عافي**): الدارس القديم، (**الجمام**): معظم الماء يريد أن ماءه غزير مرتفع، (**ذي خصل**): حصان (**ضافي السبيب**): طويل شعر الذنب والعرف والناصيه، (**رجيل**): قوى متين لا يحفى ولا يعرق.

٢٧ ـ وقد نَفَّرَ الليلُ النهار وأُلبِست

سماوة جون مجنح لأصيل

(**ألبست**): يقصد الدنيا؛ الـ(**جون**): النهار، و(**سماوته**): سماؤه، (**مجنح**): مائل، (**لأصيل**): إلى وقت الأصيل أواخر النهار.

تمت القصيدة، وكان الشيخ قد ذكر لنا في بداية شرحه لها أنها قصيدة ذات إشكال من حيث السياق، ولكنه ـ عند الشرح ـ لم يُرجع كل بيت إلى الموقع الذي يراه ملائمًا له فحسب، وإنما حرص في البداية على أن يقدم لنا ترقيمًا للأبيات وفق الترتيب الذي يطمئن إليه، وذلك كما يلي:

١ ـ الأبيات من (١) إلى (١٢) ثم البيت (١٨).

٢ ـ الأبيات (١٣)، (٢٦)، (٢٧)، (٢٥).

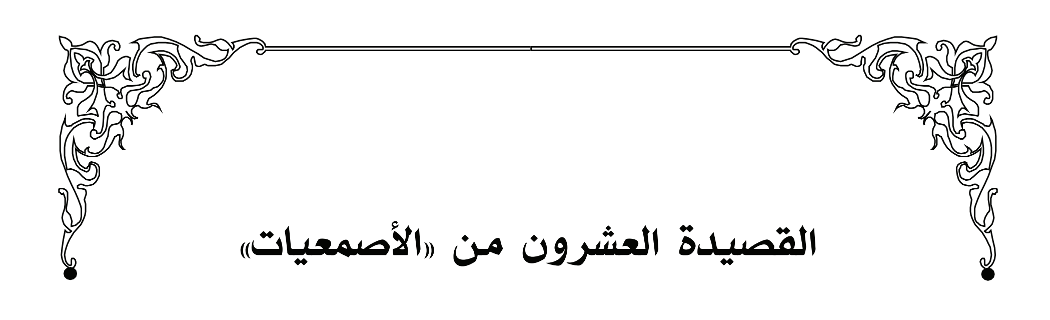
٣ ـ الأبيات من (١٤) إلى (١٧).

٤ ـ الأبيات (١٩)، (٢١)، (٢٣)، (٢٢).

٥ ـ البيتان (٢٠)، (٢٤).

ويستطيع القارئ أن ينسق القصيدة على وفق ذلك، علمًا بأنه لم يشرح جميع الأبيات اعتمادًا على وضوحها، وعدم الحاجة إلى شرحها. أو لأنه مقتنع بالشرح الوارد في المطبوعة.





القصيدة العشرون من «الأصمعيات»

هذه قصيدة قالها أبو الفضل الكناني وتلقاها الأصمعي عن العالم اللغوي أبي عمرو ابن العلاء، ويكاد يكون هذا هو الذكر الوحيد لهذا الشاعر، إذ ليس هناك من يذكره في المراجع المتاحة، وليست له أشعار مروية خلاف الأبيات الواردة في هذه الأصمعية. وسوف نرى أن ما وجدناه في كتاب «المعاني الكبير» لا يزيد عن بيتين منسوبين إلى شاعر آخر هو أبو الطمحان القيني. وحتى تخريج مُحققي «الأصمعيات» للقصيدة لم يفدنا إلا بقولهما: «هي رقم **(٣٦)** في الأوروبية ولم نجد شيئًا منها في موضع آخر».

تُصَوِّر الأبيات رجلًا أربكه العدو في القتال وأرهقه، وكان على ظهر فرس ضعيف مما زاد مشكلته تعقيدًا، ولم يستطع النجاة بنفسه ولا بفرسه، وحاول إبعاد القوم عنه دون جدوى، وكان الفرس خائفًا كأنما لقي أسدًا.

القصيدة وقائلها من الأمور التي يصعب العثور على بيان عنهما في كثير من المراجع. ولكننا ـ كما ذكرنا آنفًا ـ نجد في كتاب «المعاني الكبير» (ص**٢٥٥**) البيت الخامس من الأصمعية، السادس هنا ثم بيتًا زائدًا في (ص**١٠٩٧**) هو:

علـى صلـويه مـرهـقـات كـأنـهـا ۝ قــوادم دلــتــهــا نــســور نــواشــر

ونسب البيت السادس وهذا البيت، إلى (أبي الطمحان القيني). وفي المفضليات ذكر هذا البيت الأخير غير منسوب لأحد. ويوضع بعد البيت الثاني. وهذه هي الأبيات:

١ ـ ومستلحم يخشى اللحاق وقد تلا
به مُبطئٌ قد منَّه الجرى فاتر

(**مستلحم**): نشب في الحرب فلم يجد منها مُخلصًا.

(**منَّه الجري**): قطعه؛ أي: قطع مُنَّته، ومنه ما ورد في قوله تعالى: ﴿غَيۡرَ مَمۡنُونٍ﴾ الآية رقم (٣) من سورة القلم؛ أي: غير مقطوع، والمعنى العام أعياه الجري، الـ(**فاتر**): الذي لانت مفاصله.

٢ ـ ضعيف القوى رخو العظام كأنها
حبال، نضته مبطئات محامرُ

(**نضته**): أخرجته من السباق كما يخرج السيف من غمده فيقال: نضى السيف، و(**مبطئات المحامر**): الخيل التي تشبه الحمير لضعف عدوها وبُطئه، فكأن فرسه من الضعف بحيث تسبقه أقل الخيل قدرة.

٣ ـ على صلويه مرهفات كأنها
قوادم دلتها نسور نواشر

(**صلوية**): قال ابن قتيبة: الصلوان ما عن يمين الذنب وشماله، ومنه اشتقت الصلاة حيث يجلس لها المصلي، ويقول ابن قتيبة في «المعاني الكبير»: قد أدرك والرماح شارعة إليه كأنها

قوادم نسر، والـ(**مرهفات**): الرماح، (**نواشر**): نُسورٌ نشرت أجنحتها.

٤ ـ فنهنهتُ عنه القوم حتى كأنما

حبًا دونه ليث بخفانَ خادر

(**نهنه بالسبع**): وجهجه به: صاح به ليزجره. (**حبًا**): دنا دنوًا شديدًا، وتستعمل بمعنى الإشراف والاعتراض؛ أي: دنا مشرفًا معترضًا، (**خادر**): لزم خدره؛ أي: عرينه. (**وخفان**): اسم موضع.

٥ ـ شتيم أبو شبلين أخضل متنه

من الدجن يومٌ ذو أهاضيب ماطرُ

(**شتيم**): كريه الوجه يشتمه من رآه. الـ(**أهاضيب**): جمع هضْبة وهي الدفعة العظمية من المطر. يقال: أهاضيب وهضاب. (**أخضل متنه**): ابتل ظهره، (**الدجن**): المطر الغزير.

٦ ـ يَظلُّ تغنيه الغرانيق فوقه

أباءٌ وغيل فوقه متآصر

شرح ابن قتيبة هذا البيت في كتابه «المعاني الكبير» (ص**٢٥٥**) فقال: الـ(**إباء**): قصب الغيل، والـ(**غيل**): الشجر الملتف (**متآصر**): متشابك، و(**الغرانيق**) من طيور الماء.

٧ ـ مُحبٌّ كإحباب السقيم وما به

سوى أسف أن لا يرى من يثاور

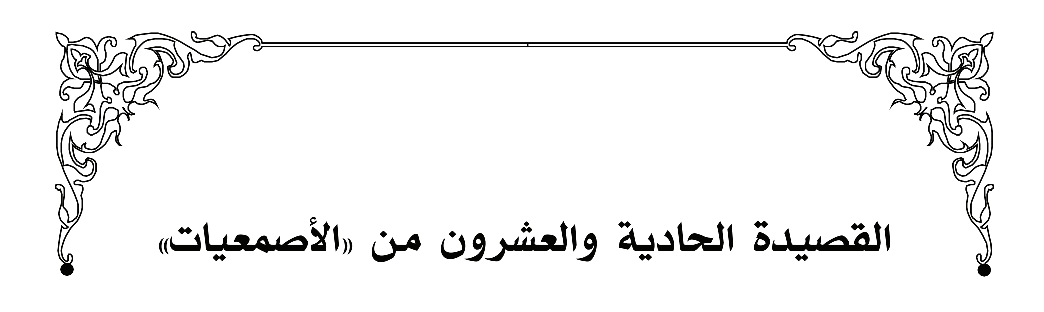
(**الإحباب**): لزوم المكان، ويقال للبعير الحسير: محب،

وأحب البعير: برك، وفي المثل: «اضرب بعير السوء إذا أحب»؛ أي: برك.

(وثاوره): واثبه.

بدأت وتمت قراءة القصيدة في يوم الثلاثاء الموافق **٢٨/ ١/ ١٩٥٨**م.





القصيدة الحادية والعشرون من «الأصمعيات»

هذه القصيدة كسابقتها من حيث عدم معرفة أي شيء عن الشاعر أو شعره، يحدث الشاعر عمرو بن الأسود امرأة ويقص عليها ما حدث لأخيها، وما حدث له ـ بخاصة ـ أثناء الحرب التي اشترك فيها. ويصف المعارك، وأحوال الفرسان وأفراسهم، ويذكر القبائل التي كانت مشتركة في تلك الحرب التي خاضها كما يذكر أسلحتهم وأسماءهم، ويبيِّن كيف نجا من تلك الحرب الطاحنة.

قيلت هذه القصيدة في مناسبة مهمة مر بها العرب في ذلك الزمن، وقد بيَّن الأصمعي ما يدل على ذلك في بداية الشعر، وهو قوله: «قال أبو عمرو ابن العلاء: قال عمرو بن الأسود هذه القصيدة في يوم ذي قار» ويوم ذي قار هو يوم الحرب التي اشتعلت بين بعض القبائل العربية وفارس. وقد انتصر العرب يومذاك. وكان رسول الله [قد حدث أصحابه بعد المعركة مباشرة فقال: «اليوم أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبي نُصروا». وكانت هذه المعركة في سنة (٦٠٩م).

ذكر ياقوت الحموي يوم ذي قار، وفصل ما حدث فيه ضمن كتابه «معجم البلدان» (٤/ ٣٩٣، ٣٩٤)، وقد قال ما نصه: «وكان من حديث ذي قار: أن كسرى لما غضب على النعمان بن المنذر

بسبب عدي بن زيد وزيد ابنه، في قصة فيها طول، أتى النعمان طيئًا فأبوا أن يدخلوه جبلهم، وكانت عند النعمان ابنة سعد بن حارثة بن لأم، فأتاهم للصهر فلما أبوا دخوله مرّ في العرب ببني عبس فعرضت عليه بنو رواحة النصرة فقال لهم: لا أيدي لكم بكسرى، وشكر ذلك لهم، ثم وضع وضائع له عند أحياء العرب، واستودع ودائع فوضع أهله وسلاحه عند هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان وتجمعت العربان مثل بني عبس وشيبان وغيرهم، وأرادوا الخروج على كسرى، فأتى رسولُ كسرى بالأمان على الملك النعمان، وخرج النعمان معه حتى أتى المدائن، فأمر به كسرى فحبس بساباط، فقيل: إنه مات بالطاعون، وقيل: طرحه بين أرجل الفيلة فداسته حتى مات، ثم قيل لكسرى: إن ماله وبيته قد وضعه عند هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود الشيباني، فبعث إليه كسرى: إن أموال عبدي النعمان عندك فابعث بها إليّ، فبعث إليه: أن ليس عندي مال، فعاوده فقال: أمانة عندي ولستُ مسلمها إليك أبدًا».

وكانت هذه هي نذر الحرب التي قامت بين الطرفين وانتصر فيها العرب.

إن هذه المعركة قد اختُلِف في تاريخها؛ فمنهم من قال إنها حدثت يوم ولادة النبي ﷺ، ومنهم من قال إنها حدثت في منصرفه من غزوة بدر الكبرى.

نص الحديث يدل على أن الرأي الثاني هو الصحيح لأنه ﷺ

قال: «**اليوم انتصف العرب...**» ومخاطبته إياهم تدل على أن ما حدث ليس في يوم ولادته الميمونة.

وعلى كل حال فإن المعركة قد حدثت في وقت أظل الطرفين زمان الرسول الكريم.

أما أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب كتاب «العقد الفريد»، فقد ذكر حديثًا تم بخصوص يوم ذي قار في الجزء الخامس (ص**٢٦٥** وص**٢٦٦**)، وكان يدور حول سؤال وجهه أحدهم إلى عمرو بن العلاء حول القبائل المشاركة في هذه الحرب، وقد رد ابن العلاء على سؤال السائل بقوله: «قد فصل بينكما التغلبي حيث يقول» ثم أورد أبياتًا لا تختلف كثيرًا عن أبيات عمرو بن الأسود الواردة في «الأصمعيات»، وهي الأبيات التي رواها أبو عمرو بن العلاء[1] للأصمعي كما مر بنا من قبل.

والتغلبي المقصود هو: بشير بن سوادة التغلبي، ويعرف بابن شكوة، وسماه ياقوت الحموي في «معجم البلدان»، مادة: (عجرم): بشر بن شلوة، وقيل: شلوة. وسوف تأتي مقارنة بين الأبيات المنسوبة للتغلبي والأخرى المنسوبة لعمرو بن الأسود، وذلك عند شرح أبيات الأصمعية رقم (٢١)، علمًا بأن هذه الأخيرة تزيد بخمسة أبيات عن أبيات التغلبي، وأن هناك زيادة في هذه الأبيات لم ترد في الأصمعية.

---

(١) كانت كنيته هي اسمه: أبو عمرو بن العلاء.

وشلوة المذكورة هي أم بشر بن سوادة التغلبي، وقد ورد هذا في نوادر المخطوطات (١/ ٩٢) و(٢/ ٣١٧) وفي «معجم ما استعجم»، وفي «المؤتلف والمختلف».

والقصيدة الأصمعية في طبعة أوروبا مقسومة إلى قسمين غير متساويين جعل أول بيتين منهما لعمرو بن الأسود، أما باقي القصيدة فنسبت إلى أبي الفضل الكناني، ولم يرد البيت الثالث ضمن القسم الثاني كما كان منتظرًا، وبالطبع فإنه لم يرد في القسم الأول.

وهنا نبدأ بشرح الأبيات كما وردت في كتاب «الأصمعيات»:

١ ـ ولقد أمرت أخاكِ عمرًا أمره
فعصى وضيعه بذات العُجْرُمِ

(**ذات العجرم**): اسم موقع بالقرب من ذي قار.

٢ ـ فإذا أمرتكِ بعدها فتبيَّني
أو أقدمي يوم الكريهة مَقْدَمي

(**يوم الكريهة**): يوم الحرب، (**مُقدمي**): إقدامي.

والبيت غير موجود في «العقد الفريد».

٣ ـ وجعلت نحري دون بلدة نحره
ولبان مهري إذ أقول له اقدُم

(**بلدة النحر**): ثغرته. الـ(**لبان**): الصدر.

والبيت غير موجود في «العقد الفريد».

٤ ـ فـي حـومـة الـمـوت الـتـي لا تَـشـتـكـي
غــمــراتــهـــا الأبــطـــال غـــيـــرَ تــغــمــغــم

هذا البيت منسوب لعنترة بن شداد، وهو وارد في معلقته المعروفة، وروايته في «العقد الفريد»: «في غمرة الموت».

٥ ـ وكـــأنـــمـــا أقـــدامـــهـــم وأكـــفُّـــهـــم
كـــرب تـــســاقُـــط مـــن خـــلـــيـــج مـــفـــعـــم

(الكرب) أصول السعف العراض، **(من خليج)**: من هنا بمعنى في. و**(مفعم)**: مملوء.

ورواية «العقد الفريد»: «سرب تساقط».

٦ ـ لــمــا ســمــعــت نــداء مُــرَّةَ قــد عــلا
وابــنـــي ربــيـــعـــة فـــي الـــغـــبـــار الأقـــتـــم

(مُرة): يقصد بني مرة بن ذهل بن شيبان، **(وابني ربيعة)**؛ أي: ابني ربيعة بن ربيعة بن ذهل بن شيبان، ومنهم هانئ ابن قبيصة «النقائض» (ص**٦٣٢**) ابن هانئ بن مسعود.

ورواية البيت في «العقد الفريد»:

لـمـا سـمـعـت دعـاء مـرة قـد عـلا وابـنـي ربـيـعـة في الـعـجـاج الأقـتـم

العجاج: الغبار.

٧ ـ ومـحـلـمًـا يـمـشـون تـحـت لـوائـهـم
والـــمـــوت تـــحـــت لـــواء آل مـــحـــلَّـــم

وفي «العقد الفريد»: «ومحلمٌ بالرفع».

و(**محلم**): هم بنو محلم بن ذهل بن شيبان

٨ ـ وسمعت يَشكرَ تدَّعي بحبيِّب
تحت العجاجة وهْي تقطر بالدم

في «العقد الفريد»: (بخبيِّب) بالخاء.

٩ ـ وحبيِّبٌ يزجون كل طِمِرَّةٍ
ومن اللهازم شخت غير مصرَّم

(**يزجون**): يسوقون ويدفعون، (**الطمرة**): المستنفرة للوثب والجري، (**اللهازم**): قبائل معروفة مجتمعة، والـ(**شخت**): الدقيق بسبب خلقته لا هزاله وفي رواية: شخب، وهذا البيت غير وارد في «العقد الفريد».

١٠ ـ والجمع من ذهل كأن زهاءهم
جُرب الجمال يقودها ابنا شعثم

ورواية «العقد الفريد»: «جرد الجمال يقودها ابنا قشعم».

ذهل بن وائل ابنا شعثم هم الشعثميون في «جمهرة أنساب العرب» (ص٢٩٧)، من بني عامر بن ذهل بن ثعلبة إخوة شيبان بن ذهل ابني حنديم وابني أم الرواع من بني كلاب. «العقد الفريد».

(**زهاء الشيء**): شخصه يُرى من بعيد، جرُب الجمال: لسوادها ولأنها تدهن بالقطران وهو أسود ومتلاحم بعضها ببعض.

واستدراكًا لما فات يأتي ما يلي:

- وجعلت في البيت الثالث: الواو لا تعطف على شيء.

● ولمَّا في البيت السادس لا جواب لها، وقد يكون جوابها وجعلت المتقدمة عليها.

● البيت الثامن: (**تدَّعي**) بمعنى: تدعوهم فتقول: يالفلان.

ويشكُر هو ابن بكر بن وائل، ومنهم: حبيب بن كعب بن يشكر.

● وروى هذا البيت في «المعاني الكبير»: ومن اللهازم شخب.

● في البيت التاسع من معاني (**طمَّرة**): طويلة، ويقال: وقع من طمار، وهو المكان المشرف.

والـ(**لهازم**) في هذا البيت هم قبائل: قيس وعجل وتيم الله وعنزة، وقوله: (**شخب غير مُصَرَّم) يريد أنهم من جماعة عزيزة، والـ(مصرَّم)**: الضرع الذي أصابه شيء فانقطع والشخت، ما يخرج من الضرع من اللبن.

قال الأستاذ: إنه يقصد أنهم يأتون دُفعات متتابعة، مما يدل على كثرتهم.

١١ ـ قذفوا الرماح وباشروا بنحورهم
عند الضِّراب بكل ليث ضيغم

والـ(**ضيغم**): من أسماء الأسد. والبيت ليس في «العقد الفريد».

١٢ ـ والخيل يضبرن الخبار عوابسًا
وعلى مناسجها سبائب من دم

(**الضبر**): أن تجمع الفرس قوائمها ثم تقفز.

(**المناسج**): الموضع ما بين العرف وموضع اللبد.

الـ(**سبائب**): ثوب رقيق، والسبيبة شقائق الكتان أو أي نوع من الثياب، الخبار الأرض اللينة، وروي: «من تحت العجاج». «العقد الفريد».

١٣ ـ لا يصدفون عن الوغى بخدودهم

في كل سابغة كلون العظلم

الـ(**سابغة**): الدرع التامة الملبوسة. يصدفون: يصدون، (**العظلم**): عصارة شجر أخضر يشبه لون الدروع إذا صدئت.

١٤ ـ نجّاك مهر ابنيْ حلام منهمُ

حتى اتقيت الموت بابني حِذيَم

غير موجود في «العقد الفريد».

١٥ ـ ودعا بني أم الرُّواع فأقبلوا

عند اللقاء بكلِّ شاكٍ معلم

و(**شاكٍ**): هو الشاكي الذي يدخل الحرب بسلاحه، والـ(**معلم**): هو الذي يضع له علامة يعرف بها في الحرب. وقد مر ذكر أم الرواع. وهذا البيت غير وارد في «العقد الفريد».

١٦ ـ يمشون في حَلَق الحديد كما مشت

أسْدُ الغريف بكل نحس مظلم

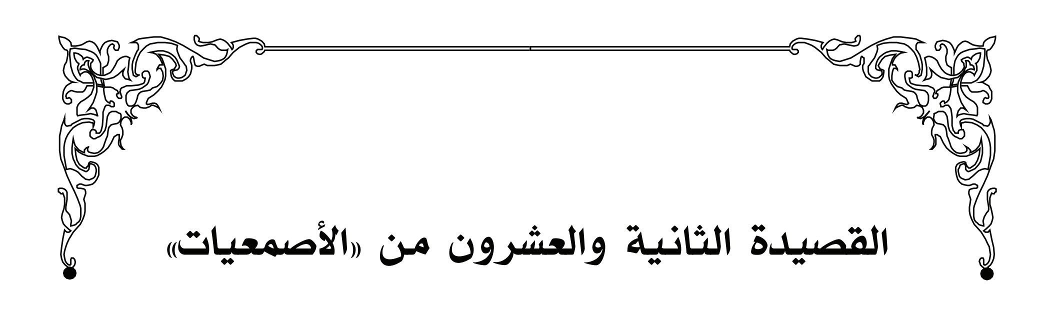
(**الغريف**): خدر السباع الذي فيه قصب ملتف، والـ(**نحس**): الغبار. ورواية «العقد الفريد»: «أسْد العرين».

١٧ ـ فنجوت من أرماحهم من بعدما
جاشت إليك النفس عند المأزم

(**جيشان النفس**): ارتفاعها من الخوف، و(**المأزم**): ضيق الحرب. والبيت غير وارد في «العقد الفريد».

هذه هي قصيدة عمرو بن الأسود كما درسناها، وكما وردت في كتاب «الأصمعيات»، وقبل أن ننهي هذه الصفحة لا بد من الإشارة إلى أن كتاب «العقد الفريد» الذي نسب عددًا من هذه الأبيات إلى بشير بن سوادة التغلبي، قد أسقط بعض أبيات الأصمعية. واختلفت فيه رواية عدد من الأبيات مما تمت الإشارة إليه أثناء الشرح.





القصيدة الثانية والعشرون من «الأصمعيات»

هذه قصيدة قالها: سَعْيَة بن العُرَيض اليهودي وهو شاعر جيد الشعر، وهو أخو السموأل بن عاديا المعروف بوفائه في قصة تاريخية مشهورة. وهما من فرقة من اليهود تُدعى بنو هدل، وليسوا من بنى قريظة ولا من بنى النضير، ولم يدرك سعية الإسلام فهو جاهلي، ولكن ولديه ثعلبة وأسيد أسلما وحسن إسلامهما، وقد توفيا في حياة رسول الله [. وتذكر كتب التراجم شخصًا آخر اسمه سعية بن العريض بن السموأل ابن عادياء، وهذا رجل مسلم عَمَّر طويلًا وكانت وفاته في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان، وهذا التشابه في الاسمين أوقع عددًا من المؤرخين والكتَّاب في اشتباه فخلطوا بين الاثنين. راجع الجزء الثالث من كتاب «البيان والتبيين».

وذكر الأستاذ القصيدة المنصفة التي يصف بها العدو عدوَّه فينصفه بذكر بأسه وشدته قال:

ثلاثة أبيات من القصيدة منسوبة إلى الأسفع بن الغدير في «الوحشيات» وهو ليس بيهودي، روى منها أبو تمام في «الوحشيات» عدة أبيات. وذكر ابن سلام الجحمي في «طبقات فحول الشعراء» سعية وأثبت له قصيدة «السفر الأول» (ص٢٨٥).

وكان رسول الله ﷺ إذا دخل على عائشة رضي الله عنها قال لها: **«هاتي**

أبياتك» فتقول بيتين من الأبيات الواردة في «الوحشيات» هما:

ارفع ضعيفك لا يَحُر بك ضعفه يومًا فتدركه العواقب قد نما
يجزيك أو يُثني عليك، وإنَّ مَنْ يُثني عليك بما فعلت فقد جزا

وعدد ما ورد في «الوحشيات» اثنا عشر بيتًا.

وهذه هي أبيات الأصمعية رقم (٢٢):

١ ـ ألا إنـــي بـــلـــيـــت وقـــد بـــقـــيـــتُ
وإنـــي لـــن أعـــود كـــمـــا غـــنـــيـــت

ورد في «المؤتلف والمختلف»: «وإني أن أعود كما غنيت» وهو خطأ، وهو يريد بهذا البيت أنه كبير في السن جدًا، ولن يعود له شبابه.

٢ ـ فـــإن أودى الـــشـــبـــاب فـــلـــم أضِـــعْـــه
ولـــم أتـــكِـــلْ عـــلـــى أنّـــي غـــذيـــت

(أودى): مضى، أتكِلْ: أصلها أتَّكل.

٣ ـ إذا مـــا يـــهـــتـــدي حـــلـــمـــي كـــفـــانـــي
وأســـأل ذا الـــبـــيـــان إذا عـــيـــيـــت

وجاء في «المؤتلف والمختلف»: «حلمى نهائي» وهو خطأ.

٤ ـ ولا ألـــحـــى عـــلـــى الـــحـــدثـــان قـــومـــي
عـــلـــى الـــحـــدثـــان مـــا تُـــبـــنـــى الـــبـــيـــوت

أراد بـ**(الحدثان)**: ما ينزل بقومه من المصائب، وأنهم يعرضون أنفسهم للحروب فتقتل كثرتهم، وتفنى بيوتهم، **(لا ألحى)**: لا ألوم.

٥ ـ أُسـا يـر مـعـشـري فـي كـل أمـرٍ
بـأيـسـر مـا رأيـت ومـا أُريـت

(**أساير معشري**): أجاري جماعتي، واتبع معهم أيسر الأمور.

٦ ـ وداري فـي مـحـلـهـمُ ونـصـري
إذا نـزل الألـدُّ الـمـسـتـمـيـت

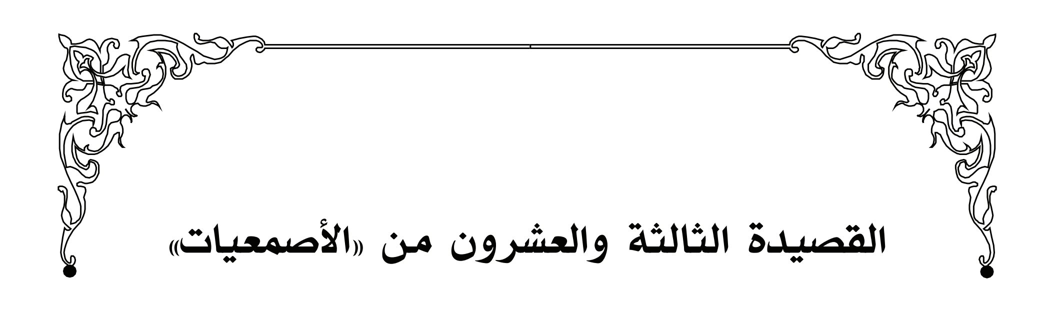
(**الألد**): العدو، الذي لا يرضخ للحق.

٧ ـ وأجـتـنـب الـمـقـاذع حـيـث كـانـت
وأتـرك مـاهـويـت لـمـا خـشـيـت

(**المقاذع**): الأمور الفاحشة قولًا وفعلًا، وهو يترك ما يهوى من الأمور إذا كان يخشى عواقبها.

هنا ينتهي الدرس الخاص بهذه الأصمعية، وكان ذلك في أول يوم من شهر فبراير لسنة (١٩٥٨م)، وفي اليوم نفسه درسنا القصيدة اللاحقة لها وهي رقم (٢٣).





القصيدة الثالثة والعشرون من «الأصمعيات»

تحدث الأستاذ في البداية عن هذه القصيدة وهي إحدى قصائد السموأل بن عاديًا، وهو أخو سعبة الذي مرت بنا قصيدة له. فقال إن هذه القصيدة مذكورة في ديوان السموأل، وأنها هنا؛ يعني: في «الأصمعيات» مضطربة الترتيب. وهذا الشاعر معروف بشعره وبتاريخ حياته، ويكفيه ما سجله الأعشي في إحدى قصائده المشهورة حين قال عنه:

كن كالسموأل إذ طاف الهمام به   في جحفل كسواد الليل جرار

وقصيدة السموأل مذكورة بصورة مجزأة في عدد من الكتب منها: «لسان العرب»، و«طبقات فحول الشعراء» و«حماسة البحتري»، و«نوادر أبي زيد» و«المخصص» وغيرها.

يذكر هذا الشاعر في قصيدته بداية حياته منذ كان نطفة، ثم يعلن أنه يدري أن مصيره إلى الموت وهو مصير كل حي، وهو يعتذر عن غياب حِلمه في هذه السن التي كتب فيها القصيدة، فقد كبر وفقد كثيرًا من أناته التي كان يفخر بها. لقد كان ميالًا إلى الصفح والعفو، ولكنه الآن غير ذلك. وهو يخشى يوم القيامة ويدعو إلى الاعتبار بمن مضى في الأولين الذين ذهب ملكهم، وأشار إلى أن الأرزاق بيد الله يصرفها كيف يشاء.

وهنا نبدأ بالقصيدة:

١ ـ نــطــفــة مــا مُــنِــيــتُ يــوم مــنــيــت
أُمـــرتْ أمـــرهـــا وفـــيـــهـــا وُبـــيـــت

يقول: (**منيت نطفة**)؛ أي: قدرت كذلك، و(**بيت**): معناها وبئت؛ أي: هُيِّئت. وروي: «بريت»: برئت؛ أي: خلقت، وفي رواية «اللسان»: «ربيت».

٢ ـ كـــنَّـــهـــا الله فـــي مـــكـــان خَـــفـــيٍّ
وخـــفـــيٌّ مـــكـــانـــهـــا لـــو خـــفـــيـــت

وفي «اللسان» جاء البيت هكذا:

كنَّها اللَّه تحت ستر خفيٍّ فتخافيت تحتها فخفيت

٣ ـ أنـــا مـــيْـــت إذ ذاك ثـــمَّـــت حـــيٌّ
ثـــم بـــعـــد الـــحـــيـــاة لـــلـــبـــعـــث مـــيـــت

ويروى: «في ذاك» واللام في (**للبعث**) بمعنى حتى.

٤ ـ إنّ حـــلـــمـــي إذا تـــغـــيَّـــب عـــنـــي
فـــاعـــلـــمـــي أنـــنـــي كـــبـــيـــرًا رُزيـــت

يروى: «فاعلمى أننى عظيمًا رزيت».

«طبقات فحول الشعراء».

أي: (**رزئت**) بمعنى: أصبت. (**كبيرًا**): بأمر كبير.

٥ ـ فـــاجـــعـــلـــنْ رزقـــيَ الـــحـــلال مـــن الـــكـــس
ـــب، وَبِـــرًّا ســـريـــرتـــي مـــا حـــيـــيـــت

وفي «ديوانه»:

فـاجـعـل الـرزق فـي الـحـلال مـن الـكـس

ـب وبـــــــرًا.................................

٦ ـ ضـيِّـقُ الـصـدر بـالـخـيـانـة لا يـن

ـقُـضُ فـقـري أمـانـتـي مـا بـقـيـت

يروي في «ديوانه» وشرح شواهد العيني على هامش «خزانة الأدب»: «لا يفجع فقري».

٧ ـ رب شـتـم سـمـعـتـه فـتـصـامـم

ـت، وغَـيٍّ تـركـتـه فـكُـفـيـت

يروى: **(كم فضيع سمعته)** في «طبقات فحول الشعراء».

٨ ـ لـيـت شـعـري وأشـعـرنَّ إذا مـا

قـيـل إقْـرأ عـنـوانَـهـا وقـريـت

يروى: «إذا ما قربوها منشورة ودعيت».

(ليت شعري): ليتني أشعر، وأحس بما سوف يحدث في يوم القيامة عندما تُقَرب صحيفتي إليَّ. هل هي من جانبي أم هي عليّ؟

٩ ـ ألـيَ الـفـضـل أم عـلـيَّ إذا حـو

سـبـت إنـي عـلـى الـحـسـاب مُـقـيـت

معناها: إني على الحساب موقوف، وفي «اللسان» كذلك وفي رواية: «ربي على الحساب مقيت» والمقيت: الحافظ فكأن معناه إنني أعرف ما عملت من خير أو شر. ولكن المعنى الأول جيد، هو كغيره موقوف للحساب.

١٠ ـ مَيْتُ دهر قد كنت ثم حييت
وحياتي رهن بأنْ سأموت

ويروى: «إنني كنت ميتًا فحييت».

١١ ـ وأتتني الأنباء أني إذا ما
مُتُّ أو رَمَّ أعظمي مبعوت

(رمَّ أعظمي): بليت، (مبعوت) هي: مبعوث بالثاء.

١٢ ـ هل أقولنَّ إذ تدارك حلمي
وتداكًا عليَّ إني دُهيت

(دهيت): بمعنى خُتلت وخدعت، ويروى: «إذا تدارك ذنبي»، وتدارك معناها: تتابع، (تداكًا): تدافع.

١٣ ـ أبفضل من المليك ونعمى
أم بذنب قدَّمْتُهُ فَجُزيت

١٤ ـ ينفع الطيّبُ القليلُ من الرز
ق، ولا ينفع الكثير الخبيت

وفي «حماسة أبى تمام» و«حماسة البحتري»:

ينفع الطيب الحلال من الكسب، ولا ينفع الكثير الخبيت

(الخبيت): هو الخبيث قلب الثاء إلى تاء كما فعل في (مبعوث) في البيت الحادي عشر.

١٥ ـ وأتتني الأنباء عن مُلكِ
داو ودَ، فقرَّتْ عيني به ورضيت

١٦ ـ لـيـس يُـعـطـى الـقـوي فـضـلًا مـن الـر
زق ولا يُـحـرم الـضـعـيـف الـخـتـيـت

في «اللسان»: «السخيت» وهو المهزول والشخيث كذلك، فضلًا: زيادة. و(**الختيت**): هو الخسيس من كل شيء.

١٧ ـ بـل لـكـلٍّ مـن رزقـه مـا قـضـى الـلّـه
وإن حـك أنـفـه الـمـسـتـمـيـت

رواه أبو زيد في نوادره: «ولكل من رزقه...».

كما روى باقي البيت هو والبحتري: «وإن حزَّ أنفه» المستميت: استمات الرجل إذا ذهب في ابتغاء الشيء كل مذهب، و(**المستميت**): الملحّ في طلب الرزق.

هذا وقد رتبها الأستاذ كما يلي بحسب الأرقام الواردة في المطبوعة: (**١، ٢، ٣، ١٠، ١١، ٨، ٩، ١٣، ١٢، ٤، ٧، ٦، ١٦، ١٧، ١٤، ٥، ١٥**).

وأضاف إليها من ديوان الشاعر أربعة أبيات هي:

١٨ ـ وسـلـيـمـان والـحـواري يـحـيـى
ومـنـى يـوسـفٍ كـأنـي ولـيـت

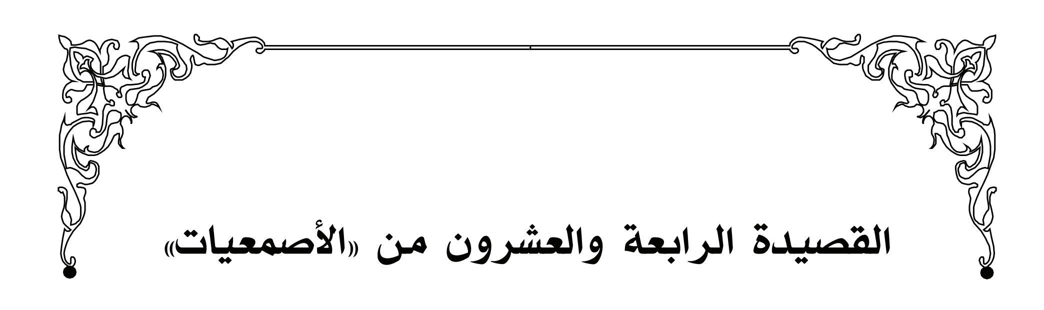
١٩ ـ وبـقـايـا الأسـبـاط أسـبـاط يـعـقـو
ب دِراس الـتـوراة، والـتـابـوت

٢٠ ـ وانـغـلاق الأمـواج طـوريـن عـن مـو
سـى، وبـعـد، الـمـمـلّـك الـطـالـوت

٢١ ـ **ومــصــاب الأفــريــس حــيــن عــصــا**
الــلَّــه، وإذ صــاب حــيــنــه الــجــالــوت

وكانت كلمة (**منى**) في البيت رقم (١٨) بالتاء (متى) فصححها شيخنا، وصحح (دراس) في البيت رقم (١٩) فجعله (دارسو). ولم نجد **للـ(إفريس)** ما يدل عليه.





القصيدة الرابعة والعشرون من «الأصمعيات»

هذه هي قصيدة الشاعر عامر بن الحارث بن رباح، الذي يطلق عليه لقب: أعشى باهلة، وباهلة هي القبيلة التي ينتمي إليها، وهو شاعر جاهلي مُجيد، عده ابن سلام الجمحي في طبقة الشعراء أصحاب المراثي بسبب قصيدته العالية التي قالها في رثاء أحد بني باهلة، وهو المنتشر بن وهب الباهلي ومطلعها:

قــد جــاء مــن عَــلُ أنــبــاء أنَــبَّــؤهــا
إلــيَّ لا عــجــب مــنــهــا ولا سُــخُــرُ

بدأنا دراسة هذه القصيدة على شيخنا في اليوم الرابع من شهر فبراير لسنة (١٩٥٨م) وقد بدأ ذلك بقوله:

تنسب هذه القصيدة لدعجاء بنت المنتشر، كما تنسب لليلى بنت المنتشر وكل واحدة منهما أخت للمرثي.

وردت القصيدة بتمامها في عدة كتب منها أمالي اليزيدي (ص١٣)، وكتاب «المكاثرة» للطيالسي (ص١٣)، وفي كتاب «مراثي شواعر العرب» (ص١١٨)، وفي ديوان الأعشيين بتمامها منقولة من عدة مصادر كاملة، وفي «الكامل» للمبرد (٢٣) بيتًا، وفي مختارات ابن الشجري (ص٣٢)، وقد روى ابن الشجري مطلعها كما يلي:

إنـي أتـتـنـي لـسـان لا أسَـرُّ بـهـا   من عَلْوَ لا عجبٌ منها ولا سَخَرُ

وقال: علو: أعلى، واللسان: الرسالة، وهو لا يعجب لها؛ لأن مصائب الدنيا كثيرة، ولا يسخر منها لأنه لا سخر من الموت. وكذلك: لا سُخُر؛ أي: لا يُستهان بها.

هذا والمنتشر القتيل هو أخو الشاعر لأمه؛ ولذا فقد كان قوي التعبير عن الموقف، واستحقت قصيدته أن تكون من عيون شعر الرثاء عند العرب.

تحدث في القصيدة كما رأينا عن وصول الخبر المفزع إليه وكيف تلقاه، ثم وصف القتيل وذكر مواقفه في أوقات الحاجة عندما تجدب الأرض، وتعم الأزمات، بل وذكر أن إبله شديدة الفزع منه لكثرة ما ينحر منها، وذكر قدراته المختلفة في ركوب الخيل وخوض المعارك، ومخاطرته في الأسفار عبر البوادي، وختمها بقوله إن المنتشر كان لقومه رأسًا، وكان شهابًا يضيء لهم في الظلمات.

وقد بدأ الأستاذ الشرح هكذا مؤكدًا كثرة الروايات للقصيدة، مبينًا الزيادات الواردة على ما ذكرته «الأصمعيات» من أبيات، دالًا على ضرورة إعادة ترتيبها وفقًا للروايات والزيادات التي جمعها إثر دراسته الواسعة التي أجراها بهذا الشأن:

١ ـ هـاج الـفـؤادَ عـلـى عـرفـانـه الـفِـكَـرُ
وَزَوْرُ مـيْـتٍ عـلـى الأيـام مـهـتـصـرُ

٢ ـ قـد كـنـت أعـهـدهُ والـدار جـامـعـة
والـدهـر فـيـه ذهـاب الـنـاس والـغِـيَـرُ

٣ ـ إذ نحن نُنْبَأ أخبارًا نُكذبها
وقد أتانا وإن كَذَّبتُهُ الخبر

هذه الأبيات الثلاثة وردت في ديوان الأعشى والأعشيين.

(**مهتصر**): يقصد أنه ميت، كما يسقط الغصن من على الشجرة.

٤ ـ وهو البيت الأول من المطبوعة:

قد جاء من علُ أنباءٌ أنَبَّؤُها
إلىَّ لا عجبٌ منها ولا سُخُرُ

وقد وردت رواية ابن الشجري لهذا البيت فيما سبق وهي:

«إني أتتني لسانٌ لا أسَرُّ بها»

وكذلك في «جمهرة أشعار العرب» للقرشي. وفي «أمالى المرتضى».

٥ ـ وهذا البيت غير وارد في المطبوعة:

جاءت مرجّمة قد كنت أحذرها
لو كان ينفعها الإشفاق والحذرُ

مرجمة: غير مؤكدة

٦ ـ وهذا البيت غير وارد في المطبوعة:

إذا يعادلها ذكرٌ أكذبه
حتى أتتني بها الأنباء والخَبرُ

٧ ـ وقد ورد في أمالي ابن الشجري:

فــبــتُّ مــرتــفــقًــا حــيــران أنــدبــه
وكــنــت أحــذره لــو يــنــفــع الــحــذر

وورد في المطبوعة، وهو البيت الثاني منها:

فــظــلــت مــرتــفــقًــا لــلــنــجــم أرقــبــه
حــرَّانَ مــكــتــئــبًــا لــو يــنــفــع الــحــذر

٨ ـ وهو البيت الثالث في المطبوعة:

وجــاشــت الــنــفــس لــمــا جــاء جــمــعــهُــمُ
وراكــبٌ جــاء مــن تــثــلــيــتَ مــعــتــمــرُ

يروى: «فجاشت»: ويروى: «بدلًا من جمعهم»؛ فلُّهُمُ. **(تثليت)**: موضع في الحجاز، و**(معتمر)**: زائر. و**(جاشت النفس)**: هاجت وتحركت.

٩ ـ وهو البيت الرابع من المطبوعة:

يــأتــي عــلــى الــنــاس لا يــلــوي عــلــى أحــد
حــتــى الــتــقــيــنــا وكــانــت دونــنــا مُــضَــرُ

(لا يلوي): لا ينعطف أو يميل.

وفي «جمهرة أشعار العرب»: «تأتي» و«حتى أتتنا».

١٠ ـ البيت الخامس في المطبوعة:

إن الــذي جــئــت مــن تــثــلــيــثَ تــنــدبــه
مــنــه الــســمــاح ومــنــه الــنَّــهــيُ والــغِــيَــر

(تندبه): تبكي عليه وتعدد محاسنه، **(الغِيَر)**: الأحداث.

١١ ـ البيت السادس في المطبوعة:

نــعــيــت مــن لا تُــغــبُّ الــحــي جــفــنــتــه
إذا الــكــواكــب أخــطــا نــوءهــا الــمــطــر

ورواية «الجمهرة»: «نعي امرأ لا تغب».

(تغب): تأتي يومًا وتنقطع يومًا؛ أي: أن جفنته لا تنقطع يومًا طوال السنة، و**(الجفنة)**: إناء كبير كانوا يضعون فيه الطعام، **(الأنواء)**: اختلاف النجوم طلوعًا وأفولًا وهم يربطون بين ذلك والمطر.

ويروى: «إذا الكواكب خوَّى نوءها» يقال: خَوَت النجوم وأخوت وخوَّت إذا سقطت ولم تمطر.

١٢ ـ وهو البيت السابع من المطبوعة:

وراحــت الــشــول مُــغــبــرًّا مــبــاءتــهــا
شــعــثًــا تَــغَــيَّــر مــنــهــا الــنــيَّ والــوبــر

(الشول): التي مر على حملها سبع شهور، فقل لبنها، واغبرار المناكب للهزال، و**(النيِّ)**: الشحم.

١٣ ـ البيت الثامن في المطبوعة:

وأجــحــر الــكــلــب مــوضــوعُ الــصــقــيــع بــه
وألــجــأ الــحــيَّ مــن تــنــفــاحِــهِ الــحُــجَــرُ

يروى: «مبيضّ الصقيع به» و«من شنآنه الحجر» الشنآن: الريح

الباردة. (**أجحر الكلب**): أدخله جحره، (**تنفاحه**): شدة دفعه، ورواية «أمالي المرتضى»: «وألجأ الكلب».

١٤ ـ وهو البيت الحادي والعشرون من المطبوعة:

مهفهف أهضم الكشحين منخرق
عنه القميص لسير الليل مُحتَقَرُ

(**هفهف الرجل**): إذا مشق بدنه فصار كأنه غصن يميد، الـ(**أهضم**): الهضم قلق انجفار الجنبين بسبب لطافتهما، والعرب تفضل الهزال وتذم السمن. (**الانجفار**): الاتساع.

١٥ ـ وهو البيت العشرون من المطبوعة:

طاوي المصير على العزَّاء منصلت
بالقوم ليلة لا ماءٌ ولا شجرُ

(**المصير**): واحد المصران وهي الأمعاء؛ يعني: أنه ضامر البطن جوعًا، (**العزَّاء**): الشدة، (**منصلت**): ماض في قضاء الحوائج.

١٦ ـ وهذا البيت غير موجود في الأصل:

يمشي ببيداء لا يمشى بها أحد
ولا يُحس سوى الخافي بها أثر

(**الخافي**): الجن.

١٧ ـ وهو البيت الخامس والعشرون في المطبوعة:

كأنه بعد صدق القوم أنفسهم
باليأس يلمع من قدامه البُشُر

(**البشر**): جمع بشير، يقول إنه إذا فزع الناس قام بهم وكأنه بشير يبشرهم بالظفر والنصر.

١٨ ـ وهو البيت الثامن عشر من المطبوعة:

لا يــغــمــز الــســاق مــن أيْــنٍ ومــن وصــب
ولا يَــعَــضُّ عــلــى شــرســوفــه الــصَّــفــر

الــ(**أيــن**): الـتـعـب، والــ(**وصــب**): الألـم وشـدة الـتـعـب، (**الشرسوف**): رأس الضلع مما يلي البطن، و(**الصَّفر**): قالوا: إنه دابة تعض شراسيفه عند شدة الجوع.

ويروى: «ولا يزال أمام القوم يقتفر» الاقتفار: طلب المخرج من القفار، والإيغال فيها للوصول إلى المخرج منها.

١٩ ـ وهو البيت التاسع من المطبوعة:

عــلــيــه أول زاد الــقــوم إنْ نــزلــوا
ثــم الــمــطــي إذا مــا أرمــلــوا جــزروا

(**الجزر**): النحر للذبائح، و(**الجزور**): المعدَّة للنحر.

٢٠ ـ وهو البيت العاشر من المطبوعة:

لا تــأمــن الــبــازلُ الــكــومــاءُ ضــربــتــه
بــالــمــشــرفــي إذا مــا اخــرَوَّط الــســفــر

(**البازل**) هي الناقة التي أكملت السنة الثامنة ودخلت في التاسعة، (**الكوماء**): ذات السنام العظيم، (**المشرفي**:) السيف، (**اخروَّط**): امتد.

٢١ ـ وهو البيت الحادي عشر من المطبوعة:

وتــفــزع الــشــول مــنــه حــيــن يــفــجــؤهــا
حــتــى تَــقــطَّــعَ فــي أعــنــاقــهــا الــجِــرَرُ

(**الجرر**): جمع جرَّة وهي ما يجتره الجمل أو الناقة.

٢٢ ـ وهو البيت السادس والعشرون من المطبوعة:

لا يــعُــجِــلُ الــقــومَ أن تــغــلــي مــراجــلــهــم
ويــدلــج الــلــيــل حــتــى يــفــســح الــبــصــر

(**المراجل**): جمع مرجل وهو ما يطبخ به، و(**الإدلاج**) سير الليل كله، (**يفسح**): يتسع؛ أي: يظهر النهار فيتسع مدى الإبصار.

٢٣ ـ وهو البيت التاسع عشر من المطبوعة:

لا يــتــآرَّى لــمــا فــي الــقــدر يــرقــبــه
ولا يــزال أمــام الــقــوم يُــقْــتَــفَــر

(**يتآرى**): يتخفَّى، (**الاقتفار**): اتباع الأثر. مدحه بأن همته ليست في المأكل والمشرب.

٢٤ ـ وهو البيت الرابع والعشرون في المطبوعة:

تــكــفــيــه حُــزَّةُ فــلــذٍ إن ألــمَّ بــهــا
مــن الــشــواء، وَيُــرْوي شُــربــه الــغُــمَــرُ

(**تكفيه**) قطعة صغيرة من اللحم، ويكفيه ـ أيضًا ـ أن يشرب بالغمر وهو القدح الصغير.

٢٥ ـ وهو البيت السادس عشر من المطبوعة:

أخو حروب ومكساب إذا عَدِموا

وفي المحافل منه الجِدُّ والحذر

يروى: (**أخو شروب**): ويروى أيضًا: وفي المخافة. والمكساب الذي يكتسب، والعدم ضد الاكتساب.

٢٦ ـ البيت الثالث والثلاثون من المطبوعة:

ورّاد حربٍ شهابٌ يُستضاء به

كما يضيء سوادَ الطخية القمر

ويروى: «مروى حروب»: شهاب يستضاء به: يقذف به في كل مُلمَّة. (**الطخية**): الظلمة الشديدة المتراكمة.

٢٧ ـ غير موجود في المطبوعة:

السالك الثغر والميمون طائره

سم العداة لمن عاداه مشتجرُ

(**مشتجر**): هي من تداخل الشجر، وكل اشتباك هو: اشتجار، و(**شَجَرَ**): طعن بالرمح.

٢٨ ـ غير موجود في المطبوعة:

تلقاه كالكوكب الدّريِّ مُنصلتًا

بالقوم ليلة لا نجمٌ ولا قمرُ

ورد هذا البيت في «مختارات ابن الشجري» (ص**٣٩**).

(**المنصلت**): الماضي في سبيله إلى الأمر الذي يريد.

٢٩ ـ وهو البيت الثالث والعشرون في المطبوعة:

لا يــأمــن الــنــاس مُــمْــســاهُ ومُــصْــبَــحَــهُ
مــن كــل فــجٍّ إذا لــم يــغــزُ يُــنــتــظــر

٣٠ ـ وهو البيت الثاني عشر في المطبوعة:

لــم تُــرَ أرضٌ ولــم يَــســمــع بــهــا أحــد
إلا بــهــا مــن نــوادي وقــعــه أثَــرُ

(**نوادي**): يقال: ما ندي لي منه شيء؛ أي: ما نالني منه شيء، والنوادي هنا هي المصائب التي ينديهم ويصيبهم بها.

٣١ ـ ليس في المطبوعة:

ضــخــم الــدســيــعــة مــتــلاف أخــو ثــقــة
حــامــي الــحــقــيــقــة مــنــه الــجــود والــفــجُــر

(**ضخم الدسيعة**): دسع البعير بِجِرَّتِهِ إذا دفعها مرة واحدة، ويراد: ضخم العطاء، يدفعه مرة واحدة، (**الفجر**): التفجر بالعطاء.

٣٢ ـ وهو البيت السابع عشر في المطبوعة:

أخــو رغــائــب يُــعــطــيــهــا ويُــســألُــهــا
يــأبــى الــظــلامــة مــنــه الــنــوفــل الــزُّفَــرُ

الـ(**رغائب**): العطايا، (**الظلامة**): الظلم، (**النوفل**): الكثير النوافل والمنح، (**الزفر**): الواسع العطاء كأنه البحر الذي يحمل كل ما يحمل.

٣٣ ـ وهو البيت الخامس عشر في المطبوعة:

مــن لــيــس فــي خــيــره شــر يُــكــدِّره
عــلــى الــصــديــق ولا فــي صــفــوه كــدَرُ

٣٤ ـ وهو البيت الثالث عشر في المطبوعة:

ولــيــس فــيــه إذا اســتــنــظــرتــه عَــجَــلٌ
ولــيــس فــيــه إذا يــاســرتــه عَــسَــرُ

٣٥ ـ وهو البيت الثاني والعشرون من المطبوعة:

لا يُــصــعِــبُ الأمــر إلا ريــث يــركــبــه
وكــل أمــر ســوى الــفــحــشــاء يــأتــمــر

(**أصعب الأمر**): وجده صعبًا، (**ريث**): قَدْر، (**يأتمر**): تأمره نفسه بفعل الأمر ما لم يكن من أمور الفحش.

٣٦ ـ غير موجود في المطبوعة:

لا يــهــتــك الــســتــر عــن أنــثــى يــطــالــعــهــا
ولا يَــشُــدُّ إلــى جــاراتــه الــنــظــر

لا يحدد النظر إليهن.

٣٧ ـ وهو البيت الثلاثون من المطبوعة:

أصــبــت فــي حــرم مــنــا أخــاثــقــة
هــنــدَ بــن أســمــاء لا يــهــنــأ لــك الــظــفــر

(**في حرم منا**): يقصد في مقر الصنم الذي يعبدونه، وهو ذو الخلصة، و(**هند بن أسماء**): هو قاتل المنتشر، وكان هذا قد أسره من قبل فأحب أن يثأر منه فقتله.

٣٨ ـ وهو البيت الثاني والثلاثون من المطبوعة:

لـو لـم تَـخُـنْـهُ نُـفـيـل، وهْـي خـائـنـة
ألـــمَّ بـــالـــقـــوم ورد مـــنـــه أو صَـــدَرُ

(**نفيل**): هم بنو نفيل أعداء المنتشر القتيل.

٣٩ ـ وهذا البيت ليس في المطبوعة:

وأقـبـل الـقـوم مـن تـثـلـيـثَ مـصـغـيـة
وَضَـــمَّ أعـــيـــنـــهـــا رغـــوان أو حـــضـــر

٤٠ ـ وهذا البيت ليس في المطبوعة:

إن تـقـتـلـوه فـقـد يـسـبـي نـسـاءكـمُ
وقـــد يـــكـــون لـــه الـــمـــعـــلاة والـــخـــطـــر

٤١ ـ وهو البيت الثامن والعشرون من المطبوعة:

فـإن جـزعـنـا فـقـدهـدَّت مـصـيـبـتُـنـا
وإن صـــبـــرنـــا فـــإنـــا مَـــعْـــشَـــرٌ صُـــبُـــرُ

٤٢ ـ وهو البيت السابع والعشرون من المطبوعة:

عـشـنـا بـذلـك دهـرًا ثـم فـارقـنـا
كـــذلـــك الـــرمـــح ذو الـــنـــصـــلـــيـــن يـــنـــكـــســـر

يتكون الرمح من السنان وهو النصل، و(**الزج**): وهو حديدة أسفل الرمح وقد جمعهما فقال: (**ذو النصلين**).

ويروى: «عشنا به برهة صلت». والصلت: هو الخفيف الماضي في حوائجه.

٤٣ ـ وهو البيت الرابع عشر من المطبوعة:

إما يصبْك عدو في مناوأة
يومًا فقد كنت تستعلي وتنتصرُ

(**المناوأة**): الحرب.

٤٤ ـ وهو غير موجود في المطبوعة:

فنعم ما أنت عند الخير تسأله
ونعم ما أنت عند الباس يُحتضر

٤٥ ـ وهو البيت التاسع والعشرون من المطبوعة:

إني أشد حزيمي ثم يدركني
منك البلاء ومن آلائك الِّذكَرُ

(**الحزيم**): موضع الحزام من الصدر والظهر كله، و(**الذكر**): جمع ذكرة

٤٦ ـ وهو غير موجود في المطبوعة:

يقبّلون ترابًا عند أعظمة
كما يُقبل عند الكعبة الحجر

٤٧ ـ وهو البيت الحادي والثلاثون من المطبوعة:

إمَّا سلكت سبيلًا كنتَ سالكها
فاذهب فلا يبعدنك الله منتشر

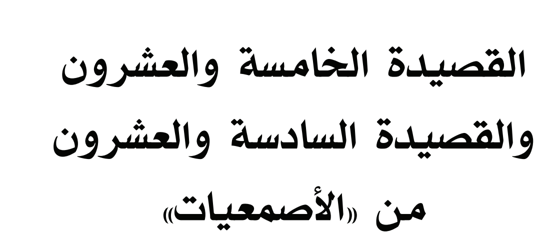
هذه هي أبيات القصيدة وتخريجاتها كما وردت في الكتب التي ذكرت عددًا وافرًا من أبياتها، وفي بعضها روايات لا تخرج عن الأصل.

الترتيب بحسب الدرس	«الأصمعيات»	«جمهرة أشعار العرب»	«مختارات ابن الشجري»	«أمالي المرتضي»
١ ـ هاج الفؤاد	-	-	-	-
٢ ـ قد كنت أعهده	-	-	-	-
٣ ـ إذ نحن نُنبؤ	-	-	-	-
٤ ـ قد جاء من علو	١	١	١	١
٥ ـ جاءت مرجمة	-	٢	-	-
٦ ـ إذا يعادلها	-	٤	-	-
٧ ـ فبت مكتئبًا	٢	٥	٢	٢
٨ ـ وجاشت النفس	٣	٦	٣	٣
٩ ـ يأتي على الناس	٤	٣	٤	٤
١٠ ـ إن الذي جئت	٥	٧	٥	٥
١١ ـ نعيت من لا تغب	٦	٨	٦	٦
١٢ ـ وراحت الشول	٧	٩	٧	٧
١٣ ـ وأحجر الكلب	٨	١٠	-	٨
١٤ ـ مهفهف أهضم	٢١	٢٢	١٧	١٨
١٥ ـ طاوي المصير	٢٠	٢٤	١٠	١٩
١٦ ـ يمشي ببيداء	-	١٦	-	-
١٧ ـ كأنه بعد صدق القوم	٢٥	١٧	٢٣	٢٦
١٨ ـ لا يغمر الساق	١٨	٢٩	١٥	٢٢
١٩ ـ عليه أول زاد القوم	٩	١١	٨	٩
٢٠ ـ لا تأمن البازل	١٠	١٢	١١	٢٥
٢١ ـ لا يعجل القوم	١١	١٣	١٢	١٠
٢٢ ـ لا يعجل لقوم	٢٦	٢٨	-	٢٧
٢٣ ـ لا يتأرَّى	١٩	٢٥	١٤	٢١
٢٤ ـ تكفيه حُزَّة	٢٤	٢٦	١٣	٢٤
٢٥ ـ أخو حروب	١٦	٢٠	٢٠	١٦
٢٦ ـ وراد حرب	٣٣	-	٢٦	١٧
٢٧ ـ السالك الثغر	-	-	-	-
٢٨ ـ تلقاه كالكواكب	-	٢٧	١٨	-
٢٩ ـ لا يأمن الناس	٢٣	-	٢٢	٢٣

الترتيب بحسب الدرس	«الأصمعيات»	«جمهرة أشعار العرب»	«مختارات ابن الشجري»	«أمالي المرتضي»
٣٠ ـ لم تُر أرض	١٢	٢٣	ـ	١٢
٣١ ـ ضخم الدسيعة	ـ	١٤	ـ	ـ
٣٢ ـ أخو رغائب	١٧	١٥	٢١	١١
٣٣ ـ من ليس في خيره	١٥	١٨	٩	١٥
٣٤ ـ وليس فيه	١٣	ـ	٣٠	١٣
٣٥ ـ لا يُصعب الأمر	٢٢	ـ	١٦	٢٠
٣٦ ـ لا يهتك الستر عن أنثى	ـ	٣٢	ـ	ـ
٣٧ ـ أصبت في حرم	٣٠	٣٤	٢٥	٢٩
٣٨ ـ لو لم تخنهُ نفيل	٣٢	ـ	٢٤	٣٠
٣٩ ـ وأقبل النوم من تثليت	ـ	٣٥	ـ	٣١
٤٠ ـ إن تقتلوه فقد	ـ	٣٣	ـ	ـ
٤١ ـ فإن جزعنا	٢٨	٣٠	٢٨	ـ
٤٢ ـ عشنا بذلك	٢٧	١٩	١٩	٣٢
٤٣ ـ إما يصبْك	١٤	٣١	٢٧	٢٨
٤٤ ـ فنعم ما أنت	ـ	ـ	ـ	١٤
٤٥ ـ إني أشد حزيمي	٢٩	ـ	ـ	ـ
٤٦ ـ يقبلون ترابًا	ـ	٣٦	ـ	ـ
٤٧ ـ أمَّا سلكت سبيلًا	٣١	ـ	٢٩	ـ

الأبيات: «مجموع الدراسة» **٤٧**، «مجموع الأصمعيات» **٣٣**، «مجموع الجمهرة» **٣٦**، «مجموع ابن الشجري» **٣٠**، «أمالي المرتضى» **٣٢**.





القصيدة الخامسة والعشرون
والقصيدة السادسة والعشرون
من «الأصمعيات»

هذه القصيدة كما درسناها على أستاذنا مكونة من جزأين، أحدهما ورد في «الأصمعيات» لكعب بن سعد الغنوي، والثاني لغُريقة بن مسافع العبسي. وارتباط القصيدتين واضح، بل إننا لنرى القسم الأول الذي تمثله الأصمعية رقم (٢٥) ينبغي أن يكون لاحقًا للقسم الثاني الذي تمثله الأصمعية رقم (٢٦)، وليس للقصيدة التي تضم قصيدتي «الأصمعيات» إلا هذا الترتيب، وهو ترتيب ارتضاه الأستاذ ودلت عليه المراجع.

كعب بن سعد الغنوي يرثي في هذه القصيدة أخاه أبا المغوار وهو مأرب بن سعد الغنوي.

وذكر أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني في كتابه «معجم الشعراء» كعب بن سعد الغنوي، وأورد نسبه، وذكر أنه كان يُقال له: كعب الأمثال لكثرة ما يرد في شعره من الأمثال الدالة على حكمته وفهمه للحياة. وذكر أن مرثيته التي يرثي بها أخاه أبا المغوار هي إحدى مراثي العرب المشهورة، وذكر منها:

لقد كان أما حلمه فمروح ... علينا وأما جهله فعَزَّيبُ

أخي ما أخي لا فاحش عند بيته ولا ورع عند اللقاء هيوب
هو العسل الماذي حلما ونائلا وليث إذا يلقى العدو غضوب

وختامها:

لعمركما إن البعيد الذي مضى وإن الذي يأتي غدًا لقريب

أما غريقة بن مسافع العبسي، فقد ذكر محققا «الأصمعيات» أنه شاعر مجهول، لم يجدا له ترجمة ولا ذكرًا، وأكدا أن الأصمعية رقم (٢٦) هي قصيدة كعب. وعلق الشيخ عبد العزيز الميمني على هذه القصيدة في كتاب «سمط اللآلي» فقال: إنها قد وردت في «الأصمعيات» باعتبارها قصيدة أنشأها غريقة بن مسافع العبسي، وقد تداخلت في قصيدة كعب تداخلًا قبيحًا، على أن قصيدة كعب قد دخلت فيها أبيات منحولة ليست له.

وردت القصيدتان على أنهما قصيدة واحدة في مراجع عدة منها: كتاب «الاختيارين» للأخفش الأصغر، و«خزانة الأدب»، و«جمهرة أشعار العرب»، و«مختارات ابن الشجري»، و«العقد الفريد»، و«منتهى الطلب»، و«الأمالي» وغيرها...

هذا وقد شذ القرشي في «جمهرة أشعار العرب» فسمَّى الشاعر: محمد بن كعب الغنوي وهذا غير صحيح.

وهذه هي القصيدة، وفق ما رتبها شيخنا وأملاها علينا نصًا وشرحًا، وقد اعتبر القصيدتين واحدة كما وردت في المراجع، ولم يُعر تقسيم الأصمعي لها إلى قصيدتين أي اهتمام:

١ ـ هذا البيت وارد في «جمهرة أشعار العرب» للقرشي:

تقول ابنة العَبْسي قد شبت بعدنا
وكل امرئٍ بعد الشباب يشيب

٢ ـ وهو البيت الثاني من القصيدة رقم (٢٦) من «الأصمعيات»:

فقلت ولم أعي الجواب ولم أُلح
وللدهر في صم السِّلام نصيب

(لم أعي): لم أعجز، **(ألح)**: أتبع الحذر، **(السلام)**: الحجارة الصلبة. وهو البيت الثاني في «الخزانة»، والثالث في «جمهرة أشعار العرب».

٣ ـ وهو البيت الثالث في رقم (٢٦):

تتابع أحداث تَخَرَّمْنَ إخوتي
وَشَيَّبن رأسي والخطوب تُشيب

وهو البيت الثالث في «الخزانة» والرابع في «الجمهرة».

(تخرمن): استأصلن، والتخرُّمُ من الخرم وهو أن يؤخذ الشيء من بين أشياء، واخترمته المنية: أخذته من بين أصحابه.

٤ ـ وهو غير موجود في «الأصمعيات»:

وما الشيب إلا غائب كان جائيًا
وما القول إلا مخطئ ومصيب

وورد هذا البيت في «جمهرة أشعار العرب» (ص٢٦٥). «كان جائيًا»: كان آتيا.

٥ ـ تقول سليمى ما لجسمك شاحبًا
كأنك يحميك الشراب طبيب

ويروي: «يحميك الطعام»، وهي أول بيت من القسم الثاني (القصيدة رقم ٢٦). (**يحميك**): من الحمية، يقول على لسانها: كأن الطبيب منعك من الطعام أو الشراب.

٦ ـ فقلت شجون من شؤون تتابعت
عليَّ كبار والزمان يريب

وليس هذا البيت في «الأصمعيات».

٧ ـ وهو البيت السادس عشر من القصيدة رقم (٢٦) في «الأصمعيات» والبيت السادس عشر في كتاب «خزانة الأدب»:

فإن تكن الأيام أحْسَنَّ مرة
إليَّ فقد عادت لهنَّ ذنوبُ

٨ ـ وهذا البيت غير موجود في «الأصمعيات»:

جمعن النوى حتى إذا اجتمع الهوى
صدعن العصا حتى القناة شعوب

(**النوى**): الافتراق، (**العصا**): الاجتماع.

٩ ـ وهذا البيت غير وارد في «الأصمعيات» ولكنه وارد في كتاب «خزانة الأدب»، وكتاب «مختارات ابن الشجري»:

لقد عجمتْ مني الحوادث ماجدًا

عروفًا لريب الدهر حين يُريب

ويروى: «صبورًا لريب الدهر»، ومعناهما واحد. **(عجمتَ)**: العود إذا عضضته لتعرف صلابته من رخاوته.

١٠ ـ وهذا البيت غير وارد في «الأصمعيات» المطبوعة، وهو وارد في «خزانة الأدب»:

إذا ذرَّ قرن الشمسِ عللتُ بالأسى

ويأوي إليَّ الحزن حين تغيب

أي: حين تغيب الشمس ويأتي الليل تلفني الأحزان.

١١ ـ وهو البيت الرابع من القصيدة **(٢٦)** في «الأصمعيات» المطبوعة:

أتى دون حلو العيش حتَّى أمرَّه

نُكوب على آثارهن نُكوبُ

أتت النكبات المتتابعة بعد

حلو العيش حتى جعلته مرًّا.

وذكر الشيخ أن **(النكب)** هو: الجرح، وأن الشاعر يقول: «أتت جراح بعد جراح».

١٢ ـ وهو البيت التاسع عشر في «الأصمعيات» المطبوعة **(٢٥)**:

وخبَّرتماني أنما الموت في

القرى فكيف وهاتا هضبة وقليب

وروي: «رملة وقليب». يقصد أن حادث الموت لم يكن في إحدى القرى، ولكنه كان في خارجها. ورواية «جمهرة أشعار العرب»: «وحدثتماني»، ثم «فكيف وهذا روضة».

١٣ ـ وهو البيت العشرون في «الأصمعيات» المطبوعة **(٢٥)**:

ومـــاء ســـمـــاء كـــان غـــيـــر مُـــخَـــمَّـــر
بـــبـــريَّـــة تـــجـــري عـــلـــيـــه جـــنـــوب

(غير مخمر): غير مغطى، الـ**(جنوب)**: ريح قادمة من الجنوب.

وذكر الشيخ رواية البيت عن «جمهرة أشعار العرب»، وهي:

ومـاء سـمـاء كـان غـيـر مـحـمَّـة   بـداويـة تـجـري عـلـيـه جـنـوب

و«المحمة» موضع الحمى؛ أي: أن هذا الماء غير محمى، وهو «بداوية»؛ أي: فلاة خالية.

١٤ ـ وهو البيت الحادي والعشرون من «الأصمعيات» المطبوعة **(٢٥)**:

ومـــنـــزلـــه فـــي دار صـــدق وغـــبـــطـــة
ومـــا اقـــتـــال مـــن حـــكـــم عـــلـــيّ طـــبـــيـــب

(اقتال): تحكم؛ أي: أنه لم يحتج إلى إرسال أخيه إلى الطبيب، والـ**(غبطة)**: النعمة التي يُغبط عليها المرء.

١٥ ـ وهو في الأصمعية المطبوعة رقم **(٢٦)**:

لـــعـــمـــري لـــئـــن كـــانـــت أصـــابـــت مـــصـــيـــبـــة
أخـــي، والـــمـــنـــايـــا لـــلـــرجـــال شَـــعـــوب

وروايـة «الجمهرة»: «أصابت منية»، والبيت مذكور أيضًا في «خزانة الأدب».

ومعنى (**شَعُوب**): مُفرِّقة.

١٦ ـ وهو البيت السابع عشر من المطبوعة (٢٥):

فـــإنــي لــبــاكــيــه وإنــي لــصــادق
عــلــيــه، وبــعــض الــبــاكــيــات كــذوب

ويروى: وبعض القائلين، وقد ورد البيت هكذا في «جمهرة أشعار العرب»، وذكره الأستاذ كذلك.

١٧ ـ وهو غير وارد في «الأصمعيات» المطبوعة:

ألا مــن لــقــبــر لا تــزال تــهُــجُّــه
شــمــال ومــســيــاف الــعــشــى جــنــوب

ريح (**مسياف**): تقطع كالسيف، (**تهجُّه**): تهدمه. وانظر: «الأمالي» لأبي علي القالي (٢/ ١٥٠).

١٨ ـ وهو غير وارد في «الأصمعيات» المطبوعة:

بــه هــرمٌ يــا ويــح نــفــسيَ مــن لــنــا
إذا طــرقــت لــلــنــائــبــات خــطــوب

(**طرقت**): حلت، النائبات: الحوادث السيئة، و(**الخطوب**): جمع خطب؛ وهو: المصيبة الحالة.

والبيت في «الأمالي» (٢/ ١٥٠).

كان مقدرًا له المجيء. أما (**هرم**): فهو نفسه أبو المغوار

شقيق الشاعر. وانظر تفصيل ذلك في: هامش «الأصمعيات» المطبوعة. وقد ورد في مرجع آخر أن اسمه (شبيب).

١٩ ـ وهذا البيت غير موجود في المطبوعة ولكنه وارد في «خزانة الأدب»، و«جمهرة أشعار العرب»:

كأنَّ بيوت الحي ما لم يكن بها
بسابس قفر ما بهن عريب

(البسابس): الأرض الخالية، و**(عريب)**: معناها: أحد؛ أي: أن بيوت الحي العامرة صارت خالية وكأنها أرض قفراء، وذلك عند رحيله.

٢٠ ـ وهذا هو البيت الثامن من المطبوعة رقم **(٢٥)**:

إذا حلَّ لم يُقص المحلة بيته
ولكنه الأدنى بحيث يجيب

٢١ ـ وهذا هو البيت التاسع من المطبوعة رقم **(٢٥)**:

حبيب إلى الخلان غشيان بيته
جميل المحيا شب وهْو أديب

والبيت في «الجمهرة» برواية: «حبيب إلى الزوار». **(غشيان بيته)**: الحلول ضيوفًا عليه. **(المحيا)**: الوجه.

٢٢ ـ وهذا هو البيت الرابع من المطبوعة رقم **(٢٥)**:

حليم إذا ما سورة الجهل أطلقت
حُبَى الشيب للنفس اللجوج غلوب

والبيت في «جمهرة أشعار العرب». (**سورة الجهل**): حدته، والـ(**حُبى**): جمع حبوة، وهي وضع ثوب على صفة خاصة بحيث يمكن الجالس من الجلوس المريح والاحتباء، وشبه الشيب بأنه حبوة تمنع حركة الإنسان. و(**اللجوج**): المتمادية في غضبها.

٢٣ ـ وهذا البيت غير وارد في «الأصمعيات» المطبوعة:

لقد كان أما حلمُهُ فمروِّح
عليه، وأما جهله فعزيب

وقد ورد في «خزانة الأدب»، وفي «جمهرة أشعار العرب».

قوله: (**مروح**)؛ أي: يأوي إليه، وقوله: (**عزيب**): بعيد.

٢٤ ـ وهذا هو البيت الحادي والعشرون من «الأصمعيات» رقم (٢٦):

إذا ما تراءاه الرجال تَحفظوا
فلم تُنطق العوراء وَهْوَ قريبُ

والبيت في «خزانة الأدب»، وكذلك في «جمهرة أشعار العرب»، وروايته: «فلم ينطقوا».

٢٥ ـ وهذا البيت غير وارد في «الأصمعيات» المطبوعة:

على خير ما كان الرجال خلاله
وما الخير إلا قسمة ونصيب

وهو وراد في «خزانة الأدب»، وفي «جمهرة أشعار العرب».

٢٦ ـ وهذا هو البيت الثامن من الأصمعية رقم (٢٦) من النسخة المطبوعة:

جَمُوعُ خلال الخير من كل جانب
إذا جاء جَيَّاءٌ فهن ذهوب

والبيت في «خزانة الأدب»، وروايته في «جمهرة أشعار العرب»:

«إذا حال مكروه بهن ذهوب»

٢٧ ـ وهذا هو البيت التاسع في الأصمعية رقم (٢٦) من المطبوعة:

مفيد مُلقَّى القائدات، مُعَوَّد
لفعل الندى للمعدِمات كسوب

وروايته في «جمهرة أشعار العرب»:

مغيث مفيد الفائدات معود لفعل الندى والمكرمات كسوب

صحح الشيخ: (**القائدات**): فجعلها الفائدات وهن المعدمات من النساء اللاتي كان يكسب لهن.

والبيت وارد ـ أيضًا ـ في كتاب «خزانة الأدب».

٢٨ ـ وهو البيت السابع من «الأصمعيات» المطبوعة (٢٥):

أخو شتوات يعلم الضيف أنه
سيكثر ما في قدره ويطيب

والبيت في «جمهرة أشعار العرب»:

(أخو شتوات): يُعني بالمحتاجين في الشتوات، والعرب عندما تقول: شتوات فإنها تقصد أيام المجاعات والشدائد؛ لأنها تكثر في فصل الشتاء.

٢٩ ـ وهذا البيت هو رقم **(١٧)** في الأصمعية رقم **(٢٦)** من «الأصمعيات» المطبوعة:

كثير رماد القدر رحب فناؤه
إلى سند لم تحتجنه غيوب

رواها الشيخ: «إلى هدف».

والبيت في: «خزانة الأدب»، وفي «جمهرة أشعار العرب».

هو كريم يكثر رماد قدره لكثرة ما يطهو للضيوف، وهو واسع الفناء حتى يستوعب الأعداد التي تأوي إليه، والسَّنَد هنا: ما ارتفع من الأرض، لم تحتجنه غيوب؛ أي: منخفضات، وكلمة **(تحجنه)** معناها: تخفيه.

٣٠ ـ وهذا هو البيت السادس من الأصمعية رقم **(٢٦)** في «الأصمعيات» المطبوعة:

وقد ورد في «خزانة الأدب» وفي «جمهرة أشعار العرب»:

أخي كان يكفيني وكان يعينني
على نائبات الدهر حين تنوب

رواها الأستاذ: «أخ كان» وكذلك: «على النائبات السود».

(**النوائب**): الحوادث السيئة، (**تنوب**): تنزل بي.

٣١ ـ وهذا البيت غير وارد في «الأصمعيات» المطبوعة:

فتى الحرب إن حاربت كان سمامها

وفي السلم مفضال اليدين وَهُوبُ

والبيت وارد في «خزانة الأدب»، وكذلك في «جمهرة أشعار العرب».

و(**السمام**): جمع سم.

٣٢ ـ وهذا هو البيت العاشر من «الأصمعيات» المطبوعة (٢٥):

يبيت الندى يا أم عمرو ضجيعه

إذا لم يكن في المنقيات حَلوبُ

و(**الندى**): الكرم، لا يفارقه فكأنه ضجيعه. (**المنقيات**): السمينات الممتلئات بالنقي وهو الشحم ومخ العظام.

٣٣ ـ وهذا هو البيت الثامن عشر من «الأصمعيات» المطبوعة (٢٥):

فتًى أريحيا كان يهتز للندى

كما اهتز من ماء الحديد قضيب

(**يهتز**): يتلألأ وجهه بشرًا.

(**الأرْيحي**): الواسع الخلق الذي يتسع صدره لأعمال الخير.

ووردت في «الأصمعيات» كلمة أريحي بالنصب، وذكر

المحققان أنها منصوبة على المدح، بمعنى: أمدح فتى أريحيا.

على أن رواية الكلمة بالضم هي أكثر الروايات، ومنها رواية «جمهرة أشعار العرب».

٣٤ ـ وهذا هو البيت العاشر من الأصمعية رقم **(٢٦)** في المطبوعة:

فـتًـى لا يُـبـالـي أن يـكـون بـجـسـمـه
إذا نـال خـلات الـكـرام شُـحـوب

هو لا يبالي أن يكون بجسمه شحوب إذا نال خصال الكرام الطيبة **(خلات الكرام)**.

والبيت وارد في: «خزانة الأدب»، و«جمهرة أشعار العرب».

٣٥ ـ وهذا البيت ليس من «الأصمعيات» المطبوعة:

حـلـيـف الـنـدى يـدعـو الـنـدى فـيـجِـيـبُـه
سـريـعًـا ويـدعـوه الـنـدى فـيـجـيـب

والبيت في «خزانة الأدب»، وفي «جمهرة أشعار العرب».

٣٦ ـ وهذا البيت ـ أيضًا ـ ليس في «الأصمعيات» المطبوعة:

غـيـاث لـعـانٍ لـم يـجـد مـن يـعـيـنـه
ومـخـتـبـط يَـغْـشـى الـدخـان غـريـب

رواه الأستاذ: «لداع». فهو يَغْشى دخان قدر رغبة في الحصول على الطعام. الـ**(مختبط)**: هو طالب المعروف دون أن تكون له معرفة بمن طلبه منه.

٣٧ ـ وهذا هو البيت السابع من «الأصمعيات» رقم (٢٦) المطبوعة:

هـــوت أمـــه مـــاذا تـــضـــمـــســـن قـــبـــره
مـــن الـــجـــود والـــمـــعـــروف حـــيـــن يـــنـــوب

رواه الشيخ: «هوت عرسه»، وذكر أنه دعاء لا يراد به الأم، وهوت من الهُويِّ وهو الهلاك.

(حين ينوب): حين يقتضي الحال منه أن يقدم المعروف.

٣٨ ـ وهذا هو البيت الأول من الأصمعية المطبوعة (٢٥):

أخـــي مـــا أخـــي، لا فـــاحـــش عـــنـــد بـــيـــتـــه
ولا ورع عـــــنـــــد الـــــلـــــقـــــاء هـــــيـــــوب

البيت في «خزانة الأدب»، وفي «جمهرة أشعار العرب»، وفي كتاب «الأمالي» لأبي علي القالي (٢/ ١٥٢).

هو لا ينطق بالقول الفاحش ولا يعمل العمل السيَّء، عند بيته وبين أضيافه، ولكنه عند لقاء عدوه في الحرب فإنه غير جبان **(ورع)**، وغير خائف **(هيوب)**.

٣٩ ـ وهذا هو البيت العشرون في القصيدة رقم (٢٦) من «الأصمعيات» المطبوعة:

حـــلـــيـــم إذا مـــا الـــحـــلـــم زَيَّـــن أهـــلـــه
مـــع الـــحـــلـــم فـــي عـــيـــن الـــعـــدو مـــهـــيـــب

رواها الشيخ: «في عين الرجال».

وهو في كتاب «الاختيارين»، و«خزانة الأدب»، و«الجمهرة».

٤٠ ـ وهو البيت الثاني من «الأصمعيات» المطبوعة **(٢٥)**:

هــو الــعــســل الــمــاذيّ حــلــمــا ونــائــلًا
ولــيــثٌ إذا يــلــقــى الــعــدو غــضــوبُ

رواها الشيخ: «هو العسل الماذي لينًا وشيمة».

والعسل الماذي: هو الأبيض، وهو أجود أنواعه وأقلها لذعة.

ورد البيت في «أمالي القالي» و«خزانة الأدب» و«الجمهرة».

٤١ ـ وهو البيت الثامن عشر من القصيدة رقم **(٢٦)** من «الأصمعيات» المطبوعة:

قــريــب ثــراه لا يــنــال عــدوُّه
لــه نــبَــطًــا عــنــد الــهــوان قــطــوب

(قريب ثراه): قريب خيره، **(النبط)**: الماء الذي يخرج من البئر أول ما يتم حفرها، لا ينال عدوه منه، وهو يغضب إذا أريد به الهوان.

٤٢ ـ وهذا البيت غير وارد في «الأصمعيات» المطبوعة:

مُــعَــنًّــى إذا عــادى الــرجــال عــداوة
بــعــيــد إذا عــادى الــرجــال قــريــب

الـ**(معنَّى)**: المكَّلف، يقول: هو بعيد منهم قريب في وقت الغارة والحروب. فهو يُكلِّف نفسه معاداة الرجال المخالفين له فيما يريد.

٤٣ ـ وهو البيت الثاني عشر من «الأصمعيات» المطبوعة (٢٥):

وداعٍ دعـا يـا مـن يـجـيـب إلـى الـنـدى
فـلـم يـسـتـجـبـه عـنـد ذاك مـجـيـب

٤٤ ـ وهو البيت الثالث عشر من «الأصمعيات» المطبوعة (٢٥):

فـقـلـت ادع أخـرى وارفـع الـصـوت دعـوة
لـعـل أبـا الـمـغـوار مـنـك قـريـب

٤٥ ـ وهو البيت الرابع عشر من «الأصمعيات» المطبوعة (٢٥):

يُـجِـبْـكَ كـمـا قـد كـان يـفـعـل إنـه
بـأمـثـالـهـا رحـب الـذراع أريـب

وروي في «خزانة الأدب»:

«مجيب لأبواب العلاء طلوب».

(أريب): ذو دهاء وعقل.

٤٦ ـ وهذا البيت غير موجود في «الأصمعيات» المطبوعة:

أتـاك سـريـعًـا واسـتـجـاب إلـى الـذي
كـذلـك قـبـل الـيـوم كـان يـجـيـب

وهو وارد في «جمهرة أشعار العرب»، وكتاب «الاختيارين».

٤٧ ـ هـوت أمـه مـا يـبـعـث الـصـبـح غـاديًـا
ومـاذا يـؤدي الـلـيـل حـيـن يـؤوب

(هوت أمه): سقطت، ولكن السقوط غير مقصود، فالأمر لا يعدو الدعاء؛ كقولهم: قاتله الله ما أفصحه. ويروى:

«ومـاذا يَـرُدُّ الـلـيـل»

وهذا هو البيت الخامس في «الأصمعيات» المطبوعة (٢٥)، وهو في «خزانة الأدب»، و«جمهرة أشعار العرب»، و«منتهى الطلب».

٤٨ ـ وهو البيت السادس من «الأصمعيات» المطبوعة (٢٥):

كعالية الرمح الردينيّ لم يكن
إذا ابتدر الخيل الرحالُ يخيب

ويروى: «إذا ابتدر الخيل العلاء يخيب»

(**الردينيّ**): نسبة إلى امرأة تصنع الرماح اسمها: ردينة و(**عالية الرمح**): أعلاه، ويقصد أنه كالرمح طولًا.

٤٩ ـ وهو البيت الخامس عشر من «الأصمعيات» المطبوعة (٢٥):

كأنَّ أبا المغوار لم يُوف مرقبًا
إذا ربأ القومَ الغزاة رقيبُ

(**المرقب**): المكان العالي الذي يرقب منه المحارب أعداءه، يوف: يعلو. (**ربأ القوم**): ترقبهم من مكان عال ليظفر بهم.

٥٠ ـ وهذا البيت غير وارد في «الأصمعيات» المطبوعة:

كأن لم يكن يدعو السوابح مرة
بذي لجب تحت الرماح مُهيبُ

(**السوابح**): الخيل، (**بذي لجب**): بجيش ذي لجب؛ أي: له ضجيج. والبيت في «جمهرة أشعار العرب».

٥١ ـ وهو البيت السادس عشر من «الأصمعيات» المطبوعة (٢٥):

ولـم يـدع فـتـيـانًـا كـرامًـا لـمـيـسـر
إذا اشـتـد مـن ريـح الـشـتـاء هُـبـوب

كانوا يتقامرون على الأبل، لكي ينحروها من أجل إطعام المحتاجين في وقت الشتاء.

٥٢ ـ وهو البيت الحادي عشر من الأصمعية المطبوعة (٢٥):

إذا نـزل الأضـيـاف أو غـبـت عـنـهـمُ
كـفـى ذاك وضّـاح الـجـبـيـن أريـب

إذا (**نزل الأضياف**) استقبلهم، وإن غبت عنهم قام بالمهمة من يقوم مقامك، وهو (**وضاح الجبين**)، يبش للأضياف وهو في الوقت نفسه ذكي لبيب.

٥٣ ـ وهذا البيت غير وارد في «الأصمعيات» المطبوعة:

كـأن أبـا الـمـغـوار ذا الـمـجـد لـم تَـجُـب
بـه الـبـيـد عـنـسٌ بـالـفـلاة خَـبُـوب

البيت في «جمهرة أشعار العرب»، الـ(**عنس**): الناقة الصلبة. (**خبوب**): سريعة في سيرها. (**تجب**): تقطع البيد.

٥٤ ـ وهو غير موجود في «الأصمعيات» المطبوعة:

عـلاة تـرى فـيـهـا إذا حـط رحـلـهـا
نـدوبًـا عـلـى آثـارهـنّ نـدوب

ناقة (**علاة**): عالية فارهة تسير إلى الأمام دائمًا دون أن تتردد.

الـ(**ندوب**): آثار جروح، والبيت في «الجمهرة».

٥٥ ـ وهو البيت الثالث والعشرون من «الأصمعيات» المطبوعة (٢٥):

لـيـبـكـك داع لـم يـجـد مـن يُـعـيـنـه
وطـاوي الـحـشـا نـائـي الـمـزار غـريـب

ورواية شيخنا: «ليبكك شيخ».

(**طاوي الحشا**): جائع، (**نائي المزار**): قادم من مكان بعيد.

٥٦ ـ وهو البيت الرابع والعشرون من «الأصمعيات» المطبوعة (٢٥):

تـروَّح تـزهـاه صـبًـا مـسـتـطـيـفـة
بـكـل ذرًا والـمـسـتـراد حـديـب

(**تروح**): سار منذ زوال الشمس إلى المساء، (**تزهاه**): تسوقه الصبا: ريح طيبة، (**مستطيفة**): طائفة. بكل ذرا: بكل موضع يمكن اللجوء إليه، (**والمستراد**): موضع الكلأ.

٥٧ ـ وهو البيت الحادي عشر من الأصمعية رقم (٢٦) من المطبوعة:

غـنـيـنـا بـخـيـرٍ حـقـبـة ثـم جَـلـحـت
عـلـيـنـا الـتـي كـلَّ الـرجـال تُـصـيـبُ

(**جلحت**): ذهبت بالخير.

٥٨ ـ وهو البيت الثاني عشر من الأصمعية رقم (٢٦) من المطبوعة:

فأبقت قليلًا ذاهبًا وتجهَّزت
لآخَرَ، والراجي الحياة كذوب

ورويت: «والراجي الخلود»، هذا في «أمالي القالي»، أما في كتاب «الاختيارين» فرواية الشطر الأول هكذا:

«فأبقت قليلًا فانيًا ثم هَجَّرت»

هجرت: بادرت إلى آخر.

٥٩ ـ وهو البيت الثالث عشر من القصيدة رقم (٢٦) من «الأصمعيات» المطبوعة:

وأعلم أن الباقيَ الحي منهما
إلى أجل أقصى مداه قريب

البيت في «منتهى الطلب»، وكتاب «الاختيارين» و«الجمهرة».

٦٠ ـ وهو البيت التاسع عشر من القصيدة رقم (٢٦) من «الأصمعيات» المطبوعة:

لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى
على يومه علق إليَّ حبيبُ

الـ(**علق**): النفيس من كل شيء.

٦١ ـ وهو البيت الرابع عشر من القصيدة رقم (٢٦) من «الأصمعيات» المطبوعة:

فلو كان ميت يُفتدى لفديته

بما لم تكن عنه النفوس تطيب

ورواية الشيخ عن «العقد الفريد»:

«فلو كانت الموتى تُباع اشتريته»

(**بما لم تكن عنه النفوس تطيب**)؛ أي: بما لا تفرط به النفوس.

٦٢ ـ وهو البيت الخامس عشر من القصيدة رقم (**٢٦**) من «الأصمعيات» المطبوعة:

بعينيّ أو يمنى يديَّ، وقيل لي

هو الغانم الجذلان يوم يؤوب

٦٣ ـ وهذا البيت غير موجود في «الأصمعيات»:

فواللَّه لا أنساه ماذرّ شارق

وما اهتز من فرْع الأراك قَضيبُ

(**ماذرّ شارق**): ما أشرق يوم جديد. و(**الأراك**): نوع من الشجر يتخذ منه السواك.

❑ ❑ ❑

أكمل الشيخ شرح هذه القصيدة التي جعلها الأصمعي من جزأين، ووقف أستاذنا عند البيت رقم (**٦٣**)، وواضح أنه ترك أبياتًا لم يعتبرها جزءًا من القصيدة بل قال إنها محذوفة، وذكر من هذه الأبيات:

١ ـ إذا قصرت أيدي الرجال عن العلا

تناول أقصى المكرمات شبيبُ

٢ ـ فـإن غـاب مـنـهـم غـائـب أو تـخـاذلـوا

كـفـى ذاك مـنـهـم والـجـنـابُ خـصـيـب

٣ ـ لـعـمـركـمـا إن الـبـعـيـد لـمـا مـضـى

وإن الـــذي يـــأتـــي غـــدًا لـــقـــريـــب

٤ ـ ألا هـــل أتـــى أهـــل الـــمـــقـــانـــب أنـــه

أقـــام وعـــرى الـــنـــاجـــيـــات شـــبـــيـــب

وهناك أبيات أخرى غير هذه يمكن أن يلحظها قارئ المراجع التي ذكرناها، ولا سيما تلك الأبيات التي صحبها تعليق بين أنها منحولة.

ملاحظة:

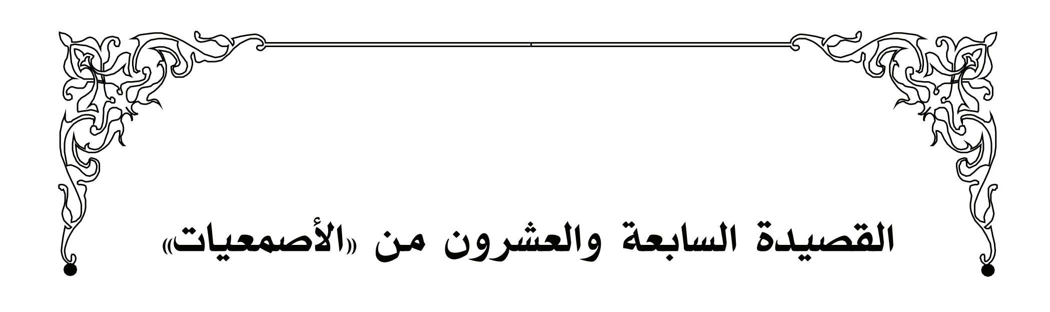
بما أن حديثنا هذا ينصبُّ على الأصمعيتين رقم (٢٥) ورقم (٢٦) فقد وضعنا إشارة لإختلاف الرواية.

بحسب ترتيب الدراسة	«الخزانة»	«الأصمعيات»	«جمهرة أشعار العرب»	«منتهى الطلب»	«الاختيارين»	«مختارات ابن الشجري»
١ ـ تقول ابنة العبسي	١	٢/١	٣	ـ	ـ	ـ
٢ ـ فقلت ولم أعي الجواب	٢	٢/٢	٤	ـ	٢	ـ
٣ ـ تتابع أحداث	٣	٢/٣	٥	٢	٣	ـ
٤ ـ وما الشيب إلا	ـ	ـ	٢	ـ	ـ	ـ
٥ ـ تقول سليمى	ـ	٢/١	٣	١	١	ـ
٦ ـ فقلت شجون من	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٧ ـ وإن تكن الأيام	١٦	٢/١٦	ـ	٣٨	١٧	ـ
٨ ـ جمعن النوى	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
٩ ـ لقد عجمت منى	٥	ـ	ـ	ـ	٧	ـ
١٠ ـ إذا ذر قرن الشمس	٣٤	ـ	ـ	٤٥	ـ	ـ
١١ ـ أتى دون حلو العيش	ـ	٢/٤	ـ	٣٩	ـ	ـ
١٢ ـ وخبّرتماني	ـ	١٩	٥٠	٢٠	٣٨	ـ
١٣ ـ وماء سماء كان	ـ	٢٠	٥١	٢١	٣٩	ـ
١٤ ـ ومنزلة في دار صدق	ـ	٢١	٥٢	ـ	٤٠	ـ
١٥ ـ لعمري لإن كانت	٤	٢/٥	٦	٣	٤	ـ
١٦ ـ فإني لباكية وإني	٣٣	١٧	٤٨	٤١	٣٦	ـ
١٧ ـ ألا من لقبر لا تزال	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
١٨ ـ به هرم ياويح نفسي	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ	ـ
١٩ ـ كأن بيوت الحي	٢٩	٢٢	١٦	١٩	٢٨	ـ
٢٠ ـ إذا حل من يقص	ـ	٨	ـ	ـ	ـ	ـ
٢١ ـ حبيب إلى الخلان	ـ	٩	١٥	٩	٣٠	ـ
٢٢ ـ حليم إذا ما سوْرَ النفس	٢٥	٤	١٠	٥	٢٤	ـ
٢٣ ـ لقد كان أما حلمه	٦	ـ	٧	٤	٥	ـ
٢٤ ـ إذا ما تراءاه الرجال	٢٠	٢/٢١	٢٨	١٢	٢١	ـ
٢٥ ـ على خير ما كان الرجال	٢٢	ـ	٢٩	ـ	ـ	ـ

بحسب ترتيب الدراسة	«الخزانة»	«الأصمعيات»	«جمهرة أشعار العرب»	«منتهى الطلب»	«الاختيارين»	«مختارات ابن الشجري»
٢٦ ـ جموع خلال الخير	٩	٢/٨	١٩	١٨	٩٠	ـ
٢٧ ـ مفيد مفيت الفائدات	١٢	٢/٩	٢٠	١٧	١٠	ـ
٢٨ ـ أخو شتوات	ـ	٧	١٤	٨	٢٧	ـ
٢٩ ـ كثير رماد القدر	١٨	٢/١٧	٣٢	ـ	١٨	ـ
٣٠ ـ أخ كان يكفيني	١٧	٢/٦	٩	ـ	٦	ـ
٣١ ـ فتى الحرب إن حارب كان سمامها	٧	ـ	٤٩	٤٤	ـ	ـ
٣٢ ـ يبيت الندى	ـ	١٠	٣٣	٢٨	٣١	ـ
٣٣ ـ فتى أريحي كان	٢٦	١٨	٢٦	١٥	٣٧	ـ
٣٤ ـ فتى لا يبالي	١١	٢/١٠	٢٧	١٣	١١	ـ
٣٥ ـ حليف الندى يدعو	٢٣	ـ	٣٠	١٤	٢٦	ـ
٣٦ ـ غياث لعانٍ	ـ	ـ	٣١	ـ	ـ	ـ
٣٧ ـ هوت عرسه	٨	٢/٧	١٣	١١	٨	ـ
٣٨ ـ أخي ما أخي	٢١	١	٨	٦	٢٢	ـ
٣٩ ـ حليم إذا ما الحلم	١٩	٢/٢٠	٣٤	ـ	٢٠	ـ
٤٠ ـ هو العسل الماذي	٢٤	٢	١١	٧	٢٣	ـ
٤١ ـ قريب ثراه لا ينال	ـ	٢/١٨	ـ	ـ	ـ	ـ
٤٢ ـ معنّى إذا عادى الرجال	ـ	ـ	٣٥	ـ	ـ	ـ
٤٣ ـ وداع دعا	٣٠	١٢	٢١	٢٤	٣٣	ـ
٤٤ ـ فقلت ادع أخرى	٣١	١٣	٢٢	٢٥	٣٤	ـ
٤٥ ـ يجبك كما قد كان	٣٢	١٤	٢٣	٢٦	٣٥	ـ
٤٦ ـ أتاك سريعًا	ـ	ـ	٢٤	٢٧	ـ	ـ
٤٧ ـ هوت أمه	١٠	٥	١٢	١٠	٨	ـ
٤٨ ـ كعالية الرمح الرديني	٢٨	٦	١٧	١٦	٢٥	ـ
٤٩ ـ كأن أبا المغوار	ـ	١٥	٤٣	٣٤	ـ	ـ
٥٠ ـ كأن لم يكن يدعو	ـ	ـ	٢٥	ـ	ـ	ـ
٥١ ـ ولم يدع فتيانًا	ـ	ـ	٤٤	٣٥	ـ	ـ

بحسب ترتيب الدراسة	«الخزانة»	«الأصمعيات»	«جمهرة أشعار العرب»	«منتهى الطلب»	«الاختيارين»	«مختارات ابن الشجري»
٥٢ ـ إذا نزل الأضياف	٢٨	١٦	-	-	٣٢	-
٥٣ ـ كأن أبا المغوار	-	١١	٤٦	-	-	-
٥٤ ـ علاة ترى فيها إذا	-	-	٤٧	-	-	-
٥٥ ـ ليبكك شيخ	-	-	-	٣٢	-	-
٥٦ ـ تروح تزهاه	-	٢٣	-	٣٣	-	-
٥٧ ـ غنينا بخير حقبة	١٣	٢٤	٣٦	٢٩	١٢	-
٥٨ ـ فأبقت قليلًا	-	٢/١١	٣٧	٣٠	١٣	-
٥٩ ـ وأعلم أن الباقي	-	٢/١٢	٣٨	٣١	١٤	-
٦٠ ـ لقد أفسد الموت	-	٢/١٣	٣٩	٣٧	١٩	-
٦١ ـ فلو كانت الموتى	١٤	٢/١٩	٥٣	٢٢	١٥	-
٦٢ ـ بعيني أو يمنى يدي	١٥	٢/١٤	٥٤	٢٣	١٦	-
٦٣ ـ فوالله لا أنساه	-	٢/١٥	-	-	-	-





القصيدة السابعة والعشرون من «الأصمعيات»

هذه قصيدة آخرى في الرثاء أوردها الأصمعي وقال: «قالت سعدى بنت الشمردل الجهنية، ترثي أخاها قتله بهزٌ من بني سُليم بن منصور». وجهينة من قضاعة أما بنو سُليم بن منصور فمن قيس عيلان. وقد ورد اختلاف حول اسم هذه الشاعرة، ولكن المرجح أن اسمها هو سعدى كما ورد في «الأصمعيات»، ومما قيل عن اسمها: أنها سلمى بنت مجدعة، ولعل سر الاختلاف هو أن أخاها الذي ترثيه هو أسعد بن مجدعة الهذلي، ولعل أن يكون أخًا لها لأمها، وهو سبب اختلاف الاسم أما هي فسعدى بنت الشمردل الجهنية.

وردت أبيات من هذه القصيدة في عدد من المراجع منها البيت الرابع عشر في «لسان العرب»، مادة: (سمل) والبيت السابع عشر فيه أيضًا، مادة: (سلع) و«شرح الحماسة» للمرزوقي فيه بيتان هما: الرابع عشر في (٣١٦/١)، والثاني في الجزء نفسه (ص٤٦). ولسعدى وقصيدتها ذكر في سمط اللآلي بتحقيق: عبد العزيز الميمني، وهناك أبيات متناثرة في عدد آخر من الكتب.

شرح الأستاذ محمود محمد شاكر هذه القصيدة متتبعًا ترتيبها في «الأصمعيات»، ولكنه كعادته قام بإعادة عرضها علينا وفق تذوقه لها فرتبها على النحو الآتي:

القسم الأول وفيه الأبيات: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٢٣.

القسم الثاني وفيه الأبيات: ٩، ١٠، ١١، ١٣، ، ١٤، ٢٢.

القسم الثالث، وفيه الأبيات: ١٥، ١٦، ١٧، ١٨.

القسم الرابع، وفيه الأبيات: ١٢، ١٩، ٣٠.

القسم الخامس، وفيه الأبيات: ٢٠، ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٢٤.

وهنا يأتي عرض الأبيات وفق الأصمعية رقم **(٢٧)** كما أشرنا قبل قليل:

١ ـ أَمِـــنَ الـــحـــوادث والـــمـــنـــون أَرَوَّعُ
وأبـــيـــت لـــيـــلـــي كـــلَّـــه لا أهـــجـــعُ

وفي رواية: «ما أهجع». و**(أهجع)** معناها: أنام أقل النوم. **(الحوادث)**: المصائب. **(والمنون)**: قيل إنها الموت، وقيل: الدهر والزمان.

٢ ـ وأبـــيـــت مـــخـــلـــيـــة أُبـــكِّـــي أســـعـــدًا
ولـــمـــثـــلـــه تـــبـــكـــي الـــعـــيـــون وتـــهـــمـــع

(همعت العين): انزلت الدمع على قطرات متتابعة، وكلمة **(أبكي)** تحتمل معنى البكاء ومعنى الرثاء. **(مخلية)**: منفردة.

٣ ـ وتَـــبَـــيَّـــن الـــعـــيـــن الـــطـــلـــيـــحـــة أنـــهـــا
تـــبـــكـــي مـــن الـــجـــزع الـــدخـــيـــل وتـــدمـــع

(**العين الطلِيحة**): الكليلة المتعبة من أثر البكاء، و(**الدخيل**): الذي دخل على نفس الشاعرة فجأة بوفاة أخيها. والدخيل أيضًا العميق في النفس.

٤ ـ ولقد بدالي قبلُ فيما قد مضى
وعلمت ذاكَ لوانّ علما ينفعُ

٥ ـ أن الحوادث والمنون كليهما
لا يُعْتبان ولو بكي من يجزع

رواه ابن الشجري: «وإن بكى من يجزع».

(**لا يعتبان**): لا يقبلان العتبى، و(**الحوادث**): نوائب الدهر.

٦ ـ ولقد علمت بأن كل مؤخر
يومًا سبيلَ الأولين سيتبعُ

٧ ـ ولقد علمتُ لوانّ علمًا نافع
أن كلُّ حي ذاهب فمودِّع

٨ ـ أفليس فيمن قد مضى لي عبرة
هلكوا وقد أيقنت أن لا يرجعوا

٩ ـ ويل امّ قتلى بالرصاف لو أنهم
بلغوا الرجاء لقومهم أو متعوا

لا تريد الذم بقولها (**ويل ام**)، ولكنها تريد التعجب والمدح. و(**الرصاف**): اسم موضع.

١٠ ـ كم من جميع الشمل ملتئم الهوى
كانوا كذلك قبلهم فتصدَّعوا

نسب المفضل الضبي في كتابه «المفضليات» هذا البيت إلى أبي ذؤيب الهذلي في المفضلية رقم (١٢٦).

١١ ـ فلتبك أسعد فتية بسباسب
أقووا وأصبح زادُهم يتمزَّعُ

(**أسعد**): هو أخو الشاعرة الذي ترثيه، و(**السباسب**): المفازة الواسعة في الصحراء. (**أقووا**): نزلوا القفر ونفذ زادهم، (**يتمزع**): يتقطع ويتقسم.

١٢ ـ جاد ابن مجدعة الكمي بنفسه
ولقد يرى أن المكرَّ لأشْنعُ

(**ابن مجدعة**) هو أسعد أخو الشاعرة سعدى لأمها، (**الكمي**): الشجاع الجريء الذي لا يهاب التقدم في الحروب، و(**المكرّ**): المعركة ساعة الكرّ، (**أشنع**): يصف المكرّ بالشناعة.

١٣ ـ ويل امه رجلًا يُليذ بظهره
إبلا، وَنَسَّالُ الفيافي أروع

(**الفيافي**): جمع فيفاء، وهي الصحراء، و(**النَّسَّال**): المار بها بسرعة شديدة ـ يليذ بظهره ـ (**إبلا**): المقصود أنه يحميها ويدفع عنها. الـ(**أروع**): الرائع الذي يردع الناس ويفزعهم هيبة له، ويطلق لفظ الأروع ـ أيضًا ـ على من فيه الذكاء وخفة الحركة.

١٤ ـ يرد المياه حضيرة ونفيضة
ورد القطاة إذا اسمألّ التُّبَّعُ

(**حضيرة**): يحضرها الناس (أي: المياه)، (**ونفيضة**): ليس

عليها أحد. ومعنى البيت: يرد المياه التي عليها أصحاب الماء، والتي ليس عليها أحد فهو يقطع الصحراوات إلى المعلوم قاطعًا المجهول، يرد المخوفة منها وغير المخوفة كما ترد القطا مع الإشراق، والمراد أنه يسير الليل كله لهدايته. وجاء في مادة: **(تبع)** في «لسان العرب»: «قال أبو سعيد الضرير: التبع: الدبران، وفي هذا البيت، سُمِّي التبع؛ لأنه يتبع الدبران» قال: وما أشبه ما قال الضرير بالصواب؛ لأنَّ القطا ترد المياه ليلًا، وقلما تردها نهارًا، دل على ذلك ما يقول لبيد:

فوردنا قبل فرَّاط القطا إن من وردي تغليس النَّهَلْ

يقول: إن من عادتي السير في ظلْمة الليل، ولذا فقد وردْتُ الماء قبل أن ترده أوائل أسراب القطا.

وقال في «اللسان»، مادة: (سمل) التبع: الدبران، و**(اسمئلاله)**: ارتفاعه طالعًا. قال المرزوقي **(١/ ٣١٦)**: وقد فسر بعضهم ورد القطا إذا اسمأل التبع على أنه الدبران. وقال: والدبران يُسمى التابع والتالي والتبع والفتيق وحالك النجم، وسمي الدبران لأنه دبر الثريا؛ أي: خلفها، ويسمَّى المجدح ويستمر ثلاث ليالٍ وقيل: بل هو ليلة واحدة، وهو غير محمود.

وفي (ص١٨٨)، وأما الدبران، فالكوكب الأحمر الذي على أثر الثريا بين يديه كواكب مجتمعة من أدناها إليه كوكبان صغيران، يكادان يلتصقان، يقول الأعراب: هما كلباه، والبواقي غنمه، ويقولون: قِلاصُهُ (أي: إبله)، وفي كتاب «الأنواء» (ص٣٧):

الدبران: وهو كوكب أحمر منير يتلو الثريا، ويسمى تابع النجم وتالي النجم، وباستدباره الثريا سُمِّيَ دبرانا ويسمى ـ أيضًا ـ المجدح.

ويقول ذو الرمة:

وماء قديم العهد بالناس آجنٍ	كأن الدبا ماء الغضا فيه يبصقُ
وردت اعتسافًا والثريا كأنها	على قمة الرأس ابن ماء محلقُ
يدف على آثارها دبرانُها	فلا هو مسبوق ولا هو يلحقُ
بعشرين من صغرى النجوم كأنها	وإياه في الخضراء لو كان ينطقُ
قلاص حداها راكب مُتعمم	هجائن قد كادت عليه تَفرقُ
قُرانى وأشتاتًا وَحَادٍ يسوقها	إلى الماء من جوز التنوفة مطلق
وقد هتك الصبح الجليُّ كفاءه	ولكنه جون السراة مروَّق
فأدلى غلامي دلوه يبتغي بها	شفاء الصدى والليل أدهم أبلق
فجاءت بنسج العنكبوت كأنه	على عصويها سابريٌّ مُشبرقُ
فقلت له عد فالتمس فضل مائها	تجوب إليها الليل والقفر أخوق
فجاءت بمدٍّ لصقه الدمن آجن	كماء السلا في صغوها يترقرق

الأبيات لذي الرمة: غيلان بن عقبة العدوي، ضمن قصيدة طويلة مطلعها:

أدارا بحُزوى هِجْت للعين عبرةً	فماء الهوى يَرفَضُّ أو يترقرق

وفيها أوصاف كثيرة، وتذكر لصاحبته (مي)، وأحاديث عن الطرق التي سلكها، ومنها الطريق الذي ذَكرَ أنه حاول استقاء الماء من آبار فيه.

لقد مر وهو في أشد الحاجة إلى الماء، بموضع فيه ماء قديم لم يَرِدْه أحد من الناس، فصار متغير اللون يميل إلى الخضرة فكأن الدبا: وهو صغار الجراد يبصق فيه ما في بطنه من نبات الغضى الأخضر. ويقول: إنه ورد إلى هذا الموضع اعتسافًا؛ أي: على غير هدى، وكانت الثريا تشبه طائر الماء المحلَّق فوق الرأس، يسير خلفها بما يشبه الطيران نجم آخر هو الدبران فلا هو يسبقها ولا هي تسبقه، ومع الدبران عشرون من النجوم الصغيرة تزين الخضراء (السماء) وكأن الدبران رجل معمم يقود ركبًا من الهجائن البيض الكرام، أما القلاص: فهي مجموعة الأبل، واحدتها قلوص.

تراها متقارنة أو منفردة يسوقها حاد مجد إلى الماء، يعبر وسط الفلاة، وهو مطلق، والمطلق: المتجه ليلًا إلى موضع الماء حتى يرده في الصباح. ثم يقول الشاعر: أخيرًا هتك الصبح الواضح الظلام الذي شبهه برواق البيت. ولا تزال في الظلمة بقية في السراة: أي: في الأعلى ويقصد السماء، وهذا الظلام يشبه الرواق.

وكان الغلام قد أدلى دلوه طلبًا للشفاء من العطش (الصدى) في الوقت الذي كان أعلى الليل أسود وأسفله أبيض بسبب انبلاج الصباح.

ولكنه وجد الدلو تأتيه وقد علق بها نسيج العنكبوت وكأنه ثوب رقيق ممزق. وقوله على عصويها: هما خشبتان تُعرضان على الدلو كالصليب لكي يربط بها الرشاء (الحبل). ومع ذلك فان الشاعر يطلب من غلامه أن يعيد الكَرَّةَ فلعله يجد ماءً صافيًا؛ لأنهما كانا

يجوبان (يقطعان) الأرض حتى دهمهما الليل في سبيل ذلك. وقوله: والقعر أخوق: أي عميق.

وبعد التجربة الثانية جاء الدلو بما مقداره (مدّ) من الماء نصفه من الدمن؛ أي: البعر المتساقط في البئر مع طول مدة إهمالها، ومع ذلك فهو أخضر اللون كأنه ماء السَّلى، والسَّلى: هو الذي يكون فيه الولد وهو في الدواب: لفافة، وفي النساء (مشيمة). ولما أمال الدلو كان الماء في جانبها يترقرق؛ أي: أنه أصبح واضحًا يهتز لحركة الغلام وهو ممسك بها.

ثم يقول الشيخ:

قال ابن قتيبة: قال ساجع العرب: «إذا طلع الدبران توقدت الحِزَّان، وكرهت النيران، واستعرت الذبان، ويبست الغدران، ورمت بأنفسها حيث شاء الصبيان». وطلوع الدبران لست وعشرين تخلو من أيار قبل الحر، فتتوقّد الحزان وهي الأرض الصلبة، وسقوطه لست وعشرين ليلة تخلو من تشرين الآخر».

أما القطا، فقد سبق الحديث عنه في شرح قصيدة الحكم الخضري، وهي الأصمعية رقم (٦).

١٥ ـ وبه إلى آخرى الصحاب تَلَفُّتٌ
وبه إلى المكروب جري زعزع

لا ينسى أصحابه المتأخرين عنه فله تلفت دائم إليهم، على الرغم من جريه، (**الزعزع**): الشديد.

١٦ ـ ويـكـبِّـر الـقِـدح الـعـنـود ويـعـتـلـي
بـألـى الـصـحـاب إذا أصـات الـوعـوع

(القدح): هو خشبة الميسر، **(العنود)**: يقال: عند عنهم إذا ما تركهم في سفر، وأخذ في غير طريقهم، أو تخلف عنهم. والعنود كأنه التباعد، ولو رأى أحدهم رجلًا من أهل البصرة في الحجاز لقال له: شدَّ ما عندت عن قومك؛ أي: تباعدت عنهم. ويقال: رجل عنود؛ يحل وحده ولا يخالط الناس، والعنود من الدواب المتقدمة في السير، والعنود من الإبل تباعد الراعي بها يطلب خيار المرعى، فمعنى العنود المتفرد. و**(القدح العنود)**: هو الذي ذكره النمر بن تولب في قوله:

ولقد شهدت إذا القداح توحدت   وشهدت عند الليل موقد نارها

وشرح ابن قتيبة هذا البيت في كتابه «الأنواء» (ص١٠٩) فقال: إذا توحدت: أخذ كل واحد قدحًا لشدة الغلاء، وقلة اللحم وإنما يكون ضربهم على المسير في الشتاء. ويقوم به الميسورون من الناس فيأخذ سبعة منهم لكل رجل قدحًا فإذا فعلوا ذلك فقد توحدوها، وذلك معنى قول النمر ابن تولب، وإنما تتوحد عند الجهد وفي المجاوع، وربما كان الأيسار أقل من سبعة؛ لأن الرجل منهم يأخذ قدحين أو ثلاثة فيكون له حظ الفائز منها، ويكون عليه غرم الخائب. وكانت العرب تعد ذلك فضيلة، قال النابغة:

إني أتمم أيساري وأمنحهم   مَثنى الأيادي وأكسو الجفنة الأدما

أما الوعوع ها هنا: فهو من الوعوعة وهي أصوات الكلاب،

أو الصوت والجلبة، ووعوعة الأسد: صوته، والوعوعة أصوات الناس إذا حملوا في الحرب. يقول أبو كبير الهذلي:

لا يجفلون عن المضاف ولو رأوا أولى الوعاوع كالغطاط المقبل

أولى الوعاوع: أوائل الغزاة الذين يوعوعون.

وصحح الشيخ قول الشاعرة: «ويكبر القدح» فجعلها «ويكثر القدح».

١٧ ـ سبّاقُ عادية، وهادي سُرْيَةٍ

ومقاتل بطل وداع مسقع

ويروى كما في «لسان العرب»، مادة: (حضر):

سَبَّاقُ عادية ورأس سَرِيَّةٍ ومقاتل بطل وهادٍ مِسْلَعُ

(**مسلع**): يسلع أجواز الفضاء؛ أي: يشقها.

ويروى أيضًا: وهاد مسمع.

و(**السرية**): جماعة من العسكر، ينسلون من الجيش فيغيرون على عدوهم ثم يعودون إلى مواضعهم. و(**المسقع هو المصقع**): البليغ في قوله.

١٨ ـ ذهبت به بهز فأصبح جدها

يعلو، وأصبح جد قومي يخشع

(**الجد**): الحظ، (**يخشع**): **يخضع**.

١٩ ـ أجعلت أسعد للرماح دريئة

هبلتك أمك أيَّ جرد ترقع

رواه ابن الشجري: «غادرت أسعد للرماح».

أرادت أي جرد ترقع بقتل أسعد فبقتله لأسعد لا يُصلح ما في عرضه من الوصم.

(الدريئة): حلقة يتعلم بها الرامي الرمي، **(هبلتك أمك)**: ثكلتك، **(الجرد)**: الثوب الخلق. لقد جنى جناية لا يدري ما وراءها.

٢٠ ـ يا مطعم الركب الجياع
إذا هُمُ حثوا المطيَّ إلى العلا وتسَرعوا

٢١ ـ وتجاهدوا سيرًا فبعض مَطيِّهم
حسرى مخلفة وبعض ظُلَّعُ

رواه ابن الشجري: فبعض ركابهم.

(والحسرى): المتعبة التي ماتت لشدة تعبها. **(تجاهدوا سيرا)**: اشتدوا في سيرهم. **(مخلفة)**: متروكة في الطريق لتموت، والـ**(ظلع)**: العرج.

٢٢ ـ جوَّاب أودية بغير صحابة
كشاف داويّ الظلام مُشيَّع

رواه ابن الشجري: «كشاف أردية الظلام».

وفي البيت **(داوي)** وهو خطأ والصواب ما ورد في الطبعة الأوروبية (داريّ). الداري: رب النعم، سمي بذلك لأنه مقيم في داره، فكشاف داري الظلام هو الملازم الذي لا ينقطع. **(المشيَّع)**: الشجاع الذي لا يخذله قلبه فيخاف.

ومعنى الشطر الأول أنه يجوب الأودية منفردًا دون تهيُّب.

٢٣ ـ هــذا عــلــى إثــر الــذي هــو قــبــلــه
وهــي الــمــنــايــا والــســبــيــل الــمــهْــيــع

(**المهيع**): المعهود المعروف البين.

٢٤ ـ هــذا الــيــقــيــن فــكــيــف أنــســى فــقــده
إن راب دهــــر أو نــــبــــانــــي مــــضــــجــــع

(**راب**): أصاب على غرة، نبا (**مضجعي**): سهرت.

٢٥ ـ إن تــأتــه بــعــد الــهــدوِّ لــحــاجــة
تــدعــو يــجــبــك لــهــا نــجــيــبٌ أروع

(**بعد الهدوّ**): بعد الهدوء وسكون الأصوات ليلًا.

٢٦ ـ مُــتَــحــلــب الــكــفــيــن أمــيــثُ بــارعٌ
أنِــفٌ طُــوالُ الــســاعــديــن ســمــيــدع

(**متحلب الكفين**): كفاه يسيلان بالعطاء، (**الأميث**): السهل اللين السمح، (**الأنف**): الذي لا يقبل الضيم، (**الطوال**): الطويل. (**السميدع**): الكريم. وفي الطبعة الأوروبية: أنق، وهو المعجب. وفي قولها: (**طوال الساعدين**) دلالة على اكتمال الجسم.

٢٧ ـ سَــمْــحٌ إذا مــا الــشــول حــارد رســلُــهــا
واســتــروح الــمــرقَ الــنــســاءُ الــجُــوَّعُ

(**الشول**): هي التي فيها بقية من اللبن بعد الشهر السابع، و(**حارد رسلها**): انقطعت البقية الباقية من لبنها.

٢٨ ـ مَنْ بعد أسعد إذ فُجِعْت بيومه

والموت مما قد يريب ويفجعُ

٢٩ ـ فوددت لو قُبِلتْ بأسعد فدية

مما يَضِنُّ به المصاب الموجعُ

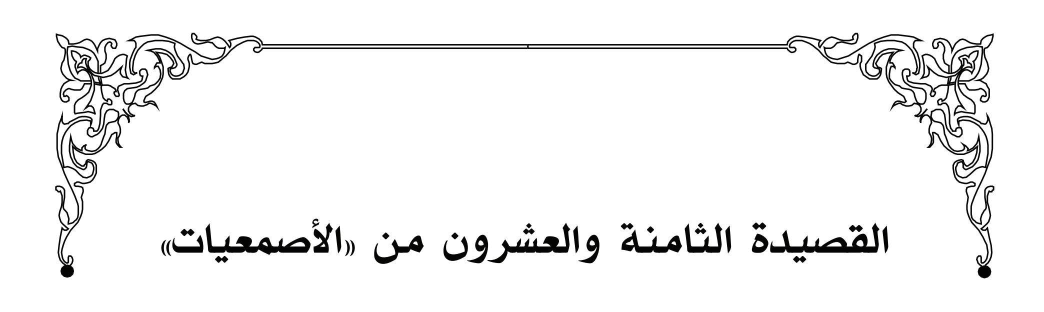
٣٠ ـ غادرته يوم الرصاف مجدَّلًا

خبر لعمرك يومذلك أشنعُ

(**المجدل**): المطروح على الجدالة صريعًا، والجدالة: الأرض.

وهكذا تمت قراءة قصيدة سعدى بنت الشمردل التي رثت فيها أخاها أسعد بن مجدعة الهذلي.





القصيدة الثامنة والعشرون من «الأصمعيات»

قرأنا هذه القصيدة على شيخنا في يومين هما: الثامن من شهر مارس لسنة (١٩٥٨م)، والخامس عشر منه. وعدد أبياتها في «الأصمعيات» ستة وعشرون بيتًا، ولكن الأستاذ زاد عليها من مراجعه ما جعلها تصل إلى واحد وأربعين بيتًا.

صاحب هذه الأصمعية هو دريد بن الصمة، وهو شاعر فحل، وفارس مغوار، له شعر متين الديباجة جعله الأصمعي كما قال: «هو في بعض شعره أشعر من النابغة الذبياني»، وقيل إنه كان من الشجعان المشهورين وذوي الرأي في الجاهلية، وقد غزا نحو مائة غزوة ولم يخفق في واحدة منها. وقد عُمِّر عمرًا طويلًا، إلى أن فقد البصر، وقد قتل في غزوة حنين التي خرج إليها مع المشركين، ولم يكن فيه خير للحرب آنذاك لكبر سنه ولكنهم أرادوا رأيه، وقد قتل هناك.

ذكر دريد في عدد كبير من الكتب، وأورد بعضها شيئًا من شعره، فإنه ذُكر في كتاب «الأغاني»، و«جمهرة أشعار العرب»، و«شرح الحماسة»، و«الموشح»، و«المؤتلف والمختلف»، و«الاشتقاق» وغيرها....

جاء في كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني: «وقتل عبد الله بن

الصمة أخو دريد بخليف دَكم من أهل حَبَونن قتله بنو الحارث بن كعب» وهم يمنيون مذكورون في كتاب «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم، وذكر أنهم من مذحج.

وقد قال دريد هذه القصيدة يصف فيها ما حدث لأخيه ويرثيه بها، ومنها قوله:

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسًا فقلت أعبد اللَّه ذلكم الردي

وكان سيف دريد يسمى ذا الجمر لفقرات فيه كأنها الجمر.

وردت القصيدة في منتهى الطلب والجمهرة وكتاب «الاختيارين» و«أمالي اليزيدي»، وكتاب «شعراء الجاهلية».

وهذا هو شرح أبياتها:

١ ـ وهو البيت الأول من المطبوعة:

أرثَّ جديدُ الحبل من أم معبد

بعاقبة، وأخلفت كل موعد

(**أرث حبلها**): ضعف عهدها، و(**الحبل**): هنا يطلق على العهد والمودة، (**العاقبة**): آخر كل شيء، إنها في النهاية قطعت عهدها معي وأخلفت كل موعد وعدتني به.

٢ ـ وهو البيت الثاني من المطبوعة:

وبانت ولم أحمد إليك جوارها

ولم ترجُ فينا ردة اليوم أو غد

٣ ـ كأن حمول الحي إذ تَلع الضُّحى

بناصفةِ الشجناء غيظة مزود

(**الناصفة**): مجرى الماء في الوادي، و(**الغيظة**): الأجمة وهي الشجر الملتف، و(**مزود**): اسم مكان، ذكره ياقوت الحموى فقال: هو موضع معمور فيه نخل، جاء ذكره في شعر أبي دؤاد الإيادي.

٤ ـ أو الأثـأب الـعُـمّ الـمـحـزّم سـوقـه
بـكـابـة لـم يُـخـبـط ولـم يـتـعـضـد

(**الأثـأب**): شـجـر طـويـل الأغـصـان، (**الـعـم**): الـطـويـل، و(**المحزّم**): الغلاظ، (**لم يخبط**): لم يضرب لكي يتحاتَّ ورقه، (**يتعضد**)؛ يعضد: يقطع، و(**كابة**): اسم موضع. (**العُم المحرم**): الذي ينبت في الأرض الحرام لأن فروعه تكثر.

٥ ـ أعـاذلَ مـهـلًا بـعـض لـومـك واقـصـدي
وإن كـان عـلـم الـغـيـب عـنـدك فـارشـدي

هذا البيت وارد في «منتهى الطلب»، (**اقصدى**): تجنبي الإفراط.

٦ ـ وكـل تـبـاريـح الـمـحـب لـقـيـتـه
سـوى أنـنـي لـم ألـق حـتـفـي بـمـرصـد

(**التباريح**): الشدائد مفردها تبريح.

وروي: «تباريح الغرام».

٧ ـ أعـاذلـتـي كـل امـرئ وابـن أمـه
مـتـاع كـزاد الـراكـب الـمـتـزود

وهو في «الأغاني»، وبعده:

٨ ـ وهو البيت الثالث من المطبوعة:

أعـــاذل إن الـــرزء فـــي مـــثـــل خـــالـــد
ولا رُزء فـيـمـا أهْـلـكَ الـمـرء عـن يـد

(خالد): هو عبد الله أخو دريد، وقوله: **(فيما أهلك المرء عن يد)**: أراد أن الرزء والفقد في فقد أخيه لا في فقد المال وعرض الدنيا.

٩ ـ وهو البيت الرابع من المطبوعة:

نـصـحـت لـعـارض وأصـحـاب عـارض
ورهـط بـنـي الـسـوداء والـقـوم شُـهَّـدي

(عارض وأصحابه): قوم من بني جُشم، وقيل: «عارض»: هو خالد وهو عبد الله أخو دريد، ورهط **(بني السوداء)**: هم أصحاب أخيه، و**(الشُّهّد)**: الشهود.

ورواية «الأصمعيات»: وقلت لعراض، والمثبت رواية «الحماسة» ورواية «الاختيارين».

١٠ ـ وهو البيت الخامس من المطبوعة:

عَـلانـيَّـة ظـنـوا بـألـفـي مـدجـج
سـراتـهـمُ فـي الـفـارسـي الـمـسـرَّد

(علانيَّة): قلت لهم علانية، **(ظنوا)**: أيقنوا، الـ**(مدجج)**: التام السلاح، **(سراتهم)**: أشرافهم. **(الفارسي)**: الدرع المصنوع في فارس. **(المسرد)**: الدقيق المحكم النسج.

١١ ـ وقلت لهم إن الأحاليف أصبحت

مطنّبة ما بين الستار وثهمد

ويروى: «إن الاحاليف أصبحت» (**مطنّبة**): ضربت الأطناب لإقامتها أمامهم. و(**الستار وثهمد**): موضعان، و(**الأحاليف**): المتحالفون. وهم من غطفان وبنو أسد؛ لأنهم تحالفوا على التناصر.

١٢ ـ فلما رأيت الخيل قُبلًا كأنها

جرادٌ تبارى وجهة الريح تغتدي

(**قُبلًا**): تميل حدقة كل منها إلى الموق لفرط النشاط.

١٣ ـ وهو البيت السادس من المطبوعة:

أمرتهمُ أمري بمنعرج اللوى

فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

(**منعرج**): اللوى منعطفه حيث كان موضع المعركة.

وروى البيت: «فلم يستبينوا النصح».

وهذا البيت مشهور بين الناس فقد جرى مجرى الأمثال.

و(**اللوى**): ما التوى من الرمل.

١٤ ـ وهو البيت السابع من المطبوعة:

فلما عصوني كنت منهم وقد أرى

غوايتهم وأنني غير مهتد

امتدح أبو هلال العسكري هذا البيت في كتابه: «ديوان المعاني» فقال: «أخبر بموافقة أخيه على علمه بأنها غي، وترك

مخالفته مع أنها رشد كراهة الخروج عن هواه». وعد ذلك أنه «أبلغ ما قيل في مساعدة الرجل أخاه وأجوده».

١٥ ـ وهو البيت الثامن من المطبوعة:

وما أنا إلا من غَزية إن غوتْ
غويْت وإن ترشد غَزية أرشد

(**غزية**): المجموعة التي تنتمي إلى جده غزية بن جشم.

١٦ ـ وهو البيت الرابع والعشرون من المطبوعة:

وغارة بين اليوم والليل فلتة
تداركتُها ركضًا بِسِيد عمرَّد

ورواها «اللسان»: «تداركتها وحدي». الـ(**عمرَّد**): الشديد الخبث والفتك. و(**السِّيد**): الذئب، والـ(**فلتة**): التي كان العرب يغيرون فيها في آخر يوم من شهر جمادى الثانية قبل أن يبدأ شهر رجب، ويرى الأستاذ أن الفلتة هي الفجاءة[١].

ومثل له بقول مقاعس الكلابي:

فجئت على نفسه فلتة
بوثبة حزم ولم أمتر

«حماسة البحتري».

١٧ ـ وهو البيت الخامس والعشرون من المطبوعة:

سليم الشظا عبل الشوى شَنِج النسا
طويل القرا نهدٌ أسيل المقلَّد

---

(١) وقد ورد هذا المعنى في كتاب «لسان العرب»، مادة: (فلت).

(**الشظا**): عظم لازق بالذراع، (**عبل الشوى**): غليظ القوائم، (**الشَّنج**): المتقبض، (**النسا**): عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين نازلًا إلى الحافر، (**القرا**): الظهر، الـ(**نهد**): الجسيم المشرف، (**الأسيل**): الطويل الأملس، (**المقلد**): موضع القلادة. وصدر هذا البيت ضمنه عدد من الشعراء في قصائدهم ومنهم دريد بن الصمة، وقائله الأول: امرؤ القيس.

وأورد ابن منظور في هذا المجال ذكر كلمة سيدنا عمر بن الخطاب ﵁ حين قال: «كانت بيعة أبي بكر فلتة، وقى الله شرَّها» قصد بذلك أنها تمت دون تدبير سابق، «وقد بايعوا الصديق ﵁ لمعرفتهم أنه ليس له منازع أو شريك في الفضل ولم يكن يحتاج في أمره إلى نظر، ومشاورة».

وكانت لابن منظور مراجع ذكرها وقد استند إليها في هذا الذي نقلناه عنه.

١٨ ـ يفوت طويل القوم عقد إزاره
منيف كجذع النخلة المتجرد

يصفه بالطول، ورواية «الاختيارين»:

«عقد عذاره» والعذار في اللجام ما امتد على خد الفرس، و(**المنيف**): المشرف. والمثبت من كتاب: «شعراء الجاهلية».

١٩ ـ وكنت كأني واثق بمصدَّر
يمشّي بأكناف الجُبيب فثهمد

وهذا في «اللسان»، مادة: (جبب) وفي «الاختيارين»: فمحتد.

(**المصدَّر**): شديد الصدر والجُبيب وثهمد موضعان، وكذلك محتد.

٢٠ ـ يُصيِّدُ أُحدان الرجال وإن يجدْ
ثُناءهُم يفرح بهم ثم يزدد

وهذا البيت من كتاب «شعراء الجاهلية» و(**الأحدان**): المنفردون.

٢١ ـ إذا هبط الأرض الفضاء
تزينت لرؤيته كالمأتم المتبدد

يصف خروج النساء مجتمعات من المأتم.

٢٢ ـ دعاني أخي والخيل بيني وبينه
فلما دعاني لم يجدني بقعدد

(**القعدد**): الجبان اللئيم.

٢٣ ـ وهو البيت التاسع عشر من المطبوعة:

فما راعني إلا الرماح تنوشه
كوقع الصياصي في النسيج الممدد

(**تنوشه**): **تتناوله**، **والـ**(**صياصي**): الشوك الذي يعمل به الحائك في النسيج. ورواية صدر البيت في «الأصمعيات»:

«غداة دعاني والرماح تنوشه»

وفي «جمهرة أشعار العرب»:

«فجئت إليه والرماح تنوشه»

والمثبت من «لسان العرب»، مادة: (شيق).

٢٤ ـ وهو البيت العشرون من المطبوعة:

وكنت كذاتِ البوّ ريعت فأقبلت
إلى جِذَمٍ من مسك سقب مُجَلَّد

(**البّو**): ولد الناقة يذبح ويُملأ جلده بالتبن أو الحشيش حتى تعطف عليه أمه فيدرّ لبنها، (**ريعت**): أصابها الروع وهو الفزع، و(**الجذم**): بكسر الجيم وفتح الذال جمع جذمة وهي القطعة، (**المسك**): الجلد، الـ(**سقب**): ولد الناقة، (**المجلد**): المسلوخ.

رواه الأستاذ: «فجئت كأم البو»، والمثبت من «الأصمعيات».

قال الشاعر:

فما أم بوٍّ هالك بتنوفة   إذا ذكرته آخر الليل حنت

وقال جرير:

كأمِّ بوٍّ عجول عند معهده   حَنَّت إلى جلد منه وأوصال

٢٥ ـ وهو البيت الحادي والعشرون من المطبوعة:

فطاعنْتُ عنه الخيل حتى تبدَّدَت
وحتى علاني حالك اللون أسود

ورواه الأستاذ: «حتى تنهنهت»، والبيت فيه إقواء؛ لأن كلمة أسود جاءت مضمومة وباقي القوافي مخفوضة، وروي: «حالك غير أسود»، وفي كتاب «الاختيارين»: تنهنهت، وفسرها بأنها: تفرقت.

٢٦ ـ وهو البيت الثاني والعشرون من المطبوعة:

طـعــان امــرئ آســى أخــاه بــنــفــســه
ويــعــلــم أن الــمــرء غــيــر مُــخــلــد

٢٧ ـ فـمـا رمـت حـتـى خـرَّقـتـنـي رمـاحـهـم
وغـودرت أكـبـو فـي الـقـنـا الـمـتـقـصـدِ

ورد هذا البيت في كتاب «الأغاني»، وكتاب «شعراء الجاهلية».

٢٨ ـ وهو البيت العاشر من المطبوعة:

تــنــادوا فــقــالــوا أرْدت الــخــيــل فــارســا
فــقــلــت أعــبــدُ الــلَّــه ذلــكــم الــردي

(الردي): الهالك.

٢٩ ـ وهو البيت الحادي عشر من المطبوعة:

وإن يــك عــبــد الــلَّــه خــلــىَّ مــكــانــه
فــمــا كــان وقّــافًــا ولا طــائــش الــيــد

وروى: «ولا رعش اليد». **(الوقاف)**: الذي يحجم عن القتال، خلى سبيله: قتل. وفي رواية أخرى لخلى مكانه.

٣٠ ـ وهو البيت الثاني عشر من المطبوعة:

ولا بــرمــا إذا الــريــاح تــنــاوحــت
بــرطــب الــعــضــاه والــضــريــع الــمــعــضَّــد

(البرم): المتردد فلا يقبل على ما يجري عليه صحبه، **(تناوحت)**: تقابلت فصار لها صوت، و**(العضاه)**: شجر عظيم فيه

شوك، (**والضريع**): نوع آخر من الشجر فيه شوك أيضًا، و(**المعضد**) الذي يُضربُ ليتساقط ورقه.

٣١ ـ تـراه خـمـيـص الـبـطـن والـزاد حـاضـر
عـتـيـد، ويـعـدو فـي الـقـمـيـص الـمـقـدد

البيت في حماسة أبي تمام، والعتيد هو المعدّ، قال تعالى: ﴿وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ﴾ [الملك: ٥].

٣٢ ـ وإن مـســه الإقــواء والــجــهــد زاده
ســمــاحًــا وإتــلافًــا لــمــا كــان فــي الــيــد

(**الإقواء**): فناء الزاد.

٣٣ ـ وهو البيت السادس والعشرون من المطبوعة:

صــبــور عــلــى رزء الــمــصــائــب حــافــظ
مــن الــيــوم أدبــار الأحــاديــث فــي غــد

وفي رواية «الأغاني» و«الحماسة»:

«قليل التشكي للمصيبات حافظ»: هو يتحمل الشدائد، ويحفظ نفسه من أن يتحدث الناس عنه في غده بما يمسه بسوء.

٣٤ ـ وهو البيت الثالث عشر من المطبوعة:

كــمــيــش الإزار خــارجٌ نــصــف ســاقــه
صــبــور عــلــى الــعــزاء طــلاع أنــجــد

يقلص إزاره دلالة على الجد في العمل، (**العزاء**): الشدة، (**طلاع أنجد**): ركاب للصعاب.

٣٥ ـ رئيس حروب لا يزال ربيئة
مشيحًا على محْقوقف الصلب مُلبد

(ربيئة): يتقدم الصفوف ليكتشف الأعداء، **(مشيحًا)**: جادًا، على معوج الظهر (الحصان) الذي شد عليه لبد السرج.

٣٦ ـ وهو البيت السادس والعشرون من المطبوعة:

ويُخرِجُ منه صَرة القوم مَصْدقًا
وطول السُّرى دُرِّيّ عضب مهند

(صرة القوم): صراخهم وضجيجهم، **(مصدقًا)**: عزمًا، يقول: إنه إذا صاح القوم ظهر منه الجد وبدت الصلابة، **(العضب)**: السيف، ودريّه: تلألؤه، **(مهند)**: منسوب إلى الهند. وللبيت روايات منها «ضرة اليوم» والمثبت من «الأصمعيات».

٣٧ ـ أخي أرضعتني أمه بلبانها
بثدي صفاء بيننا لم يجدد

أي: لم يقطع عنا. ويقال: «جُدَّ ثدي أمه»: إذا دُعي عليه بالقطع. والبيت في «الاختيارين».

٣٨ ـ وهو البيت السادس عشر من المطبوعة:

صبا ما صبا حتى على شيب رأسه
فلما علاه قال للباطل ابعد

تمتع في صباه، فلما كبر سنه عزف عن الباطل.

٣٩ ـ وهو البيت السابع عشر من المطبوعة:

وهـــوَّن وجـــدي أنـــنـــي لـــم أقـــل لـــه
كـذبـت، ولـم أبـخـل بـمـا مـلـكـت يـدي

٤٠ ـ وهـــوَّن وجـــدي أنـــمـــا هـــو فـــارط
أمـــامـــي، وأنـــي وارد الـــيـــوم أو غـــد

الفارط المتقدم، ومنه الحديث: «**أنا فارطكم على الحوض**».

٤١ ـ فـلا يـبـعـدنْـك الـلَّـه حـيًّـا ومّـيـتًّـا
ومـــن يُـــعْـــلِـــهِ ركـــن مـــن الأرض يـــبـــعـــد

وهكذا يختتم دريد بن الصمة قصيدته بهذا الدعاء لأخيه بأن لا يبعده الله حيًا وميتًا.

هذا وقد وجدت في كتاب «الاختيارين» الذي صنعه الأخفش الأصغر وحققه الدكتور فخر الدين قباوة في دمشق سنة (١٩٩٩م) خمسة أبيات لم ترد في «الأصمعيات»، ولم يقم الأستاذ بتدريسها لنا، ربما لأنه لم يعتبرها من القصيدة كما فعل في أصمعية سابقة ولكني لا أجد غضاضة في تقديمها هنا إتمامًا للفائدة، وهي بحسب أرقامها في الكتاب كما يلي:

٣ ـ مـن الـخـفـرات، لا سَـقُـوطًـا خـمـارهـا
إذا بـــرزت، ولا خَـــرُوجَ الـــمـــقـــيـــد

٥ ـ وإنـيَ لـم أهـلـك خـفـاتًـا، ولـم أمـت
خَـــفـــاتًـــا، وكـــلا ظـــنـــه بـــيَ عُـــوَّدي

١١ ـ فـمـا فـتـئـوا حـتـى رأوهـا مـغـيـرة

كـرَجْـل الـدبـا ، فـي كـل ربـع وفـدفـد

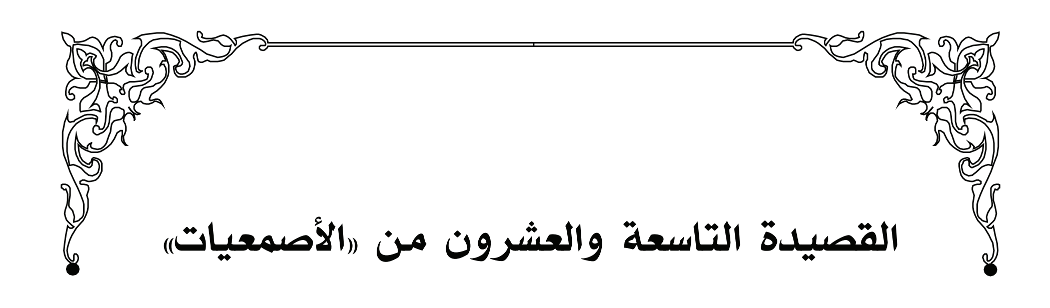
٣٥ ـ لـه كـل مـن يـلـقـى مـن الـنـاس واحـدًا

وإن يـلـق مـثـنـى الـقـوم يـفـرح ويـزدد

٣٧ ـ فـإن تـعـقـب الأيـام والـدهـر تـعـلـمـوا

بـنـي قـارب أنـا غـضـابٌ بـمـعـبـد





القصيدة التاسعة والعشرون من «الأصمعيات»

هذه قصيدة ثانية لدريد بن الصمة، وهي قصيدة قالها بعد أن ثأر لمقتل أخيه، يفخر بها ويتشفى من القاتل المقتول على يده، ويتحدث عن الأحداث التي تمت بينه وبين بعض القبائل، ولا سيما ما حصل لمحارب الذين حل بهم القتل الذريع حتى شبعت من جثثهم الضباع، ولا يكتفي بذلك بل يتهددهم بإعادة الكرة عليهم.

البيت السادس عشر من القصيدة وهو:

وأنـت امـرؤ جـعـد الـقـفـا مـتـعـكـش
مـن الأقـط الـحـولـيّ شـبـعـان كـانـبُ

ومعه بيت ورد في «خزانة الأدب» هو:

تـمنيتني زيدَ بن سهل سفاهـة وانت امرؤ لا تـحتويك مقانبُ

هما بيتان يرى شيخنا أنهما ليسا من شعر دريد.

بدأنا الدرس في اليوم الثامن عشر من شهر مارس لسنة (١٩٥٨م)، واستهله الشيخ بتصحيح ما سبق من القول بأن خالدًا اسم ثالث لعبد الله، فذكر أن هذه أسماء مختلفة، واستشهد بقول دريد في «الأغاني» (٩/ ٤):

تـقـول ألا تـبـكـي أخـاك وقـد أرى مكان البكا لكن بُنيت على الصبر
لـمقتل عبد اللّه والـهالك الذي على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر

وعبد يغوث أو خليلي خالد وعز مصابًا حثو قبر على قبر

وقتيل أبي بكر هو: قيس.

ثم بدأ في القصيدة وفق الترتيب الذي يراه:

١ ـ وهو البيت الأول من المطبوعة:

يا راكبًا إمَّا عرضت فبلغنْ
أبا غالب أن قد ثأرنا بغالب

(عرضت): نزلت العرض أو أتيت العرض، والعرض يشمل مكة والمدينة وما حولها. **(ثأرنا بغالب)**: قتلنا قاتله.

٢ ـ وهو البيت الثاني من المطبوعة:

وأبلغ نميرًا إن مررت بدارها
على نأيها فأيُّ مولى وطالب

(المولى): الناصر.

٣ ـ وهو البيت الثالث من المطبوعة:

قتلت بعبد اللَّه خير لداته
ذؤابَ بن أسماء بن زيد بن قارب

في «اللسان»، مادة: (جفن): قتلنا بعبد الله، والصواب كما ورد في «الأصمعيات»، **(اللدة)**: الترْب الذي ولد مع الشخص بما يعادله في السن، وقد روى أبو عبيدة أن عبد الملك ابن مروان (أحد خلفاء بني أمية) استمع إلى هذا البيت فقال: «كاد دريد أن ينسب ذُؤاب بن أسماء إلى آدم». ويروى: «قتلنا بعبد الله».

٤ ـ وعــبــسًــا قــتــلــنــاهــم بــحُــرِّ بــلادهــم
بــمــقــتــل عــبــد الــلَّــه يــوم الــذنــائــب

والبيت في «الحماسة»، وفي «الأغاني».

(**ويوم الذنائب**): اسم المعركة.

٥ ـ وهو البيت الرابع عشر من المطبوعة:

ردســنــاهــمُ بــالــخــيــل حــتــى تــمــلأت
عــوافــي الــضــبــاع والــذئــاب الــســواغــبِ

(**الردس**): الدق الشديد، (**تملأت**): امتلأت، الـ(**عوافي**): الباحثة عن الرزق، (**السواغب**): الجوعى.

٦ ـ وهو البيت التاسع من المطبوعة:

ومــرة قــد أخــرجْــتــهــم فــتــركــتــهــمْ
يــروغــون بــالــصــلــعــاء روغ الــثــعــالــب

(**يروغون**): يغيرون أماكنهم في كل مرة، (**الصلعاء**): موضع.

٧ ـ وهو البيت العاشر من المطبوعة:

وأشــجــع قــد أدركــتــهــم فــتــركــتــهــم
يــخــافــون خــطــف الــطــيــر مــن كــل جــانــب

٨ ـ وهو البيت الحادي عشر من المطبوعة:

وثــعــلــبــة الــخــنــثــى تــركــنــا شــريــدهــم
تَــعِــلَّــة لاه فــي الــبــلاد ولاعــب

ووصفهم بـ(**الخنثى**): ردًا على بشر بن أبي خازم الذي وصف

أشجع بهذا الوصف في قصيدة له في «المفضليات». (**التعِلة**): ما يُتعلل به أو يتلهَّى.

٩ ـ وهو البيت الخامس من المطبوعة:

تــكــر عـــلـــيــهـــم رجـلــتـــي وفــوارســـي
وأُكــره فــيـــهـــم صــعــدتـــي غـــيـــر نـــاكـــب

(**الإكراه**): الدفع الشديد؛ أي: أقابلهم وجها لوجه.

(**الرجلة**): جمع راجل، وهو الذي لا فرس له يركبها، والـ(**فوارس**): جمع فارس وهو عكسه، و(**الصعدة**): القناه المستوية، ويُقصد بها الرمح كاملًا، (**إكراهها فيهم**): إدخالها بقوة في أجسادهم غير ناكب؛ غير مائل عنهم أو تاركهم.

١٠ ـ جـعـلــن بــنــي بــدر وشــمــخًــا ومــازنًــا
لــهــا غــرضًــا يــزحــمْــنــهــم بــالــمــنــاكــب

يقصد: مناكب الخيل.

١١ ـ وهو البيت الرابع من المطبوعة:

فــلــلــيـــوم سُـــمَّـــيــتــم فـــزارة فــاصـــبـــروا
لـــوقـــع الـــقـــنـــا، تـــنـــزون نـــزو الـــجـــنـــادب

(**النزو**): الوثب، (**الجنادب**): نوع من صغار الجراد، (**القنا**): الرماح.

١٢ ـ وهو البيت السادس من المطبوعة:

فـــإن تُـــدبـــروا يـــأخـــذنـــكـــم فـــي ظـــهـــوركـــم
وإن تُـــقـــبـــلـــوا يـــأخـــذنـــكـــم بـــالـــتـــرائـــب

يروى: «يأخذنكم برقابكم» (**الترائب**): عظام الصدر.

١٣ ـ وهو البيت السابع من المطبوعة:

وإن تُسْهلوا للخيل تُسهل عليكم
بطعن كإيزاغ المخاض الضوارب

(**المخاض**): النوق الحوامل، الـ(**إيزاغ**): إخراج البول دفعة بعد دفعة، يقال: أيزغت الناقة في بولها: دفعته، والطعنة توزغ بالدم تخرجه دفعة دفعة، وفي هامش «الأصمعيات» ذكر المحققان أن معنى (**الضوارب**) في هذا البيت: اللواقح، وقد صوبه الأستاذ بقوله: الضوارب التي تضرب بآذانها.

١٤ ـ وهو البيت الثامن من المطبوعة:

إذا أحزنوا تغشى الجبال رجالنا
كما استوفزت فدْر الوعول القراهب

(**أحزنوا**): نزلوا الحزن حيث الجبال. (**الفُدْر**): من الوعول الذي قد أسنَّ، و(**القراهب**): الحيوانات المسنة كالوعول وغيرها، (**استوفزت**): تهيأت للوثوب.

١٥ ـ وهو البيت الثاني عشر من المطبوعة:

ولولا جنان الليل أدرك رَكضنا
بذي الرمث والأرطى عياض بن ناشب

(**جنان الليل**): إقباله، يقال: جنه الليل؛ أي: هبط عليه ظلامه، و(**ذو الرمث**)، و(**ذو الأرطى**): موضعان.

١٦ ـ وهو البيت الثالث عشر من المطبوعة:

فـلـيـت قـبـورًا بـالـمـخـاضـة أخـبـرت
فـتُـخـبـرَ عـنـا الـخـضـرَ خُـضـرَ مـحـارب

(**المخاضة**): موقع في ديار ذبيان. (**خضر محارب**): قبيلة

١٧ ـ وهو البيت الخامس عشر من المطبوعة:

ذريـــنـــي أطـــوِّفْ فـــي الـــبـــلاد
لـعـلـنـي ألاقـي بـإثْـرِ ثُـلَّـة مـن مـحـارب

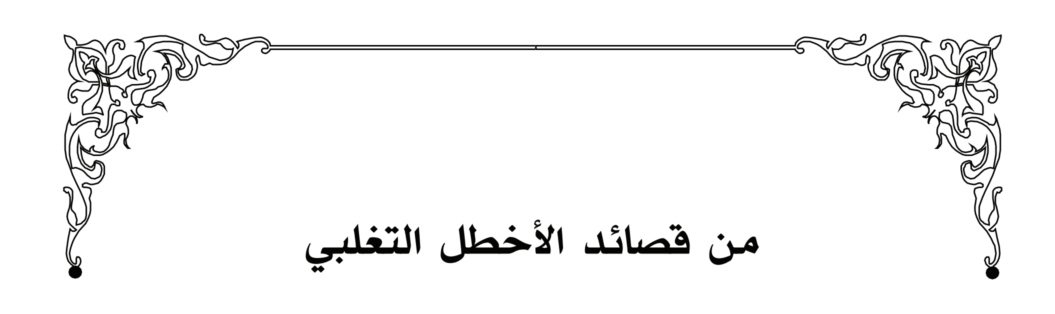
(**الثلة**): الجماعة. ويروى: «ألاقي بإيرثلة» وإير في بلاد غطفان، هكذا جاء في «معجم ما استعجم» للبكري.

وهنا انتهى حديث الشيخ عن هذه القصيدة. ولكننا لا بد وأن نعود إلى ما ذكره شيخنا عن أسماء القبائل الوارد ذكرها في قصيدة دريد بن الصمة هذه وذلك كما يلي:

- فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعر من قيس عيلان.
- بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان.
- ثعلبة (الخنثى) ابن سعد بن ذبيان (عم مرة).
- عبس بن بغيض بن ريث من غطفان.
- بدر بن عمرو بن جُوَيَّة بن لوذان بن ثعلبة بن عدي ابن فرارة.
- شمخ بن فزارة.
- مازن بن فزارة.
- مرة بن فزارة (هكذا رأى الأستاذ نسب مرة).
- بنو خصفة بن قيس عيلان، وهم الخضر، خضر محارب.



من قصائد الأخطل التغلبي



من قصائد الأخطل التغلبي

عندما أنهى شيخنا القصيدة التاسعة والعشرين من «الأصمعيات» كانت قد أوشكت امتحاناتنا في كلية دار العلوم أن تبدأ وأنْ نتوقف لذلك ريثما ينتهي الامتحان، ولكن ما قدر له خلال فترة التوقف جعله في موقف صعب فقد ألقي عليه القبض بتهمة سياسية ملفقة كما بيَّنا في المقدمات ونتيجة لذلك لم يعد إلى «الأصمعيات»، ولكنه بعد خروجه من السجن أراد أن يفي بوعده لنا وكنا نريده أن يفعل شيئًا يزيل عنه بعض الهم مما عاناه في محبسه، فقرأ علينا خمسة أبواب من كتاب «الكامل» في اللغة والأدب لمحمد بن يزيد المبرد مع المقدمة التي كانت موسعة ومفيدة. وقد قمت بكتابه تعليقاته في وريقات متفرقة، وعلى هامش الكتاب. وكانت جلسات مفيدة جدًا عسى أن أجد الفرصة لتقديمها كما قمت بتقديم «الأصمعيات».

وبعد الانتهاء من فصول كتاب «الكامل» الخمسة ومقدمته خطر على بال الأخ صالح العثمان أن يطلب إلى الأستاذ محمود شاكر قراءة قصيدة من خارج المجموعة الأصمعية، وذلك لأنه كان يدرس في كلية دار العلوم قصيدة الأخطل التي مطلعها:

خف القطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوىً في صرفها غِيَرُ

وقد استجاب شيخنا لطلب الأخ صالح وخصص لنا جلسة

استمتعنا خلالها بقراءته للقصيدة وشرحه لها، وقد وجدت أن من الأفضل إضافتها إلى المجموعة السابق درسها من «الأصمعيات» وعددها تسع وعشرون قصيدة.

وهذه هي:

قصيدة الأخطل المشار إليها من القصائد الطوال البارزة في الأدب العربي، قائلها هو الأخطل غياث بن غوث التغلبي، كان ملازمًا للخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان. وهو شاعره المفضل. عني الأخطل عناية كبيرة بهذه القصيدة، وحرص على أن تكون بمثابة تعبير عن كل ما يجيش في نفسه، وأن تكون حديثًا واضحًا عن العلاقات العربية في وقته وعن مواقفة من الشعراء والقبائل، وأن تكون معبرة عن موقفه من الخليفة الذي كان يرعاه ويهتم بأموره. وقد بلغ من اهتمام هذا الشاعر بقصيدته موضع درسنا هذا أنه زعم تفرغه لها لمدة عام كامل حتى جاءت على الصورة التي سوف نراها فيما بعد. مطلعها قوله:

خف القطين فراحوا منك أو بكروا
وأزعجتهم نوًى في صَرْفها غِيَرُ

وسوف يأتي شرح هذا البيت مع القصيدة، ولكن مما تجدر بنا الإشارة إليه هنا أن الأخطل أنشدها أمام عبد الملك بن مروان، وعندما قال في البيت الأول منها: **(فراحوا منك)**، تطيَّر لذلك عبد الملك وانزعج، وقال له صارخًا: لا بل منك، لا بل منك، فأسرع الأخطل إلى تغييرها فقال: فراحوا اليوم أو بكروا، ولكن

هذه الحادثة، عُدَّت في تاريخ الأدب العربي من الهفوات التي ينبغي ألا يقع فيها شاعر كبير مثل هذا الشاعر.

تحدث الأصفهاني في كتابه «الأغاني» عن عبد الملك بن مروان بعد سماعه لهذه القصيدة، فقال: إنه كان يتطاول لها، طربًا لسماعها بغض النظر عن بدايتها التي سرعان ما قام الشاعر بتعديلها. ثم إن الخليفة قال له: «ويحك يا أخطل! أتريدني أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب؟ فقال: اكتفي بقول أمير المؤمنين، وأمر له بجفنه كانت بين يديه فملئت دارهم وألقى عليه خلعًا، وخرج مولى لعبد الملك على الناس يقول: هذا شاعر أمير المؤمنين، هذا أشعر العرب».

ذكر العلماء بالشعر سَبْقَ الأخطل لغيره من معاصريه من الشعراء، كما ذكروا أنه كان أكثرهم عدد قصائد طوال ليس فيها فحش ولا سقط، وَعَدَّوا له عشر قصائد عالية المستوى، منها القصيدة التي ندرسها هنا وهي:

«خَفَّ القطين فراحوا منك وابتكروا»

ولم يُذكر لمعاصره جرير من القصائد مما هو في مستواها غير ثلاث قصائد، وتكفي هذه الاشارة إلى اتجاه ميزان المقارنة نحو الأخطل.

إذن فالقصيدة المذكورة هي من خيار شعر هذا الشاعر بل هي من خيار القصائد العربية.

بدأ الشاعر بإبداء حزنه لفراق من يهوى، ووصف رحلتهم،

وتحدث عن كبر سنه، وعن أثر ذلك في عدم مواصلة الغانيات له. ولقد كان حديثًا طويلًا تناول فيه الرحلة، وأكّد وصف حاله حتى إذا وصل إلى البيت الثامن عشر بدأ في الحديث عن عبد الملك بن مروان، وعدد مناقبه، وأعماله وما طبع عليه من شجاعة وتحفز للثأر من كل من يحاول عملًا مضادًا للدولة الأموية.

ثم تحدث عن عبد الله بن الزبير ومصعب أخيه، وعن خروج عبد الملك إليهما ثم عودته إلى الشام.

ومنذ البيت الخامس والأربعين بدأ بذكر أفضال بني أميه عليه، ولكنه قال: وأنا ـ أيضًا ـ لي أفضال كثيرة تعرفونها في منافحتي عنكم والإشادة بذكركم، ومر في هذا الشأن إلى البيت السبعين، وبعد ذكره جريرًا وغيره من أعدائه، وذكره بعضًا من القبائل العربية، تمت القصيدة عند البيت الخامس والثمانين.

هذا وقد وضع الشيخ بعد البيت الخامس والعشرين بيتًا لم يرد في الديوان، أخذ الرقم (٢٦) وعُدِّلت أرقام الأبيات اللاحقة له، والبيت هو:

لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه
هَمُّ الملوك وجِدٌّ هابه الحجر

وسوف نتبع هنا الطريقة التي سار عليها أستاذنا فقد قرأ القصيدة كاملة، ثم قام بشرح أبياتها بعد ذلك. يقول الأخطل:

١ ـ خَفَّ القطيْن، فراحوا منك، أو بكروا
وأزعجتهم نوًى، في صرفها غِيَرُ

٢ ـ كــأنــنــي شــارب، يــوم اســتــبــدَّ بــهــم

مــن قَــرْقَــفٍ، ضُــمِّــنــتــهــا حِــمــصُ، أو جَــدَرُ

٣ ـ جــادت بــهــا، مــن ذوات الــقــار، مُــتْــرعــة

كــلــفــاءُ، يــنــحــتُّ عــن خُــرطُــومــهــا الــمَــدَرُ

٤ ـ لــذٌّ، أصــابــت حُــمــيّــاهــا مــقــاتــلــهُ

فــلــم تــكــدْ تــنــجــلــي عــن قــلــبــه الــخُــمَــرُ

٥ ـ كــأنــنــي ذاكَ، أو ذو لــوعــة، خــبَــلــتْ

أوصــالَــهُ، أو أصــابــت قــلــبَــهُ الــنُّــشَــرُ

٦ ـ شــوقًــا إلــيــهــم، ووجــدًا، يــوم أتــبــعُــهُــم

طَــرْفــي، ومــنــهــم، بــجــنــبــي كــوكــب، زُمَــرُ

٧ ـ حَــثُّــوا الــمَــطِــيَّ، فَــوَلَّــتْــنــا مــنــاكــبــهــا

وفــي الــخُــدُورِ، إذ بــاغَــمْــتَــهــا، الــصُّــورُ

٨ ـ يُــبــرقْــن لــلــقــوم، حــتــى يــخْــتَــبِــلــنــهُــمُ

ورأيُــهُــنَّ ضــعــيــفٌ، حِــيــنَ يُــخْــتَــبَــرُ

٩ ـ يــا قــاتــل الــلَّــه وَصْــلَ الــغــانــيــات، إذا

أيْــقَــنَّ أنَّــك مِــمَّــن قــد زَهــا الــكــبــرُ

١٠ ـ أعــرضــن لــمــا حــنــى قــوســي مُــوَتِّــرُهــا

وأبْــيَــضَّ، بــعــد ســواد الــلِّــمــة، الــشَّــعَــرُ

١١ ـ مــا يــرعــويــن إلــى داع لــحــاجــتِــهِ

ولا لــهُــنَّ، إلــى ذي شــيــبــةٍ، وَطَــرُ

١٢ ـ شَــرَّقْــنَ، إذ عَــصَــرَ الــعِــيــدانَ بــارحُــهــا

وأيْــبَــسَــتْ، غــيــر مــجــرى الــســنــة، الــخُــضَــرُ

١٣ ـ فالعين عانية بالماء، تسْفَحُهُ

من نيَّةٍ، في تلاقي أهلها ضَرَرُ

١٤ ـ مُنْقَضبيْن انقضاب الحبْلِ، يَتْبَعُهُمْ

بين الشَّقيق، وعينِ المقسم، البَصَرُ

١٥ ـ حتى هبطن من الوادي، لغضبتِهِ،

أرضًا، تحُلُّ بها شيْبانُ، أو غُيَرُ

١٦ ـ حتى إذا هُنَّ ورَّكن القصيم، وقد

أشرفن، أو قُلْنَ: هذا الخنْدقُ الحَفَرُ

١٧ ـ وقعن أُصْلًا، وعُجنا من نجائبنا

وقد تُحُيِّن، من ذي حاجةٍ، سَفَرُ

١٨ ـ إلى امرئٍ، لا تُعَرّينا نوافِلُهُ

أظْفَرَهُ اللَّه، فليْهنِئْ لهُ الظفَّرُ

١٩ ـ الخائض الغمر، والميمون طائرُهُ

خليفة اللَّه، يُستسقى به المطرُ

٢٠ ـ والهمُّ، بعد نجي النفس، يبعَثُهُ

بالحزمِ، والأصمعانِ: القلبُ والحذَرُ

٢١ ـ والمُستَمِر به أَمْرُ الجميع، فما

يغْتَرُّهُ، بعد توكيد لهُ، غَرَ

٢٢ ـ وما الفْراتُ ـ إذا جاشت حوالبُهُ

في حافتيه، وفي أوساطِهِ العُشَرُ

٢٣ ـ وذعذعته رياحُ الصَّيْف، واضطربت

فوق الجآجِئِ، من آذيِّة، غُدُرُ

٢٤ ـ مُسحنفرًا، من جبال الرُّوم، تستُرُهُ

منها أكافيفُ، فيها دونهُ زَوَرُ

٢٥ ـ يومًا بأجود منهُ، حين تسألُهُ

ولا بأجهر منهُ، حين يُجتهرُ

٢٦ ـ لا يطعم النوم إلا ريث يبعثه

همُّ الملوك وجدُّها به الحجر

٢٧ ـ ولم يزل بكَ واشيهمْ، ومَكْرُهُمُ

حتى أشاطُوا، بغيبٍ، لَحْم من يَسَروا

٢٨ ـ فمن يكن طاويًا عنّا نصيِحَتَهُ

وفي يديْه، بِدُنْيا غيرنا، حَصَرُ

٢٩ ـ فهْو فداءُ أمير المؤمنين، إذا

أبدي النَّواجذ يوم، باسل، ذكرُ

٣٠ ـ مفترش كافتراش اللَّيْثِ كلكلَهُ

لوقْعَةٍ، كائنٍ فيها لهُ جَزَرُ

٣١ ـ مقدِّمُ مائتي ألف، لمنزلةٍ

ما إن رأى مثلهم جِنٌّ، ولا بَشَرُ

٣٢ ـ يغشى القناطر، يبْنيْها، ويهدِمُها

مُسَوَّمٌ، فوقهُ الرّاياتُ، والقَتَرُ

٣٣ ـ حتى تكون لهم بالطَّف ملحمةٌ

وبالثَّويَّة، لم يُنْبَضْ بها وَتَرُ

٣٤ ـ وتسْتَبِيْنَ لأقوامٍ ضلالَتُهُمْ

ويستقيم الذي في خدّهِ صَعَرُ

٣٥ ـ ثـم اسـتـقـل بـأثـقـال الـعـراقِ، وقـد
كـانـت لـهُ نِـعْـمَـةُ فـيـهـم، ومُـدَّخَـرُ
٣٦ ـ في نَبْعَةٍ، من قُريشٍ، يعصبون بها
ما إن يُوازَى بأعلى نبْتها الشَّجَرُ
٣٧ ـ تعلُو الهضاب، وَحَلُّوا في أرُومتها
أهلُ الرّباءِ، وأهلُ الفخر، إن فخروا
٣٨ ـ حُشد على الحق، عيافو الخنا، أُنُفُ
إذا ألمَّتْ بهم مَكرْوهةُ صبروا
٣٩ ـ وإن تدجَّتْ على الآفاق مُظلمة
كان لهم مخرج منها، ومُعتصرُ
٤٠ ـ أعطاهم اللَّه جَدًّا، يُنصرون به
لا جَدَّ إلَّا صغيرٌ، بعدُ، مُحْتَقَرُ
٤١ ـ لم يأشَرُوا فيه، إذ كانوا مواليَهُ
ولو يكونُ لقومٍ، غيرهم، أشِرُوا
٤٢ ـ شُمْسُ العداوة، حتى يُستقادَ لهم
وأعظمُ الناس أحلامًا، إذا قَدَرُوا
٤٣ ـ لا يستقلُّ ذوُو الأضغانِ حرْبَهُمُ
ولا يُبَيّنُ في عيدانهم خَوَرُ
٤٤ ـ هَمُ الذين يُبارون الرّياحَ، إذا
قَلَّ الطعامُ على العافينَ، أو قتروا
٤٥ ـ بني أميَّة، نُعماكُمْ مجللة
تَمَّتْ، فلا مِنَّةٌ فيها، ولا كَدَرُ

٤٦ ـ بَــنِـي أمــيَّــة، قــد نــاضــلــتُ دونَــكــمُ

أبـــنـــاءَ قـــوم، هُـــمُ آوَوْا، وهْـــم نَـــصـــرُوا

٤٧ ـ أفحَمتُ عنكم بني النَّجّارِ، قد عَلِمتْ

عُــلــيــا مَــعــدٍّ، وكــانــوا طــالــمــاهــدروا

٤٨ ـ حتى استكانوا، وهُمْ مِنّي على مَضضٍ

والــقــولُ يَــنــفُــذُ مــالًا تــنــفــذ الإبَــرُ

٤٩ ـ بــنــي أمــيــة، إنــي نــاصــح لــكــمُ

فــلا يــبــيــتــنَّ، فــيــكــم، آمــنــا زفَــرُ

٥٠ ـ واتــخــذوه عــدوًّا، إنَّ شــاهِــدَهُ

ومــا تــغــيَّــبَ، مِــن أخــلاقِــهِ، دَعَــرُ

٥١ ـ إنَّ الـضـغـيـنـة تـلـقـاهـا، وإن قـدمـتْ،

كــالــعَــرِّ، يــكــمــنُ حــيــنًــا، ثــمَّ يــنــتَــشِــرُ

٥٢ ـ وقـد نُـصِـرْتَ، أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـنَ، بـنـا

لــمّــا أتــاكَ، بــبــطــنِ الــغــوطَــةِ، الــخــبــرُ

٥٣ ـ يُـعـرِّفـونـك رأس ابـن الـحـبـاب، وقـد

أضــحــى، ولــلــســيــفِ فــي خــيْــشُــومِــهِ أثــرُ

٥٤ ـ لا يـسـمـعُ الـصـوتَ، مُـسـتَـكًّـا مـسـامـعُـهُ

ولــيــس يــنــطــقُ، حــتــى يَــنْــطــقَ الــحــجــرُ

٥٥ ـ أمـسـت إلـى جـانـب الـحـشـاكِ جـيـفـتُـهُ

ورأسُــهُ دُونَــهُ الــيــحْــمُــوْمُ، والــصِّــوَرُ

٥٦ ـ يَـسـألـه الـصـبْـرُ مِـن غـسّـانَ، إذ حـضـروا،

والـحـزنُ: كـيـف قـراك الـغـلـمـة، الـجـشَـرُ؟

٥٧ ـ والحارث بن أبي عوفٍ، لعبنَ بهِ
حتى تعاورَهُ العقبانُ، والسُّبَرُ
٥٨ ـ وقيْس عيلان، حتى أقبلوا رقَصا
فبايعوكَ جهارًا، بعد ما كفروا
٥٩ ـ فلا هدى اللَّه قيسًا، من ضلالتهمْ
ولا لعا لبني ذكوانَ، إذ عَثَرُوا
٦٠ ـ ضجوا، من الحرب، إذ عضَّتْ غواربَهمْ
وقيس عيلان، من أخلاقها الَّضجَرُ
٦١ ـ كانوا ذوي إمَّة، حتى إذا علقتْ
بهم حبائلُ للشيطان، وابتهروا
٦٢ ـ صكوا على شارفٍ، صعْبٍ مراكبُها
حصّاءَ، ليس لها هُلْبٌ، ولا وَبَرُ
٦٣ ـ ولم يزلْ بسُليْم أمرُ جاهلها
حتى تعايا بها الإيرادُ، والصَّدَرُ
٦٤ ـ إذ ينظرونَ، وهمْ يجنون حنظلهمْ،
إلى الزَّوابي، فقلنا: بُعدَ ما نظروا
٦٥ ـ كروا إلى حَرَّتيهِمْ، يعْمُرُونهما
كما تكرُّ إلى أوطانِها البَقرُ
٦٦ ـ فأصبحت، منهمُ، سنجارُ خالية
فالمحْلبيَّات، فالخابورُ، فالسُّرَرُ
٦٧ ـ وما يلاقون فَرَّاصًا إلى نسبٍ
حتى يلاقيَ جدْيَ الفرقَدِ القمرُ

٦٨ ـ ولا الـضـبـاب، إذا اخـضـرت عـيـونـهـمُ
ولا عُـصَـيَّـة، إلا أنَّـهـمْ بـشَـرُ
٦٩ ـ ومـا سـعـى مـنـهـم سـاع، لـيـدركـنـا
إلا تـقـاصـر عـنـا، وَهْـوَ مـنـبـهـرُ
٧٠ ـ وقـد أصـابـت كـلابًـا، مـن عـداوتـنـا،
إحـدى الـدَّواهـي الـتـي تُـخـشَـى، وَتُـنـتـظـرُ
٧١ ـ وقـد تـفـاقـم أمـر غـيـر مـلـتـئـم
مـا بـيـنـنـا فـيـه أرحـامٌ، ولا عُـذرُ
٧٢ ـ أمـا كـلـيـب بـن يـربـوعٍ فـلـيـس لـهـمْ
عـنـد الـتـفـارط إيـراد ولا صـدر
٧٣ ـ مُـخَـلَّـفـون، ويـقـضـي الـنـاس أمْـرَهُـمُ
وهـمْ بـغـيـب، وفـي عـمـيـاء، مـا شـعـروا
٧٤ ـ مُـلـطَّـمُـونَ بـأعـقـار الـحـيـاض، فـمـا
يـنـفـك، مـن دارمـيٍّ، فـيـهـمُ، أثـرُ
٧٥ ـ بـئـس الـصـحـاةُ، وبـئـس الـشَّـربُ شَـرْبُـهُـمُ
إذا جـرى فـيـهـم الـمـزاء، والـسَّـكـرُ
٧٦ ـ قـومٌ تـنـاهـتْ إلـيـهـم كـلُّ فـاحـشـةٍ
وُكـلُّ مـخـزيـةٍ، سُـبَّـتْ بـهـا مُـضَـرُ
٧٧ ـ عـلـى الـعـيـارات هـدَّاجـونَ، قـد بـلـغـتْ
نـجـرانَ، أو حُـدِّثـتْ سـوءاتـهـم هـجـرُ
٧٨ ـ الآكـلـونَ خـبـيـث الـزادِ، وحْـدَهُـمُ
والـسـائـلـون بـظـهـر الـغـيـب: مـا الـخـبـرُ؟

٧٩ ـ واذكر غدانة عِدَّانًا، مزنمة
منَ الحَبَلَّقِ، تُبْنَى حولها الِّصيرُ
٨٠ ـ تمذي، إذا سخُنَتْ في قبل أذرعها
وتزرئمٌّ، إذا ما بَلَّهَا المطرُ
٨١ ـ وما غدانة في شيءٍ، مكَانَهُمُ،
الحابسو الشاء، حتى يفضل السؤرُ
٨٢ ـ يتصلون بيربوعٍ، وَرِفْدُهُمُ
عند الترافُدِ مغمُورٌ، ومحتقرُ
٨٣ ـ صفر اللحى من وقود الأدخنات، إذا
ردَّ الرفاد، وكفَّ الحالبَ، القررُ
٨٤ ـ ثم الإيابُ إلى سُوْدٍ مُدَنسَةٍ
ما تستحم إذا ما احتكت النقرُ
٨٥ ـ قد أقسمَ المجدُ حقًّا لا يحالفهمْ
حتى يُحالف بطن الراحة الشعَرُ

❑ ❑ ❑

وقد أورد الأستاذ في البداية حديثًا تبيَّن لنا فيه كثير مما نحتاج إلى العلم به من أسماء الأشخاص والقبائل الذين ورد ذكرهم في القصيدة، وذلك كما يلي:

١ ـ عبد الملك بن مروان، وهو قرشي من بني أمية، أحد خلفاء هؤلاء. استمع إلى قصيدة الأخطل إثر مرجعه من العراق بعد القضاء على مصعب بن الزبير، وإخضاع الجزيرة حوالي سنة (٦٩ ـ ٧١هـ).

٢ ـ عبد الله بن الزبير، قرشي من بني أسد القرشيين.

٣ ـ عمير بن الحباب السلمي، من بني ذكوان، (قيسي) كان رئيس تغلب على الرغم من أنه من قيس.

٤ ـ زفر بن الحارث الكلابي، من بني كلاب بن ربيعة، وهو وعمير صديقان، ولزفر بن الحارث بيت شعر مشهور هو:

وقد ينبت المرعى على دِمن الثرى   وتبقى حزازات النفوس كما هيا

٥ ـ بنو سُليم: ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ابن مضر.

٦ ـ قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

٧ ـ تغلب: بن وائل بن قاسط بن هنب ابن أفصى بن دُعمى بن جديلة ابن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

٨ ـ بنو ذكوان: بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة ابن خصفة بن قيس عيلان بن مضر.

٩ ـ الضباب: اسمه معاوية بن كلاب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر.

١٠ ـ سوادة: بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر.

١١ ـ بنو كليب بن يربوع (وهم قوم جرير): بنو كليب بن يربوع بن حنضلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر. وقد ألحقهم الأخطل بالقصيدة لتهاجيه

مع جرير ولأنهم زبيرون هواهم مع عبد الله بن الزبير.

١٢ ـ بنو غدانة بن يربوع: بن حنضله (وغدانة وكليب أخوان) ولذا فلا داعي لإعادة ذكر النسب.

وقد ذكرهم الأخطل في القصيدة من أجل السببين السالف ذكرهما.

١٣ ـ الأنصار (أصلهم من الأزد من اليمن) كانوا مع عبد الله بن الزبير، ويقصد بهم الأوس والخزرج.

أما معاني الكلمات فهي كما يلي مرتبة بحسب أرقام الأبيات:

١ ـ (**خف**): يخف خفوفًا: ارتحل مسرعًا. (**القطين**): أهل الديار، الـ(**نوى**): الفراق، (**صرفها**): تصرفها، (**غِيَرُ**): تغيير.

٢ ـ (**استُبد بهم**): غُلبوا على أمرهم وذهب بهم، الـ(**قرقف**): الخمر التي ترعد شاربها. (**جدر وحمص**): موضعان.

٣ ـ (**ذوات القار**): الجوابي والدنان التي تعتق فيها الخمر، وهي تطلى بالقار لحفظ ما فيها؛ (**كلفاء**): من الكلف وهو شدة الحمرة الضاربة إلى الكدرة. (**ينحتُّ**): يزول، و(**المدر**): الطين، و(**خرطومها**): أول ما يصب منها من الخمر.

٤ ـ الـ(**لذ**): هو الملتذ، قال الشاعر:

فراح أصيل الحزم لذًّا مُرَزّأً وباكر مملوعًا من الراح مترعا

(**حميّاها**): سَوْرتها، و(**الخُمَر**): ما يصيب الشارب من الخمار.

٥ ـ (**اللوعة**): حرقة الحب، (**الخبل**): فساد الأعضاء

واضطرابها، **(الأوصال)**: جمع وُصل وهو المفاصل، و**(النُّشر)**: جمع نشرة، والنشرة الرقية من السحر، وقد أراد الأخطل بـ**(النشرة)**: السحر.

٦ ـ **(كوكب)**: مكان في الخابور بأرض الشام، والـ**(زمر)**: الجماعات.

٧ ـ **(الخدور)**: جمع خدر، ويعني به: الهودج الذي تحمله الإبل. البغام: أرق صوت الظبية، **(باغمتها)**: حادثتها برقة. **(الصُّور)**: الدمى كأنهم صور من حسنهن.

٨ ـ **(أبرقت المرأة)**: أظهرت مفاتنها، إما باليد أو الإشارة، أو بالوجه مما يحمل الناظر على أن يحد النظر إليها. **(الاحتبال)**: الإيقاع في الحبَّالة.

٩ ـ **(فلان زهاه الكبر)**: أضعفه، فَلعُلُوِّ سنه يسقط قدره عند المرأة، فيزيد ملقًا لإعراضها عنه.

١٠ ـ **(اللّمة)**: الشعر الذي يغطي الأذنين. **(حنى القوس)**: حُنِيَ ظهرى، **(موترها)**: هو الله سبحانه.

١١ ـ **(يرعوين)**: من ارعوى عن الشيء بمعنى كف عنه، ولقوله: ما **(يرعوين)** في البيت معنى آخر هو: ما ينعطفن، من قولهم: ارعني سمعك، ويقال: فلان لا يرعى إلى قول أحد؛ يعني: لا ينعطف ولا يميل. **(الوطر)**: الحاجة واللبانة.

١٢ ـ **(البارح)**، وجمعه بوارح: هي الرياح الصيفية التي تأتي من الشمال. وهي معروفة في الكويت بهذا الاسم.

(غير مجرى السنة): هي السكة التي تفعلها آلة الحرث، يقول: جف كل شيء أخضر إلا ما يُعتنى به بالزرع والسقي.

١٣ ـ **(عانية)**: نضب ماؤها، وقد شرحها السكري فقال: «العانية: المكلفة بالبكاء، المعناة به، وقوله: **(في تلاقي أهلها ضرر)**: معناه: أن في رجوعهم إلى المجاورة صعوبة»، وفي تلاقيهم شدَّة.

١٤ ـ **(منقضبين)**: منقطعين، **(والشقيق وعين المقسم)**: موضعان.

١٥ ـ **(الغضبة)**: الأرض الصلبة وصخر الوادي، **(شيبان)**: قبيلة معروفة، **(وُغَبر)**: مجموعة من بني يشكر.

١٦ ـ **(ورَّكن القصيم)**: خَلَّفنه وراء أوراكهن، **(والحَفرُ)**: تعني المحفور.

١٧ ـ **(عُجنا من نجائبنا)**: أصلها عجنا نجائبنا؛ أي: أملناها. **(الأُصُل)**: العشيّ. وقوله: **(وقعن)** معناها: نزلن، **(وقد تُحيِّن)**؛ أي: حان لذي الحاجة السفر؛ يقصد نفسه لأن هذا السفر هو ما سوف يرد الحديث عنه.

١٨ ـ **(تعرّينا)**: تخلينا، **(عَرَّاه)**: خَلاه، **(النوافل)**: الهبات. والشاهد على ذلك: قول لبيد:

ما إن تُعَرِّي المنونُ من أحد لا والد شفق ولا ولد

وقول عدي بن زيد:

من رأيت المنون عَرَّ ين أم من ذا عليه من أن يُضام خفي

١٩ ـ (**الغمر**): الماء الكثير. وأراد به المهمات الكبيرة التي يقوم بها، (**الميمون طائره**): المبارك ذو الحظ السعيد.

٢٠ ـ (**الهم**): الانبعاث، (**النجي**): بمعنى النجوى، والباء في قوله بالحزم زائدة؛ أي: يذهب همه حزمُه، (**الأصمع**): الحاد الفؤاد، والأصمع: الحديد الذي كأنه شفرة مسنونة.

٢١ ـ (**المستمر به أمر الجميع**): الذي يحكم ويصلح به أمرهم، والمستمر هنا من أمرّ الحبل، وليست من الاستمرار بمعنى الدوام، (**يغتره**): يظهر له الحسن ويبطن الخبث، بعد توكيد ما يقوم به من أعمال وأحكام.

٢٢ ـ (**الحوالب**): جمع حالب وهو مدد النهر، (**جاشت**): زخرت واضطربت، و(**العشر**) نوع من كبار الشجر، يريد أن الفرات إذا جاش اقتلع في طريقه الشجر.

٢٣ ـ (**ذعذعته**): فرقته، و(**الآذي**): الموج الشديد، والـ(**غُدُر**): جمع غدير، وهو ما غادره السيل أو النهر، وتركه مستقلًا منفصلًا عنه. و(**الجآجئ**): الصدور.

٢٤ ـ (**مسحنفر**): منطلق بشدة، أصله سحفر. (**أكافيف**): مناكب الجبال، واحدها إكاف. (**فيها دونه زور**): مائلة عنه.

٢٥ ـ (**رجل جهير**): رائع جسيم، واجتهره: بهره جماله.

٢٦ ـ (**إلا ريث يبعثه هم الملوك**): لا يستقر إلا بقدر ما تبعثه همته.

وهذا البيت ليس في الديوان، ولكنه في النقائض.

٢٧ ـ (**أشاطوا**): فرقوا وذهبوا باللحم، (**أيسار الجزور**): أجزاؤها.

٢٨ ـ (**طاويًا**): حاجبًا. وهو يشير هنا إلى عبد الله بن الزبير.

٢٩ ـ (**النواجذ**): جمع ناجذ وهو الضرس الذي يلي الناب. و(**الباسل**): كريه الوجه، و(**الذكر**): الصلب العسير.

٣٠ ـ (**مفترش**): بارك، و(**الكلكل**): صدر البعير، والـ(**جزر**) الذبائح، أو القتلى.

٣١ ـ . . . .

٣٢ ـ (**القناطر**): الأنهار، (**مُسوَّم**): معلم بعلامة الحرب، وهي لا تكون إلا للفرسان.

(**القَتَرُ**): الغبار.

٣٣ ـ (**الطَّف**): مكان قرب الكوفة، قتل فيه مصعب بن الزبير. الملحمة المعركة التي فيها اشتباك بالسيوف، فهي حرب صعبة ليس فيها رمي، (**والثوية**): موقع قرب الكوفة.

٣٤ ـ يقصد (**بالأقوام**): اتباع عبد الله بن الزبير، ويقصد (**بالذي في خَدِّه صَعَر**): عبدَ الله ذاته؛ (**والصعر**): هو الميل من الكبر وشدة النخوة.

٣٥ ـ (**استقل**): تحمل، وله نعمة مدخرة، وصنيع كبير.

٣٦ ـ (**النبعة**): شجرة تُؤخذ منها السهام والقسيّ، (**يعصبون بها**): يحيطون بها، ويلزمونها.

٣٧ ـ (**الأرومة**): الأصل، (**الرباء**): الشرف، من ربا يربو؛ أي: زاد. (**حَلُّو**): نزلوا.

٣٨ ـ الـ(**حشد**): المجتمعون، (**عيافو الخنا**): شديدو الكره للفحش، والـ(**أُنُف**): الكرام.

٣٩ ـ (**تدجَّت**): أظلمت، (**المعتصر**): الملجأ.

٤٠ ـ (**الجد**): الحظ. وكل حظ غير حظهم صغير محتقر.

٤١ ـ (**لم يأشروا**): لم يبطروا، (**الموالي**): الأولياء، وقوله: (**مواليه**): أولياؤه الذين يحفظونه.

٤٢ ـ (**شُمْسُ العداوة**): شديدو العداوة يُستقاد لهم: يَنقاد لهم عدوهم.

٤٣ ـ (**لا يستقل**): لا يطيق، (**الأضغان**): الأحقاد، (**يبيَّن**): يظهر، الـ(**خور**): الضعف.

٤٤ ـ (**يبارون الرياح**): من المباراة، إذا هبت فهم جاهزون لإطعام الطعام للمقترين، وهم الفقراء.

٤٥ ـ (**مجللة**): غامرة شاملة، والـ(**كدر**): التنغيص.

٤٦ ـ يريد (**بالقوم**): الأنصار.

٤٧ ـ (**بنو النجار**): هم رهط حسان بن ثابت، و(**أفحمته**): قطعته عن قول الشعر وأسكتُّه.

٤٨ ـ الـ(**مضض**): الوجع.

٤٩ ـ (**زُفَر**): هوزفر بن الحارث أحد بني نفيل بن عمرو بن كلاب.

٥٠ ـ **(الشاهد)**: هو اللسان، يقال: لفلان شاهد حسن. وخبر إنَّ محذوف لوضوحه فكأنه قال: إن شاهده ولسانه ما تعرفون من تزلفه ولكنه يبطن الغدر، والـ**(دعر)**: الفساد.

٥١ ـ **(كالعَرّ)**: كالجرب.

٥٢ ـ **(الخبر)**: هو مقتل عمير بن الحباب، وقد قال عبد الملك للأخطل: بل الله أيَّدني.

٥٣ ـ **(الخيشوم)**: أعلى الأنف.

٥٤ ـ **(المستّك)**: الأصم.

٥٥ ـ **(الحشاك، واليحموم، والصور)**: أسماء لمواضع.

٥٦ ـ **(الصبر)**: حي من غسان، و**(الحزن)**: بنو معاوية من الأزد، غسانيون. و**(الجشر)**: الذين يبعدون بإبلهم وأهلهم يطلبون بقل الربيع وكان عمير بن الحباب يهزأ بهؤلاء ويقول: هم جشر؛ أي: رعاة.

٥٧ ـ **(تعاوره)**: تداولوه فيما بينهم وتنازعوه، والحارث بن أبي عوف مصاب آخر في الحرب، **(لَعبن)**: يقصد الخيل، والعقبان والسبر: أنواع من الطيور.

٥٨ ـ **(رَقَصًا)**: جريًا، **(كفروا)**: جحدوا خلافتك.

٥٩ ـ **(لا لعًا)**: لا أقالهم الله من عثرتهم، ولا رفعهم.

٦٠ ـ **(الغوارب)**: جمع غارب وهو أعلى الكتف.

٦١ ـ الـ**(إمة)**: النعمة، و**(الابتهار)** هنا معناه: قذف الإنسان بالباطل.

٦٢ ـ (**الصك**): الدفع الشديد، الـ(**شارف**): الناقة المسنة التي لا يلين قيادها، الـ(**هلب**): شعر الذنب. الـ(**حصَّاء**): التي لاوبر لها.

٦٣ ـ (**تَعايا**): عجز، ويقصد بجاهل سليم عمير بن الحباب، و(**الإيراد والصدر**): الورود والرجوع.

٦٤ ـ (**يجنون الحنظل**): يقصد أنهم بداة ثم نظروا إلى الأنهار عندنا فطمعوا، و(**الزّوابي**): الأنهار، ومنها الزاب، فما أبعد ما نظروا عنهم.

٦٥ ـ (**حَرَّتيهم**): هي حرة واحدة تسمى حرة بني سليم، ذكر أنها شر مكان بالبادية. ويقال إن الحرَّتين هما: حرة ليلى وحرة شوران.

٦٦ ـ صارت مناطق الجزيرة خالية منهم إثر هزيمتهم.

٦٧ ـ (**فرّاص**) هو: ابن معن بن مالك بن يعصر وقومه من باهلة، ويعتقد الأخطل أنهم من تغلب. جدي الفرقد، مع بنات نعش تُعرف به القبلة، والقمر لا يمر به.

٦٨ ـ (**اخضرت**): اسودت، و(**الضباب**): معاوية بن كلاب، وعُصيه من بني سُليم، يقول: ليس بينهم نسب إلا انتماؤهم لآدم.

٦٩ ـ (**منبهر**): منقطع الأنفاس.

٧٠ ـ. . . . .

٧١ ـ (**تفاقم**): اشتد خلافهم فهم غير مجتمعين، والـ(**أرحام**): الأنساب، و(**العُذرُ**): المعاذير.

٧٢ ـ (**كليب بن يربوع**): رهط جرير، و(**التفارط**): التدافع على الماء، يقول: إنهم لا قيمة لهم في المنازعات.

٧٣ ـ هم مستكينون إلى وضعهم في أرضهم المنخفضة المتطامنة دلالة على الضعف، و(**العمياء**): الجهالة.

٧٤ ـ (**ملطِّمون**): مضروبون، (**أعقار الحياض**)، عقر الحوض: مؤخره حيث تشرب الإبل لأنها تعقره؛ أي: تكسره.

٧٥ ـ (**بئس**): هم من قوم في صحوهم وفي شربهم إذا جرت بينهم الخمرة التي لا لذعة فيها وجرى عليهم السكر.

٧٦ ـ الـ(**مخزية**): الفضيحة التي تخزي صاحبها.

٧٧ ـ (**العيارات**): الحمير، وبنو يربوع يُهجون بأنهم أهل حُمُر، (**هدَّاجون**): يسيرون سيرًا بطيئًا مقارب الخطو، (**نجران وهجر**): موضعان معروفان إلى اليوم، وقد ذكر موضعين متباعدين جدًا للدلالة على انتشار أخبارهم السيئة.

٧٨ ـ لا يأكلون من الزاد إلا الخبيث، وليس لهم من الأمر شيء فهم ـ دائمًا ـ يسألون.

٧٩ ـ (**عدان**): جمع عتود، أصلها عتدان، فأدغمت التاء في الدال لقرب مخرجيهما وسُكنت التاء فصارت: عِدَّانًا. والعتود: صغار المعزى، الحبلَّق: هي أيضًا صغار المعزى، وهي أحقرها وأصغرها وأدمُّها خَلْقًا، (**الصِّير**): جمع صيرة وهي حظيرة للغنم والدواب من الحجارة وأغصان الشحر، مزنمة تحت لحيها زنمة، وهي الزائدة المعروفة في الغنم.

٨٠ ـ (**قُبل اذرعها**): ما تستقبله من أذرعها، (**سخنت**): يقصد في الحر، (**وتزرئم**)؛ أي: تتقبض في البرد.

٨١ ـ يحبسون شاءهم لذلتهم حتى يشربوا ما أبقت بهائم الناس وهو (**السُّؤر**) فهم لا يستطيعون مزاحمة الأشراف حتى يسقوا شاءهم أولًا.

٨٢ ـ (**يتصلون**): ينتسبون، (**رفدهم**): تعاونهم.

٨٣ ـ (**الدخان**): جمعه أدخنة وأدخنات ودواخن، (**الرفاد**): هو القدح الكبير الذي يحلب فيه اللبن، و(**القرر**): جمع قرَّة وهي البرد الشديد.

٨٤ ـ (**ثم الإياب**): وإذا آبوا كان إيابهم إلى (**سود مدنسة**): يقصد نساءهم، و(**النقر**): جمع نقرة ويقصد فروجهن، (**واحتكت**): من الحكة. و(**المدنسة**): القذرة.

٨٥ ـ لم يفسر الشيخ هذا البيت، ولعله قد علم بأنه يروى للنجاشي، وقد ذكر هذا محقق الديوان فخر الدين قباوة، وقال: إن ذلك مثبت في كتاب «خاص الخاص» (ص١٠٦). وإن كان مثبتًا في طبعة الديوان المشار إليها وفي طبعة أوروبا.

ومن الجدير بنا أن نقول: إن هناك خلافًا في الرواية نجدها في كتاب «حماسة ابن الشجري» الذي نقل عن النجاشي الحارثي قوله:

قوم توارث بيت اللؤم أولهم كما توارث رقم الأدرع الحمُرُ
تجنب المجد والمعروف أولهم كما تجنب بطن الراحة الشعَرُ

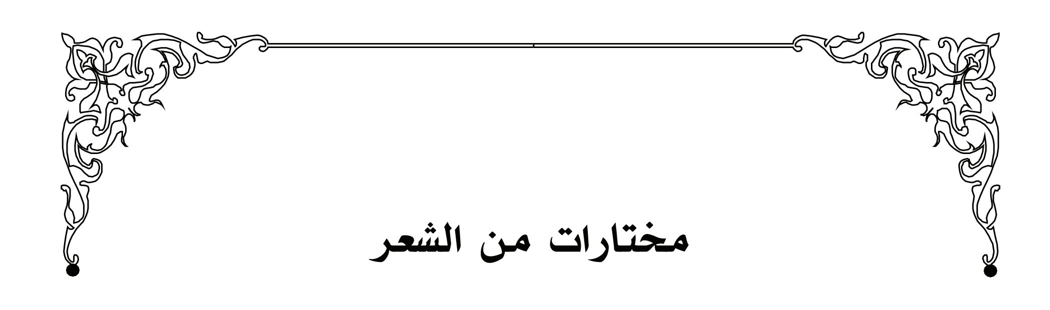
(ص١٢٠)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر أباد الدكن (الهند ١٣٤٥هـ).

ثم إن البيت رقم (٨٥) نفسه، موجود في قصيدة الأخطل رقم (١٥٧) في «ديوانه» (٢/ ٧١٢)، ومطلعها مشابه لمطلع القصيدة المشروحة فهو يقول:

راح القطين من الثغراء أو بكروا وصدَّقوا من نهار الأمس ما ذكروا



مختارات من الشعر



مختارات من الشعر

كان من الممتع في جلسات القراءة على الشيخ أنه يعرض علينا الكثير من قراءاته الشعرية وغيرها، وكان يملي علينا عددًا من المقطوعات في أغراض شتى، وتمتاز اختياراته بالرقة والتعبير عن خفايا النفس الإنسانية مع تنوع شديد في موضوعاتها وتباين في سنوات إنشادها؛ فهي لشعراء متعددين من مختلف عصور الأدب العربي من جاهلي إلى إسلامي إلى أموي وعباسي، وهذه المختارات وجدت أن من غير الملائم أن أغض النظر عنها لأنها كانت جزءًا مهما من الدرس.

ولا شك في أن هذه المجموعة الفريدة تحتاج منا إلى المزيد من الدراسة والشرح، ولكن ذلك يحتاج إلى وقت طويل يؤدي إلى تأخير دروس الشيخ، ولذا فإنني آثرت تقديمها كما هي مع بعض الهوامش التي لا بد منها، آملًا في مستقبل يفسح لي أو لغيري فرصة للعودة إليها.

١

هذه أبيات لكثير عزة، وهي في «ديوانه» (ص٩٥)، وفي «أمالي القالي» (١/ ٦٥، ٦٦):

وكنا سلكنا في صَعود من الهوى فلما توافينا ثبتُّ وزلَّتِ[1]

وكنا عقدنا عُقدة الوصل بيننا فلما تواثقنا شددتُ وحَلتِ

فوا عجبًا للقلب كيف اعترافه وللنفس لما وُطِّئت كيف ذلَّتِ

وللعين أسراب إذا ما ذكرتها وللقلب وسواس إذا العين مَلَّتِ

وإنِّي وتَهيامي بعزةَ بعدما تَخلَّيتُ مما بيننا وتخلَّتِ

لكالمرتجي ظل الغمامة كلما تبوأ منها للمقيل اضمحلَّتِ

فإن سأل الواشون فيم هجرْتَها فقلْ نفسُ حرٍّ سُلِّيت فَتَسَلَّت

٢

قال عمر بن أبي ربيعة (ديوانه ص٤٨٧)[2]:

وَخِلٍّ كنت عين النصح منه إذا نظرتْ ومستمعا مطيعا

أطاف بغيَّة فنهيت عنها وقلت له أرى أمرا شنيعا

أردت رشاده جهدي فلما أبي وعصى أتيناها جميعا

٣

قال مقاعس الكلابي في «حماسة البحتري» (ص١٦):

وضغن بشرتُ له بَشرة فألقى الأمان ولم يحذر

وجئت له من وجوه الرضا بوجه طليق الرضا مُسفر

---

(١) «ديوانه»، بتحقيق: إحسان عباس، إصدار: دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م، وفيه بعض الاختلاف من حيث ترتيب الأبيات.

(٢) إعداد محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٥٢م. وقد أوردها ضمن الشعر الشعر المنسوب إلى عمر بن أبي ربيعة.

فنام وألقى العصا آمنا وأمهلتُ بالمنزل الأقفر
فلما عَدَت كُثُبًا عُدوة عليه، شددت لها مئزري
فجئت على نفسه فلتة بوثبة حزم ولم أمتر

استشهد الأستاذ بالبيت الأخير على أن كلمة فلتة معناها: فجأة.

«حماسة البحتري»، تحقيق: كمال مصطفى، نشر المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، (١٩٢٩م).

٤

قال الشاعر:

فإن يك يومي قددنا وإخاله كواردة يومًا إلى ظمء منهل
وقبلي مات الخالدان كلاهما عميد بن جحوان وابن المضلل

الخالدان: من بني أسد، وهما: خالد بن فضلة ابن الأشتر بن جحوان. وخالد بن قيس بن المضلل ابن مالك بن الأصفر بن منقذ بن طريف بن عمرو بن معين[١].

٥

قال ضمرة بن ضمرة النهشلي:

بكرت تلومك بعد وهن في النَّدى بَسْلٌ عليك ملامتي وعتابي

---

(١) لمعلومات كاملة عنهما راجع: «جنى الجنتين» (ص٤٣)، طبع القدسي، القاهرة ١٣٤٨هـ. ولعل هذين البيتين من قصيدة لمزاحم بن عمر العقيلي التي مطلعها:

خليليّ عرجا بي على الربع نسأل على عهده بالضاعن المتحمل

انظر: «شرح شواهد المغني» للسيوطي (١/ ٤٢٦).

أأصُرُّها وبُنَيُّ عمي ساغب — فكفاك من إبة عليَّ وعاب
أرأيت إن صرخت بليل هامتي — وخرجت منها عاريًا أثوابي
هل تخمشنْ إبلي عليَّ وجوهها — أو تعصبنّ رؤوسها بسلاب
ولقد علمت فلا تظُني غيرها — أن سوف تُخلجني سبيلُ صحابي

(«نوادر أبي زيد»، إلا الثالث والخامس ففي «الأمالي» (**٢/ ٢٧٩**») وضمرة بن ضمرة أحد حكماء بني تميم القدماء، وله ذكر كثير في كتب الأدب والتاريخ. والأبيات في «الوحشيات» منسوبة إلى حِرِّي بن ضمرة النهشلي.

بسل: حرام، إبة: خزي.

٦

وقال ذو الرمة:

إلى ابن أبي مدسى بلال — تكلفت بنا البيد أنقاض الغريرية السجر
مدبَّبة الأيام واصلة بنا لياليَها — حتى ترى واضح الفجر
يُؤَوّبن تأويبًا قليلًا غراره — ويجتبن أثناء الحنادس والقُمر
يُقطّعن أجواز الفضاء بفتية — لهم فوق أنضاء السرى قمم السفر
تمر بنا الأيام ما لمحت لنا — بصيرة عين من سوانا إلى شفر
تقضّين من أعراف لبنى وغمرة — فلما تعرّفن اليمامة عن عُفر
تزاورن عن قران عمدًا ومن به — من الناس وازورت سراهن عن حجر
فأصبحن بالحومان يجعلن وجهة — لأعناقهن الجدي أو مطلع النسر

«ديوانه» (ص**٣٥٦**) طبعة قطر (**١٩٦٥**م) وبه شرح وافٍ للأبيات.

٧

قال الشاعر[(١)]:

وقد علم الجيران أن قدورنا ضوامن للأرزاقِ والريحُ زفزفُ
نُعَجِّل للضِّيفان في المَحْلِ للقِرى قدورا بمعبوط تُمَدُّ وتُغرفُ
تُفَرَّغ في شيزى كأن جفانها حياض جبًى منها ملاء ونُصَّفُ
ترى حولهن المعتفين كأنهم على صنم للجاهلية عُكَّفُ
جنوحًا وفوق الجانحين شُطورهم جنوح وأيديهم جموس ونُطَّف

٨

قال الأخنس بن شهاب:

وقد عشت دهرًا والغُواة صواحبي
أولئك خُلْصَاني الذين أصاحب
رفيقًا لما أعيا وَقُلِّدَ حَبْلُهُ
وحاذرَ جرّاه الصديقَ الأقارب

«المفضليات» القصيدة رقم (٤١).

٩

قال الشماطيط الغطفاني:

أرار اللَّه مُخَّك في السلامى إلى من بالحنين تُشَوِّقينا
فإني مثل ما تجدين وجدي ولكني أسِرُّ وتُعلنينا

(١) الشاعر هو الفرزدق، «ديوانه» (٢/ ٥٥١)، ومطلع قصيدته:
عَزَفتَ بأعشاش وما كدت تعزف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

وبـي مـثـل الـذي بـك غـيـر أنـي أجَـل عـن الـعـقـال وتُـعـقـلـيـنـا

يخاطب الشاعر ناقته، السلامى: أطراف الأصابع في الإنسان وفي البعير، وآخر ما يبقى عنده من المخ عند الهزال فإذا زاد شحمها، وإذا انتهى انتهت، والأبيات في «الحماسة» لأبي تمام، وفيها زيادة بيتين، واختلاف يسير في الرواية.

١٠

أسـكـن إلـى سـكـن تُـسـر بـه ذهـب الـزمـان وأنـت مـنـفـرد

تـرجـو غـدًا وغـدٌ كـحـامـلـة فـي الـحـي لا يـدرون مـا تـلـد

البيتان للشاعر بشار بن برد، ديوانه بتحقيق: محمد شوقي أمين، ونشر لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة (١٩٥٧م). من قصيدة مطلعها:

دع ذكـر عـبـدة إنـه فَـنَـدُ
وتَـعَـزّ تـرفـدُ مـنـك مـا رفـدوا

١١

وقال أعرابي[١]:

ومـا وَجْـدُ مـلـواح مـن الـهـيـم حُـلِّـئـت
عـن الـمـاء حـتـى جـوفُـهـا يـتـصـلـصـلُ

---

(١) غلة: عطشا. الملواح: العطشان، الهيم: الإبل العطشى، يتصلصل: يطلق صوتًا. وردت الأبيات في كتاب «جواهر الأداب» للحصري (١/ ١٩٨). وجاءت كلمة حُلِّئت فيه: خُليِّت.

تــحــوم وتــغــشــاهــا الــعــصــيُّ وحــولــهــا
أقـــاطـــيـــع أنـــعـــام تُـــعَـــلُّ وتـــنـــهـــلُ
بـــأكـــثـــر مـــنـــي غُـــلَّـــة وتـــشـــوُّقًـــا
إلـــى الـــوِرد إلا أنـــنـــي أتَـــجـــمَّـــلُ

١٢

ولأبي محمد التيمي[١]:

إذا كانت الخمسون أمك لم يكن — لــذلــك إلا أن تــمــوت طــبــيــبُ
وإن إمرءً قد سار خمسين حجة — إلــى مــنــهــل مــن ورده لــقــريــبُ
إذا ما انقضى القرن الذي أنت منهم — وخُــلِّــفــت فــي قــرن فــأنــت غــريــبُ

١٣

قال أحد الأعراب[٢]:

وحــديــثــهــا كــالــغــيــث يــســمــعــه — راعــي ســنــيــن تــتــابــعــت جــدبًــا
فــأصــاخ يــرجــو أن يــكــون حــيًــا — ويــقــول مــن فــرح هــيــا ربــا

الحيا: المطر. أصاخ: أمال رأسه إلى مصدر الصوت ليسمعه.

---

(١) جاء اسم الشاعر كاملًا في كتاب «خزانة الأدب» (٤/ ١٧٥) وهو: محمد بن عيسى بن طلحه بن عبد الله التيمي، ولم يورد الأبيات هناك. وأورد القيرواني في كتابه «زهر الآداب» (٢/ ٨٠٥)، البيت الثاني والثالث فقط.

(٢) ذكره السيوطي في كتابه «شرح شواهد المغني» (١/ ٦٣)، وقال إن ثعلب قد ذكر البيتين في أماليه، ولكنه لم يحدد اسم الشاعر.

١٤

قال الشمردل بن شريك اليربوعي:

يُشَبَّهون ملوكًا في تَجِلَّتهم — وطولِ أنضية الأعناق واللِّمم
إذا بدا المسك يندى في مفارقهم — راحوا كأنهُمُ مرضى من الكرم

«الكامل» للمبرد (١/ ٥٧)[١].

١٥

قال أبو ذؤيب الهذلي[٢]:

يقولون لي لو كان بالرمل لم يمت — نُشيْبَة والطُّرَّاق يكذبُ قيلها
ولو أنني استودعته الشمس لارتقت — إليه المنايا عينها أو رسولها

١٦

قال حية بن خلف الطائي، وكان قد خطب امرأة، فقالت له: إنني أرغب بذي مال:

تقول أسماء لما جئت خاطبها — يا حيُّ ما أرَبي إلا لذي مال
أسماء لا تفعليها رب ذي إبل — يغشى الفواحش لا عف ولا نال
الفقر يُزري بأقوام ذوي حسب — وقد يُسَوِّدُ غير السيد المالُ[٣]
والمال يغشى أناسًا لا طباخ لهم — كالسيل يغشى أصول الدندن البالي

---

(١) بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، نشر دار النهضة، مصر، القاهرة.

(٢) «ديوان الهذليين» (١/ ١٧٤)، نشيبة اسم المرئي، والطراق: الكهان، الذين يتوقعون المستقبل.

(٣) في قافية هذا البيت إقواء.

أصون عرضي بمالي لا أدَنِّسُهُ لا باركَ اللَّه بعد العرض في المال
أحتال للمال إن أودى فأكسبُهُ ولست للعرض إن أودى بمحتال

«لسان العرب»، مادة: (طبخ).

وروى «اللسان» البيت الرابع لحسان بن ثابت. لا طباخ لهم: لا عقل لهم. الدندن: الشجر اليابس.

١٧

هجا اللعين المنقري الراجز رؤبة بن الحجاج فقال:

إني أنا ابن جلا إن كنت تنكرني يا رؤب والحية الصمَّاء في الجبل
أبالأراجيز يا ابن اللؤمُ توعدني إن الأراجيز رمز النوك والفشل

النوك: الحمق.

١٨

قال هُدْبة بن خشرم:

وليس أخو الحرب الشديدة بالذي إذا زبنتْه جاء للسلم أخضعا
ولكن أخو الحرب الحديد سلاحه إذا حملتْه فوق حال تشَجَّعا
أخو الحرب لا ينآد للحرب متنه ولا يُظهر الشكوى إذا كان مُوجَعا

زبنته: أحاطت به، ينآد: يضعف وينحني.

١٩

يقول طريف العنبري:

إن قناتي لنبع ما يؤبِّسُها غمز الثقاف ولا دهنٌ ولا نارُ

متي أجِرْ خائفًا تأمن مسارحه　　وإن أخِف آمنا تُغلق به الدارُ
إن الأمور إذا أوردتها صدرت　　إن الأمور لها ورد وإصدار

ما يؤبِّسُها: لا يضعفها.

٢٠

وقال العباس بن مرداس:

إن كنت جلمود صخر ما أؤبِّسُهُ　　أُوقد عليه فأُحميه فينصدعُ
السلم تأخذ منه ما رضيت به　　والحرب يكفيك من أنفاسها جُرَعُ

أؤبسه: أضعفه وأذلِّلُهُ. والبيتان في «لسان العرب»، مادة: (أبس).

٢١

قال أبو حية النميري:

ألا طرقتنا أم عثمان ليلة　　بمدرى وقد كاد السماك يغور
ألمَّت بنشواني كرىً صرعتهما　　بإحدى الفيافي نعسة وفتور
أناخا فلا الأرض التي يطلبانها　　قريب، ولا ليل التمام قصير
أتتك بها تهويمة غمضت بها　　مع الصبح عين لا تنام سَهُور
وبتنا كأنا بيننا لطَمية　　أتتنا بها من سوق أعين عير

البيت الأول فيه شاهد نحوي على دخول ألا على الفعل الماضي.

مدرى: اسم مكان، السماك: نجم.

اللطمية: ما حمل من العطور، سوق أعين: موضع.

والأبيات في حماسة ابن الشجري طبع الهند (١٣٤٥هـ) (ص١٧٤).

٢٢

ويقول نفر بن قيس (جد الطرماح):

ألا قالت بهيشة ما لنفر أراه غيَّرت منه الدهور
وأنت كذاكِ قد غُيِّرت بعدي وكنيت كأنك الشعرى العبور[1]

الشعرى العبور: الشعرى نجم كان بعض العرب يعبدونه في جاهليتهم ويسمونه الشعرى العبور؛ لأنه يقطع السماء عرضًا كما يقولون ولم يقطع السماء نجم غيره، وهناك شعرى أخرى تسمى الغميضاء، والشاعر يشبه صاحبته بالشعرى لجمالها، «الأنواء» (ص٤٦ ـ ٤٧).

٢٣

وقال آخر:

ألا قالت العصماء يوم لقيتها كبرت ولم تجزع من الشيب مجزعا
رأت ذا عصا يمشي عليها وشيبة تقنَّعَ منها رأسُهُ ما تقنعا
فقلت لها لا تهزئي بي فقلَّما يسود الفتى حتى يشيب ويصلعا
وللقارح اليعبوبُ خيرٌ علالة من الجَذع المرضى وأبعد منزعا

(القارح: من ذوي الحافر كالبازل من الإبل. واليعبوب: الفرس السريع. والبازل من دخل في سنته التاسعة).

(١) الأبيات في كتاب «شرح أبيات مغنى اللبيب» للبغدادي (١/ ٣٢١)، ونسبها إلى أعرابي، ورواية أولها: ألا قالت الخنساء.

٢٤

قال الفرزدق[(١)]:

إذا شئتُ غنّاني من العاج قاصف ... علـى مـعـصـم ريـان لـم يـتـخـدد
لـبـيضـاء من أهـل الـمدينـة لـم تـذق ... بـئـيـسًـا وم تـتـبـع حـمـولـة مـجـحـد
نـعـمت بـهـا لـيـل الـتـمـام فـلـم يـكـد ... يُروِّي استقائي هامة الهائم الصدي
وقـامـت تُـخـشِّـيـني زيـادًا وأجـفـلـت ... حـوالـيَّ فـي بـرد يـمـان ومـجـسـد[(٢)]
فـقـلـت دعـيـنـي مـن زيـاد فـإنـنـي ... أرى الموت وقافًا على كل مرصد

٢٥

قال البحتري يصف قصر الفتح بن خاقان[(٣)]:

مقـاصـيـر مـلـك أقـبـلـت بـوجـوهـهـا ... على منظر من عرض دجلة مُونق
كأنَّ الـريـاض الـحُـوَّ يـكـسـيـن حـولـهـا ... أفـانـيـن مـن أفـواف وشـي مـلـفـق
إذا الـريـح هـزّتْ نَـوْرهـن تـضـوعـت ... روائـحـه مـن فـار مـسـك مـعـتـق
كأن القباب البيض، والشمس طلقة ... تُضاحكها، أنصافُ بيض معلَّق
ومـن شـرفـات فـي الـسـمـاء كـأنـهـا ... قـوادم بـيـضـان الـحـمـام الـمـحـلـق

---

(١) «ديوانه»، بتحقيق: عبد الله الصاوي، ونشر المكتبة التجاريه الكبرى بالقاهرة (١٩٣٦م)، (١/ ١٨٠). وفي الديوان ثلاثة أبيات بعد هذه الأبيات. ورواية البيت الثاني فيه:

لبيضاء من أهل المدينة لم تعش ... ببؤس ولم تتبع حمولة مجحد

(٢) المجسد: ثوب مصبوغ بالزعفران.

(٣) «ديوانه» (٢/ ١٥١٠)، طبع دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م، بتحقيق: حسن كامل الصيرفي.

٢٦

وللبحتري أيضًا[١]:

ولقد أبيت مع الكواكب راكبًا ... أعجازها بعزيمة كالكوكب
والليل في لون الغراب كأنه ... هو في حلوكته، وإن لم ينعب
والعيس تنصل من دجاه كما انجلى ... صبغ الشباب عن القذال الأشيب
حتى تَجلَّى الصبح في جنباته ... كالماء يلمع من وراء الطُّحلب

٢٧

أقمنا مكرهين بها فلما ... ألفناها خرجنا كارهينا
وما حب الديار بنا ولكن ... أمرَّ العيشَ فرقة من هوينا

٢٨

قال الشريف الرضي[٢]:

طال ذكر النفس اروا ... حَ زرود وبروقَهْ
وعقابيل غرام ... تذكر القلب خفوقه[٣]
وخيال دلَّس القلـ ... ـب على العين طروقَه
كذبٌ يحبه الصب ... من الشوق حقيقه
انعمي يا سرحة الحـ ... ـي وإن كنت سحيقَه

---

(١) ديوانه، طبع دار المعارف بالقاهرة (١٩٦٣م)، (١/ ٨٠).

(٢) «ديوانه» (٢/ ٥٤٩)، طبع بيروت (١٣٠٧هـ). ومطلعها:

خلِّ دمعي وطريقه ... أحرام أن أريقه؟

(٣) العقابيل: بقايا المرض.

أتمنى لك أن تبقيْ على النأي وريقَه
ثمر حرم واشيك علينا أن نذوقَه

٢٩

قال أبو نواس:[1]

يا شقيق النفس من حكم نِمْتَ عن لَيْلي ولم أنَمِ
فاسقني الكأس التي اختمرت بخمار الشيب في الرحم
ثُمَّتَ انصات الشباب لها بعد أن جازت مدى الهرم
فهْي لليوم الذي بُزلت وهي ترب الدهر في القِدَم
عُتِّقت حتى لو اتصلت بلسان ناطق وفم
لاحتبت في القوم ماثلة ثم قصت قصة الأمم
فرّعتها بالمِزاج يَدٌ خُلقت للسيف والقلم
في ندامى سادةٍ زُهُرٍ أخذوا اللذات من أمَم
فتمشت في مفاصلهم كتَمشِّى البُرء في السقم
فعلت في البيت إذ مُزجت مثل فعل الصبح في الظُّلَم
فاهتدى سارى الظلام بها كاهتداء السَّفر بالعلم

٣٠

قالت ليلى الأخيلية:

فذر ذا ولكنِّي تمنيت راكبًا إذا قال قولًا صادقًا لم يُكذب
له ناقة عندى وسَاعٌ وكورها كلا مرفقيها عن رحاها بمجنب

(١) «ديوانه» (ص٤١)، طبع دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٣م.

إذا حركتها رجله جنحت به ... جنوح القطاة تنتحي كل سبسب
جنوح قطاة الوِرْد في عُصُب القطا ... قَرِبن مياه النِّهي من كل مقرب
فغادين بالأجزاع فوق صُوائق ... ومدفع ذات العين أعذب مشرب
فظلن نشاوى بالعيون كأنها ... شروب بدت عن مرزبان محجَّب
فنالت قليلًا شافيًا وتعجَّلت ... لنادلها بين الشباك وتنضب
وضمت إلى جوف جناحًا وجُؤجُئًا ... وناطت قليلًا في سقاء محبب
إذا فترت ضرب الجناحين عاقبت ... على شزنيها منكبًا بعد منكب
فلما أحسا جَرْسَهَا وتضوَّرا ... وأوبتها من ذلك المتأوَّب
تدلت إلى حص الرؤوس كأنها ... كرات غلام من كساء مُضرَّب
فلما انجلى عنها الدجى وسقتهما ... صبيب سقاء نيط لما يُخرب
غدت كنواة القسب عنها وأصبحت ... تُراطنها ذرية لم تُعَرَّب

ليلى الأخيلية هي: ليلى بنت حذيفة بن شداد وسميت الأخيليلة؛ لأنها تنتمي إلى الأخيل وهو كعب بن معاوية، هكذا ورد في «منتهى الطلب» (١/ ٢٣٦)، ومطلع قصيدتها:

طربت وما هذا بساعة مطرب ... إلى الحي خَلُّوا بين عاذٍ فحُبحُب

وعاذ: موضع، أما حُبحُب: فهو موضع ماء بنواحي اليمامة.

رحاها: كركرتها التي في صدرها. الناقة الوساع: الضخمة الخلقة.

السبسب: الأرض القفر المستوية.

العصب: جمع عصبة وهي الجماعة، النِّهى؛ بكسر النون: الغدير. غادين: بكَّرن، والأجزاع: منقطعات الوديان، الصوائق: اسم جبل قرب مكة، ومدفع ذات العين: مكان اندفاع الماء من العين نالت قليلًا من الماء، ولكنه كان شافيًا لها من العطش حتى تصل إلى موضع بين موضعين هما الشباك وتنضب. وكانت ومن معها قد ظللن نشاوى كأنهن قوم يشربون في حضور المرزبان وهو الرئيس عند الفرس.

وضمت إلى الداخل بين جناحيها جوفها وصدرها وعلقت أو كأنها علقت سقاء من الجلد بسبب الماء الذي حصلت عليه، شُزنيها: جانبيها، هي تضرب بجناحيها طائرة تهدأ مرة وتنشط أخرى مترابطة مع أمثالها.

جرسها: صوتها، والذين أحسُّوا بذلك هم فراخها، وهم يتضورون جوعا، وينتظرون عودتها. بعد ذلك هبطت على فراخها، حص الرؤوس: لا ريش عليهم وكأن الرؤوس كرات بيد طفل.

فلما انجلت الظلمة سقتهما، بما يشبه السقاء الذي ليس له عروة يصب عليهما قليلًا قليلًا من الماء.

وقد بدت بعد ذلك كنواة التمر اليابس (نوى القسب)؛ لأنها أفرغت ما في حوصلتها لهما، وأصبحت تراطنهما بلغة تفهمهما ويفهمانها بها إذ إن هذا النسل لم يُعَرَّب حتى يعرف اللغة التي نتحدث بها.

٣١

قالت الخنساء ترثي أخاها:

ألا يا صخر لا أنساك حتى ... أفارق مهجتي ويُشَقُّ رمسي

يذكرني طلوع الشمس صخرًا ... وأذكره لكل غروب شمس

فلولا كثرة الباكين حولي ... على إخوانهم لقتلت نفسي

ولكن لا أزال أرى عَجولًا ... ونائحة تَنوحُ ليوم نحس

هما كلتاهما تبكي أخاها ... عشية رزئه أوغب أمسِ

وما يبكين مثل أخي ولكن ... أسلِّي النفس عنه بالتأسِّي(١)

٣٢

وقال الحطيئة(٢):

سرينا فلما أن أتينا بلاده ... أقمنا وأرتعنا بخير مريع

رأى المجد والدفاع يبنيه فابتنى ... إلى ظل بنيان أشم رفيع

تفرستُ فيه الخير لمَّا لقيته ... لما أورث الدفاع غير مضيع

فتى غير مفراح إذا الخير مَسَّهُ ... ومن نكبات الدهر غير جزوع

بنى لك باني المجد فوق مُشَرِّفٍ ... على مصعب يعلو الجبال منيع

فذاك فتى إن تأته في صنيعة ... إلى ما لِهِ لا تأته بشفيع

---

(١) ديوانها: طبع بيروت، دار الفكر، (ص٨٧)، وفيها خلاف.

(٢) «ديوان الحطيئة»، بتحقيق: نعمان أمين طه. نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م، (ص٧٣). والشاعر يمدح هنا طريف بن دفاع بن طريف الحنفي وأول الأبيات:

تبينت ما فيه بخفاق إنني ... لذو فضل رأي في الرجال سريع

خفاق: اسم موقع.

الدفَّاع: والد الممدوح، الصنيعة: العمل الطيب الذي يطلب إليه أن يعمله.

٣٢

قال عنترة:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك ... إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
إذ لا أزال على رحالة سابح ... نهد تعاوره الكماة مكَلَّم
طورًا يُجرَّدُ للطعان وتارة ... يأوي إلى حُصْن القسي عرمرم
يخبرك من شهد الوقيعة أنني ... أغشى الوغى وأعِفُّ عند المغنم

بما لم تعلمي؛ أي: عما لم تعلمي، حصن القِسِيّ: حكها وشد أوتارها، وهي ـ أيضًا ـ إشارة إلى كثرتها.

هذه الأبيات من معلقة عنترة بن شداد المشهورة، ومطلعها:

هل غادر الشعراء من متردم ... أم هل عرفت الدار بعد توهم

واختار شيخنا منها أيضًا:

وكأن فارة تاجر بقسيمة ... سبقت عوارضها إليك من الفم
أو روضة أُنُفًا تَضَمَّن نبتها ... غيث قليل الدمْن ليس بمعلم
جادت عليها كلُّ عين ثرَّة ... فتركن كل قرارة كالدرهم

وعلق بقوله: إذا كان المطر من جهة القبلة فهو مطر العين، وكانت العرب تقول: إذا نشأت السحابة من جهة العين فإنها لا تكاد تُخْلف. وفي الحديث: إذا نشأت بحرية ثم تشاءمت (جهة الشام) فتلك عين غديقة. والعين مطرُ أيام لا يُقلع.

الرحالة: السرج، السابح: الفرس السريع، النهد: الضخم، الكماة: الفرسان، والمكلّم: المجروح. العرمرم: الكثير. الوقيعة والوغى: كلاهما الحرب. أغشى: أخوض. فأرة تاجر: بضاعته من المسك.

٣٤

قال أبو الجورية العنزي[١]:

متى تُغلق الأبواب دونيَ يَكْفني ... ندى العنزيين الطوال الشقاشق
هُمُ من نزار حين يُنسبُ أصلهم ... مكان النواصي من وجوه السوابق
على موسريهم حق من يعتريهُمُ ... وعند المقلين اتساع الخلائق

بهم يجبر الله الكسير ويُطلق الأسير ويُنجي من عظام البوائق.

البوائق: جمع بائقة وهي الداهية.

٣٥

قال أبو حية النميري:

جزى اللَّه أيام الفراق ملامة ... ألا كل أيام الفراق مُليم
أري الناس أني قد برئت ... وإنني لَمرمي أحناء الفؤاد سقيم
فيا عجبًا من قائل لي أوده ... أشاط دمي، شيء عليّ كريم
سقى اللَّه أيامًا تلافين هامتي ... بريٍّ وكانت قبلهن تحوم
وقد طالعتنا يوم أسفل عالج ... كذوب المنى للسائلين حَرُوم

---

(١) الأبيات في «المؤتلف والمختلف» للآمدي، طبع القدسي، القاهرة (ص٨٠).

رمــتــنــي وســتــر الــلَّــه بــيــنــي وبينها عشية آرام الكِناس رميم
ألا رُبَّ يـوم لـو رمـتـنـي رمـيـتـهـا ولـكـن عـهـدي بـالـنـضـال قـديـم

(هذه الأبيات مذكورة في «حماسة ابن الشجري») (ص١٥٣).

٣٦

قال أحد بني كلاب:

فمن يكُ لم يغرض فإني وناقتي بحجر إلى أهل الحمى غرضان
أليفًا هوًى مثلان في سِرٍّ بيننا ولكننا في الجهر مختلفان
تحنّ فتبدي ما بها من صبابة وأخفي الذي لولا الأسى لقضاني

روى صاحب معجم البلدان هذه الأبيات في مادة: (الحمى) بهذا الترتيب، ورواها صاحب كتاب «الزهرة»، وقدم قبلها هذين البيتين وزعم أنها لامرأة من دارم، وهما:

ألا أيـهـا الـبـكـر الأبـانـي إنـنـي وإيـاك فـي كـلـب لـمـغـتـربـان
تـحـنَّ وأبـكـي، إن ذا لـبـلـيَّـة وإنا على البلوى لمصطلحان

والصواب أن هذين البيتين لهذه المرأة ليسا من أبيات الكلابي، أما الأبيات التي فيها (هوى ناقتي عندي وقدامي الهوى) فهي من شعر عروة ابن حزام في نونيته المشهورة التي أولها:

خليليَّ من عليا هلال بن عامر بصنعاء عوجا اليوم وانتظراني

وهي قصيدة طويلة رواها صاحب «الأمالي» في الجزء الثاني (ص١٥٨، وأما الأبيات التالية فهي لابن الدمينة رواها صاحب

كتاب «الأشباه والنظائر»، وألحقها الأستاذ راتب النفاخ بآخر ديوان ابن الدمينة (ص١٩٨). وهي:

أيا كبدينا أجملًا قد وجدتما ... بأهل الحمى ما لم تجد كبدان
إذا كبدانا خافتًا صرف نية ... وعاجلَ بَيْنٍ ظلَّتا تجِبان
يُخبِّر طرفانا بما في قلوبنا ... إذا استعجمت بالمنطق الشفتان

تجبان: تخفقان.

٣٧

نُسبت هذه الأبيات السينية إلى نعيم بن حارث السعدي، ونسبت في «معجم الشعراء» إلى الهذلول بن كعب العنبري، وكذلك في «الحماسة». وقد قدم كتاب «الحماسة» لهذه القصيدة بمقدمة ذكر فيها أن الهذلول بن كعب العنبري تزوج امرأة، فرأته يطحن، فضربت صدرها وقالت: أهذا زوجي، فبلغه ذلك عنها، فقال:

تقول ودقت صدرها بيمينها ... أبعليَ هذا بالرحى المتقاعس
فقلت لها لا تعجلي وتبيَّني ... فعالي إذا التقَّتْ عليَّ الفوارس
ألستُ أرد القِرن يركب ردعه ... وفيه سنان ذو غرارين يابس
وأحتمل الأوق الثقيل وأمتري ... خلوف المنايا حين فرَّ المغامس
وأقري الهموم الطارقات حزامة ... إذا كثرت للطارقات الوساوس
إذا خام أقوام تَقَحَّمتُ غمرة ... يهاب حُميَّاها الألدُّ المداعس
لعمر أبيك الخير إني لخادم ... لضيفي، وإني إن ركبت لفارس

وإني لأشري الحمد أبغي رباحه وأترك قرني وهو خزيان ناعس

المتقاعس: الذي دخل ظهره، وخرج صدره، وهذه هي صفته عندما جلس للرحى. ذو غرارين: ذو حدين، الأوق: الثقل، والامتراء: الحلب، والخلوف: ضرع الناقة، الحزامة: اليقظة، خام: جَبُن، المغامس: المشتغل بالمعركة، الحميا: الخطوب.

وزعم ابن جني أن من رواه (يابس) فقد أفحش في التصحيف، والرواية (نائس) بالنون من ناس ينوس إذا تحرك واضطرب. وأخطأ ابن جني فإن النوس للقرط، فهو يتذبذب متدليًا، وناست الغديرة، والرمح لا يعلق ولا يمدح بأنه يتذبذب متدليا، وأما (يابس) فهو وصف للسنان والسنان يحمد فيه أن يكون من حديد ذكر؛ أي: صُلب، وهو الذي عناه الشاعر بقوله: يابس، وإنما تبع ابن جني ما ظن أن أبا تمام غيَّره في «الحماسة» (هكذا قال شيخنا).

٣٨

يقول عمرو بن أحمر الباهلي:

وما بيضات ذي لبد هجفٍّ سُقين بزاجل حتى روينا
وُضعن فكلُّهن على غرار هجان اللون قد وسقت جنينا
يبيت يحفُّهن بقفقفيه ويلحقهن هفافا ثخينا

«المعاني الكبير» (ص٣٥٧). ورواية الشطر الثاني من البيت الثاني:

«حَصَان الجيب قد وسقت جنينا»

هذا الشاعر يصف ذكر النعام (الظليم) وهو يحضن بيضه،

اللبد: الريش، هِجِّف: غليظ جاف، والزاجل: ماء الظليم في مقابل ماء الرجل. هجان اللون: أبيض اللون، قد وسقت: حملت، قفقفيه: جناحيه، على غرار: إذا درت الناقة ثم نفرت رجعت درتها.

٣٩

قال عدي بن زيد:

من رآنا فليحدث نفسه | أنه موفٍ على قَرن زوالِ
فصروف الدهر لا يبقى لها | ولما تأتي به صممٌّ الجبالِ
رُبَّ ركب قد أناخوا حولنا | يشربون الخمر بالماء الزلالِ
والأباريق عليها فُدُمٌ | وجياد الخيل تجري في الجِلالِ
عمروا الدهر بعيش حَسَنٍ | قطعوا دهرهُمُ غير عجالِ
عصف الدهر بهم فانقرضوا | وكذاك الدهر حال بعد حالِ

الفُدُم: جمع فدام، وهو راووق أبريق الخمر، يوضع حتى تصب الخمر من الإبريق صافية.

أما سبب قوله لهذا الشعر فإن النعمان بن المنذر نزل في ظل شجرة مورقة، فقال له عدي، وكان له نديمًا: أبيت اللعن، أتدري ما تقول هذه الشجرة؟ قال: وما تقول؟ قال: إنها تقول، وذكر الأبيات، ثم إنه رحل فمر بمقبرة، فقال له عدي: أتدري ما تقول؟ قال: ماذا؟ قال إنها تقول:

أيها الركب المخبُّو | ن على الأرض مُجِدُّونا
كما أنتم كذا كنا | كما نحن تكونونا

مر الشريف الرضي بالحيرة سنة (٣٩٢هـ)، فقال يذكر آل المنذر بن ماء السماء[(١)]:

أين بانوك أيها الحيرة البيضاء ... والموطؤون منك الديارا
والأولى شققوا ثراك من العشب ... وأجروا خلالك الأنهارا
المهيبون بالضيوف إذا ... هبت شمالًا والموقدون النارا
كلما باخ ضوؤها أقضموها ... بالقبيبات منندليًا وغارا
ربطوا حولك الجياد وحطوا ... لك في مركز العوالي عِذارا
وحموا أرضك الحوافر حتى ... لَقَّبُوا أرضها خدود العذارى
لم يدع منك حادث الدهر ... إلا عِبَرًا للعيون واستعبارا
وبقايا من دارسات طُلول ... خَبَّرتنا عن أهلها الأخبارا
عبقات الثرى كأن عليها ... لَطَميين ينفضون الغبار
وقباب كأنما رفعوا منـ ... ـها لمسترشد الظلام منارا
عقدوا بينها وبين نجوم الأفْـ ... ـق من سالف الليالي جِوارا
أين عُقبانك الخواطفُ حَلَّقْـ ... ـن وأبقين عندك الأوكارا
ورجال مثل الأسود مشوافيـ ... ـك، تداعوا قوائمًا وشفارا
حبذا أهلك المحلُّونَ أهلًا ... يوم بانوا وحبذا الدار دارا
لم يكونوا إلا كركب تأنَّى ... برهة في مُناخه ثم سارا

---

(١) «ديوانه» (١/ ٣٩٣).

٤١

قال امرؤ القيس يصف شعره[١]:

فإن أهلك فقد أبقيتُ بعدي ... قوافيَ تُعجب المتمثلينا
لذيذات المقاطع محكمات ... لو أنّ الشعر يُلبس لارتُدينا

٤٢

وقال شاعر يصف امرأة:

إذا ما مشت نادى بما في ثيابها ... ذكيُّ الشذا والمندلي المعطَّرُ

المندلي: طيب منسوب إلى مندل وهي بلدة في الهند، والغار: ورق ضرب من الشجر طيب الرائحة يُتطيب به.

٤٣

وقال آخر:

إن لي عند كل نفحة بستا ... ن من الورد أو من الياسمينا
نظرة والتفاتة أتمنى ... أن تكوني حللتِ فيما يلينا

(الشعر لمالك بن أسماء، أحد شعراء الفترة الأموية ترجمته في «الأغاني» (١٧/ ٢٣٠)، ومعه بيتان هما:

وحديث ألذهُ هو مما ... يَنْعت الناعتون يُوزن وزنًا
منطق صائب وَتلحن أحيًا ... نا، وأحلى الحديث ما كان لحنا

(١) ليسا في «ديوانه».

٤٤

ومن قول الشريف الرضي في الحيرة[١]:

مازلت أطَّرق المنازل بالنوى ... حتى نزلت منازل النعمان
بالحيرة البيضاء حيث تقابلت ... شم العماد عريضة الأعطان
شهدت بفضل الرافعين قبابها ... وَيَبين بالبنيان فضل الباني
ما ينفع الماضين إن بنيت لهم ... خطط مُعمَّرة بعمر فان
ورأيت عجماء الطلول من البلى ... عن منطق عربية التبيان
باق بها حظ العيون وإنما ... لاحظ فيها اليوم للآذان
زفر الزمان عليهم فتفرقوا ... وجلَوا عن الأوطار والأوطان

٤٥

قال زهير بن أبي سُلمى[٢]:

وقد أغدو على شرب كرام ... نشاوى واجدين لما نشاءُ
لهم راح وراووق ومسكٌ ... تُعَلُّ به جلودهم، وماءُ
أمشّي بين قتلى قد أصيبت ... نفوسهم ولم تقطر دماء
يجرُّون البرود وقد تمشَّت ... حميا الكأس فيهم والغناء

---

(١) «ديوانه» (٢/ ٨٨٥).
(٢) «ديوانه» (ص٦٥)، بتحقيق: فخر الدين غباوة، نشر دار الفكر، بيروت ١٩٨١م.

٤٦

قال جميل بثينة[١]:

فما بكت النساء على قتيل ... بأشرف من قتيل الغانيات
بلى، ندمان صدق بات يُسقى ... تضمنه أكُفُّ الساقيات
فلما مات من طرب وسكر ... رددن حياته بالمسمعات
فقام يَجُر عطفيه خُمارا ... وكان قريب عهد بالممات

٤٧

قال الأحوص؛ عبد الله محمد الأنصاري:

سقيًا لربعك من ربْع بذي سلم ... وللزمان به إذ ذاك من زمن
إذ أنتِ فينا لمن ينهاك عاصية ... وإذ أجرُّ إليكم سادرًا رسني

للأحوص ديوان مطبوع، وله أبيات في حماسة أبي تمام، وترجمة في «طبقات فحول الشعراء»، والبيتان في «ديوانه» (ص٢٠٩).

وكان قد نفي إلى جزيرة (دهلك).

٤٨

قال ذو الرمة[٢]:

لها بشرٌ مثل الحرير ومنطق ... رخيم الحواشي لا رهاء ولا نَزْرُ
وعينان قال اللَّه كونا فكانتا ... فعولان بالألباب ما تفعَلُ الخمر

(١) ليس في «ديوانه».
(٢) «ديوان» (ص٢٩٧).

قال المتلمس الضبعي:

أعـاذلُ إن الـمـرء رهـن مـصـيـبـة　　صريع لعافي الطير أو سوف يرمس

فـلا تـقـبـلـنْ ضـيـمـا مـخـافـة ميتة　　وَمُـوتَـنْ بـهـا حـرًا وجـلـدك أمـلـس

فـمـا الـنـاس إلا مـا رأوا وتـحـدثـوا　　وما العجز إلا أن يُضاموا فيجلسوا

فـمـن طـلـب الأوتـار مـا حزَّ أنـفـه　　قصير، وخاض الموت بالسيف بيهس

نـعـامـة لـمـا صـرَّع الـقـوم رهـطـه　　تـبـيَّـن فـي أثـوابـه كـيـف يـلـبـسُ

وكان نعامة قد قال:

إِلـبـس لـكـل حـالـة لـبـوسـهـا　　إمـا نـعـيـمـهـا وإمـا بـؤسـهـا

الشعر في «ديوان المتلمس الضبعي» (ص١٠١)، المطبوع في سنة (١٩٧٠م) بعناية جيدة من حسن كامل الصرفي، وفيه تفصيل شديد عن القصيدة ومصادرها، وشرح معاني أبياتها، مع إكمالها إلى ثلاثة عشر بيتًا.

عافي الطير: طالب الرزق الجائع من الطيور.

يرمس: يدفن ويقبر.

الضيم: هو الظلم. جلدك أملس: لم يصبك عار.

الأوتار: جمع وِتر وهو الثأر.

حز قصير أنفه: تذكير بالمثل القديم. وله قصة مشهورة. بيهس هو رجل يضرب به المثل في الحمق، ونعامة لقب لبيهس.

٥٠

قال سويد بن عامر المصطلقي:

لا تأمنَنَّ وإن أمسيت في حرم إن المنايا بجنبيْ كل إنسان
واسلك طريقك فيها غير محتشم حتى تلاقيَ ما يمني لك الماني
فالخير والشرُّ مقرونان في قرن بكل ذلك يأتيك الجديدان

قال رسول الله حين سمعها: «**لو أدرك هذا الإسلام**». المنايا: جمع منية، وهي الأجل الموقوت.

الأبيات في «خزانة الأدب» (٤/ ١١٣)، و«أمالي المرتضى» (١/ ٣٦٨).

٥١

رويت هذه الأبيات لأمية بن أبي الصلت:

اقترب الوعد والقلوب إلى الـ ـلهو وحب الحياة سائقها
باتت همومي تسري طوارقها أكف عيني والدمع سابقها
ما رغبة النفس في الحياة وإن عاشت قليلًا فالموت لاحقها
وأيقنت أنها تعود كما كان براها بالأمس خالقها
وأنَّ ما جمَّعت وأعجبها من عيشها مرة مفارقُها
يوشك من فر من منيته في بعض غِّراته يوافقها
من لم يمت عبطة يمت هرمًا للموت كأس فالمرء ذائِقُها

وزاد في «الأمالي» بيتًا خامسًا هو:

يقودها قائد إليه ويحـ ـثوها حثيثًا إليه سائقها

وهو ينسبها إلى رجل خارجي، بينما يؤكد الأستاذ أن الأبيات

كلها لأمية بن أبي الصلت، وأن الخارجي قد يكون استشهد بها عند قتله[1].

وقد ذكر المبرد في كتابه «الكامل» البيتين الآتيين:

يوشك من فر من منيته ... في بعض غراته يوافقها

من لم يمت عبطة يمت هرما ... للموت كأس فالمرء ذائقها

ونسبها محققًا الكتاب إلى أمية بن أبي الصلت، اعتمادًا على حاشية أصل الكتاب.

واستطرد المبرد قائلًا:

«قال أبو الحسن: هذه أبيات أربعة وهي لرجل من الخوارج قتله الحجاج[2]:

ما رغبة النفس في الحياة وإن ... عاشت قليلًا فالموت لاحقها

وأيقنت أنها تعود كما ... كان براها بالأمس خالقها

«(١/ ٧٠) بتحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاتة).

٥٢

قال أبو حية النميري[3]:

لبسنَ الموشّى العصب ثم مشت به ... لطاف الخطى بُدْنٌ عظام المآكم

يُدَرِّين بالداريِّ كل عشيةٍ ... وَحُمِّ المداري كل أسحم فاحم

---

(١) انظر: «خزانة الأدب» (٣/ ٤٧).

(٢) تتكون الأبيات الأربعة من هذين البيتين وما ذُكر قبلهما.

(٣) «منتهى الطلب» (٧/ ٢١٧) مع اختلاف قليل في الرواية.

إذ اللهو يطبيني وإذ أستميلهُ ... بمحلولك الفودين وحف المقادم
وخبَّرك الواشون أن لن أحبكم ... بلى وستور اللَّه ذات المحارم
أصد وما الصد الذي تعلمينه ... شفاء لنا إلا اجتراع العلاقم
حياء وبقيا أن تشيع نميمة ... بنا وبكم، أفٍّ لأهل النمائم

٥٣

قال أبو الأسود الدؤلي يصف عجوز[1]:

أبا القلب إلا أمَّ عمرو وحبها ... عجوزًا، ومن يُحبب عجوزًا يُفند
كسحق اليماني قد تقادم عهد ... ورقَّعته ما شئت في العين واليد

يقصد بالسحق اليماني: البُرْد الذي يُصنع هناك.

٥٤

وقال الشاعر:

بليت كما يبلى الرداء ولا أرى ... جنابًا ولا أكناف ذروة تخلق
ألوّي حَيَازيمي بهن صبابةِ ... كما يتلوَّى الحية المتشرقُ

٥٥

وقال آخر:

لم أُعْطها بيدي إذ بت أرشفها ... إلا تطاول غصن الجيد للجيد
كما تطاعم في خضراء ناعمة ... مطوقان أصاخا بعد تغريد

التطاعم في الحمام: التقبيل.

---

(١) «ديوانه»، بتحقيق: عبد الكريم الدجيلي ١٩٥٤م، (ص١٤٥).

٥٦

قالت فتاة عربية:

أيُزْجَرُ لاهينا وَنُلْحَى على الصِّبا ... وما نحن والفتيان إلا شقائق

يَؤُبن حبيبات مرارًا كثيرة ... وتنباق أحيانًا بهن البوائق

٥٧

وقال علباء بن أرقم في الأصمعية رقم (٥٥):

فيومًا توافينا بوجه مُقسَّم ... كأنْ ظبية تعطو إلى ناظر السَّلَمْ

ويومًا تريد ما لنا مع ما لها ... فإن لم نُنِلْها لم تنمنا ولم تنمْ

نبيت كأنا في خصوم عرامة ... وتسمع جاراتي التألِّيَ والقسم

تعطو: تتناول، السلم: نوع من الشجر، عرامة: شراسة، التألِّي والقسم: الحلف.

٥٨

أنشد ابن سلام لأبي كبير الهذلي:

وإنِّي لمستسق لها اللَّه كلما ... لوى الدين معتل وشحَّ غريمُ

سحائبَ لا من صيِّب ذي صواعق ... ولا مخرفات ماؤهن حميم

ولا مخلفات حين هجن بنسمة ... إليهن هوجاء المهبِّ عقيم

إذا ما هبطن القاع قد مات نبته ... بكين به حتى بعيش هشيم

الحميم: المطر الذي يأتي في الصيف حين تسخن الأرض، انظر: «زهر الآداب» للقيرواني (٢/ ٨٥٤)، وقد مرت بيانات هذا الكتاب.

٥٩

قال الشاعر:

وأرى أربد قد فارقني ... ومن الأرزاء رزء ذو جللْ

ممقر مُرٌّ على أعدائه ... وعلى الأدنين حلو كالعسلْ

في قروم سادةٍ في قومه ... نظر الدهر إليهم فابتهل

فأخي إن شربوا، من خيرهم ... وأبو الحزَّاز من أهل النَّفّلْ

يذعر البرك فقد أفزعه ... ناهض ينهض نهض المختزل

مدمن يجلو بأطراف الذرى ... دنس الأسؤق من عضب أفلْ

ممقر: شديد المرارة. نظر الدهر إليهم: حسدهم. القرم: أصله فحل الإبل. المختزل: مقطوع السنام. والأبيات للبيد ضمن قصيدة في «ديوانه» (ص١٩٧).

٦٠

قال عبيد بن أيوب (اللص)[(١)]:

وفتية كالذئاب الطلس قلت لهم ... إنِّي أرى شبحًا قد زال أو حالا

فاعصوصبوا ثم جسَّوه بأعينهم ... ثم اختفوه وقرن الشمس قد زالا

---

(١) تحدث عنه المبرد في كتابه «الكامل» في موضعين هما (١/ ٣٤١ و٢/ ٢٠٠).

وذكر له عدة أبيات غير هذين وذكر أن اسمه الكامل هو: عبيد بن أيوب العنبري.

٦١

يقول المجنون:

وشُغلت عن فهم الحديث سوى ... ما كان منكِ، وحُبُّكم شُغلي

وأديم نحو محدثي ليرى ... أنْ قد فهمت، وعندكم عقلي

٦٢

قال الأشهب بن زميلة[(١)]:

إن الذي حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد

هُمُ ساعد الدهر الذي يُتَّقى به ... وما خير كف لا تنوء بساعد

أسودُ شرى لاقت أسود خفية ... تساقوا على سردٍ دماء الأساود

٦٣

قال أبو الطمحان القيني[(٢)]:

حنتني حانيات الدهر حتى ... كأني خاتل يدنو لصيد

قريب الخطو يحسب من يراني ... ولست مقيدًا أني بقيد

ويقول[(٣)]:

---

(١) «لسان العرب»، مادة: (فلج).

(٢) انظر: «خزانة الأدب» (٨/ ٩٦)، بتحقيق: عبد السلام محمد هارون، وكذلك «حماسة البحتري» (ص٣٢٣). كذلك كتاب «الأغاني» (طبع الساسي) (١١/ ١٢٤). أما (٢) و(٣) فلم أعثر لهما على موضع، ولكن الأصفهاني أورد في كتابه «الأغاني» فصلًا كاملًا عن أبي الطمحان القيني (١١/ ١٢٥ حتى ص١٢٨).

(٣) وجاء في أمالي المرتضي (٢/ ٢٦٠): أن البيت الثاني مع أنه للطمحان =

بُـنَـيَّ إذا مـا سـامـك الـذُّلَّ قـاهـر   عـزيـز فبعـض الـذل أبـقـى وأحـرز
ولا تـحـم من بـعـض الأمـور تـعـزُّرًا   فـقـد يـورث الـذل الـطـويـل الـتـعـزز

ويقول[1]:

يـا رُب مـظـلـمـة يـومًـا لـطـيـت بـهـا   تـمـضـي علـيَّ إذا مـا غـاب نُـصَّـاري
حتى إذا مـا انـجـلـت عـنِّـي غـيـابـتـهـا   وَثَبت فيها وثوب المخدر الضاري

(وهو شاعر جاهلي عاش إلى أن جاء الإسلام فأسلم، وكان لصًّا، عُمِّر مائة سنة وقيل: أكثر). لطيت بها: ثقلت عليَّ.

٦٤

قال القطامي[2]:

وفي الـخـدور غـمـامـات بـرقـن لـنـا   حتى تـصـيَّـدنـنـا من كـل مـصـطـاد
يـقـتـلـنـنـا بـحـديـث لـيـس يـعـلـمـه   مـن يـتـقـيـه ولا مـكـنـونـه بـادي
فـهـن يـنـبـدن مـن قـول يـصـبـن بـه   مـواقـع الـمـاء من ذي الـغـلـة الـصـادي

٦٥

وقال أعرابي[3]:

إنِّـي لأكـنـي بـأجـبـال عـن أجـبُـلـهـا   وبـاسـم أوديـة حـبًّـا لـواديـهـا

= القيني فإنه منسوب لعبد الله بن معاوية، وأن البيت الثالث للطمحان. أما الأول فهو في المرجع ذاته (١/ ٢٥٧).

(١) في «حماسة القرشي»، بتحقيق: خير الدين قبلاوي، نشر وزارة الثقافة بدمشق ١٩٩٥م، (ص١١).

(٢) «سمط اللآلي» (١/ ١٨)، و«ديوانه» (ص١١).

(٣) قال الشيخ: «أودية جمع واد، أما وديان فهي خطأ»، وردت في البيت الأول.

عمداً ليحسبها الواشون غانية ... أخرى، ويُحسب أني لا أباليها
ولا يُغير ودِّي أن أهاجرها ... ولا فراق نوى للدار أنويها
وللقلوص ولي منها إذا بعُدت ... بوارح الشوق تضنيني وأضنيها

٦٦

قال طرفة بن العبد[١]:

آدت الصنعة في أمتُنها ... فهي من تحت مشيحات الحزم
تتقي الأرض برُحٍّ وُقُح ... وُرُقٍ يقعرن أنباك الأكمْ
وتُفَرِّي اللحم من تعدائها ... والتغالي فهي قُبٌّ كالعَجمْ

الصنعة: هي تعهد الخيل، آدات: قوَّت. رُح: جمع أرح وهو الحافر المتسع، الوُقُح: الشداد، وُرُق: جمع أورق؛ أي: أسود في غبرة، يقعرن: يُعمقن. الأنباك: جمع نبك وهو ما ارتفع من الأرض، يتفرَّى اللحم: يتشقق من شدة عدوها، والتغالي: مصدر من قولهم: تغالي لحم الدابة؛ أي: انحسر من الضمر. قب: جمع أقب وهو الضامر البطن، والعجم هو نوى التمر وسواه.

٦٧

قال الشاعر الجاهلي عُتي بن مالك العقيلي:

أبا مدرك إن الهوى يوم عاقل ... دعاني وما لي أن أجيب عزاء
وإن مروري جانبًا ثم لا أُرى ... أجيبك إلا معرضًا لجفاء

(١) «مختارات الشعر الجاهلي» لمصطفى السقا (١/ ٣٥١) (طبع مصطفى الحلبي، القاهرة ١٩٤٨م).

وإن اجتماع الناس عندي وعندها إذا جئت يومًا زائرًا لبلاء
إذا أنا لم آمن عليك ولم يكن لقاؤك إلا من وراء وراء

«لسان العرب»، مادة: (وري).

٦٨

قال الفرزدق:

وإني لقاض بين حين أصبحا مجالس قد ضاقت بها الحلقات
بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع وَتُنكح في أكفائها الحبطات
ولا يدرك الغايات إلا جيادها ولا تستطيع الجِلَّة البكرات

الجلة: المسان من الإبل وهي أشدها، والبكرات: جمع بكرة وهي الصغار. الحلقات: مجالس القوم على هيئة حلقة، «ديوانه» (١/ ١٢٩)، ورواية البيت الثاني: «بنو مسمع أكفاؤهم آل دارم».

٦٩

قال أبو الهول الحميري حين حاز الخليفة العباسي سيف عمرو بن معديكرب المسمى الصمصامة:

حاز صمصامة الزبيدي من بيـ ـن جميع الأنام موسى الأمين
سيف عمرو كان فيما سمعنا خير ما أطبقت عليه الجفون
أخضر اللون بين حدِّيه ماء من ذعاف تميس فيه المنون
أو قدت فوقه الصواعق نارًا ثم شابت له الذعاف القيون
فإذا ما سللته بهر الشمـ ـس ضياء فلم تكد تستبين
وكأن الفرند والرونق الجا ري على صفحتيه ماء معين
يستطير الأبصار كالقبس المشـ ـعل لا تستقيم فيه العيون

نعم مخراق ذي الحفيظة في الهيـ ـجاء يعصي به ونعم القرين
ما يبالي إذا انتحاه لحرب أشمال سطت به أم يمين

والقصة مشهورة في كتب الأدب، وقد ذكر ابن الشجري في حماسته بيتين من هذه القصيدة. وانظر كذلك: «حماسة القرشي» (ص٤٥٤).

٧٠

كان حضرمي بن عامر الأسدي عاشر عشرة من إخوته فماتوا فورثهم، فقال ابن عم له يقال له جزء: من مثلك؟ مات إخوتك فورثتهم، فأصبحت ناعمًا جذلًا، فقال حضرمي:

يزعم جزء ولم يقل سددًا أني تَرَوَّحتُ ناعمًا جذلًا
إن كنت أزننتني بها كذبًا جزء فلاقيت مثلها عجلًا
أفرح أن أرزأ الكرام وأن أورث ذودا شصائصًا نبلًا
كم كان في إخوتي إذا احتضن الـ ـبطال تحت العجاجة الأسلا
من واجد ماجدٍ أخي ثقة يعطي جزيلًا ويقتل البطلا
أروع صتم ترى الأرامل وال أيتام أكناف بيته رسلا
إن جئته خائفًا أمنت وإن قال سأحبوك نائلًا فعلا

الصتم: المكتمل من الرجال، وحضرمي بن عامر صحابي وفد إلى رسول الله مع نفر من قومه بني أسد فأسلم.

في كتاب «الكامل» للمبرد: «ولم يقل جللًا».

وجللا هنا: تعني: صغيرًا. شصائصًا: حقيرة. أزننتني: نسبتني إلى هذا الأمر.

نبلًا: صفة لشصائص تدل على التحقير والتقليل.

(والأبيات في «الوحشيات» رقم (**٣٧٠**) مع اختلاف في الرواية).

٧١

قال الشريف الرضي[١]:

وقفنا لهم من وراء الخط ... وب نطالعهم من خصاصاتها

ونرقب يومًا كأيامها ... وليلة نحس كليلاتها

فإنَّ عصا الدهر لما تدع ... سياق الأمور لغاياتها

وإن الحبائل منصوبة ... فلا تستغرّوا بإفلاتها

تسنَّمتموها طوال الذرى ... فصبرًا على بعد مهواتها

ومن أمطرته سماء الغنى ... هوى في سيول قراراتها

فيالك دنيا تريش الرجا ... ل وتُنحي عليهم بمبراتها

وإن منائحها للفتى ... لرهن له بنكاياتها

فبينا تقول له هاكها ... إلى أن تقول له هاتها

ألم تعلموا أن أيامكم ... تعود إلى حين ميقاتها

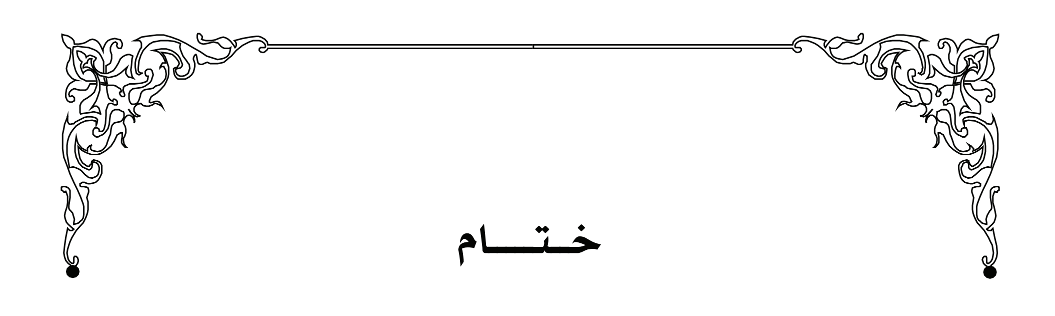
فكيف وثقتم بأعوامها ... ونحن نَضَنّ بساعاتها

فلا تطلبنَّ لهم عثرة ... ستأتيهُمُ هي من ذاتها

تمر الليالي على نهجها ... وتجري الخطوب لعاداتها

❊ ❊ ❊

(١) «ديوانه» (١/ ١٧٤).



ختـــام

لا يغيب عن القارئ المدقق مدى الجهد الذي بذل في هذا الكتاب. فإن نقله من المرحلة التي كان عليها في دفاتري القديمة إلى وضعه الحالي لم يكن أمرًا سهلًا وعلى الأخص أن المدة التي أعقبت توقفنا عن تلقي الدروس على يد شيخنا قد استطالت، وذلك ما جعل العهد بهذه الأوراق يمتد حتى لقد كاد النسيان أن يغلب على بعض الجوانب المهمة في تلك الدروس. ولكنني أحمد الله الذي أعانني بقدرته على القيام بهذا الجهد واستكمال كافة ما وجدته في أوراقي القديمة بما في ذلك استذكار كل ما كان غائبًا عن البال بحكم طول المدة كما أوضحت.

بقي على أن أذكر بالتقدير الأستاذ العلامة محمود محمد شاكر وأن أشكر له كل ما قدمه لي ولزملائي، وأدعو له بالرحمة من رب العالمين.

أما الأخوة الذين زاملتهم سعيدًا بزمالتي لهم فإنني أكنُّ لهم كل الحب، ومهما مر الزمان على تلك اللقاءات؛ فإنني سوف لا أنسى أيام الدرس الجميلة وأحمد الله أننا لا نزال على اتصال حتى بمن بَعُد بهم المقام عن الكويت، فهم أخوة أعزاء ورجال كرام نسعد بلقياهم ونتتبع أخبارهم ونتمنى لهم كل خير.

وإذا كان لا بد من أن أشير إلى شيء أراه مهما بعد أنْ انتهى عرض ما في دفاتري القديمة فإن هذا الشيء هو ما سبق لي أن نوهت به منذ البداية، وذلك حين قلت: إن من بين الدروس التي تلقيناها من أستاذنا مراجعات على كتاب «الكامل» وهو من نفائس الكتب التي تبحث في اللغة والأدب ومؤلفه هو العالم الأديب محمد بن يزيد المبرد، ووعدت أن أعود إلى هذه المراجعات عندما يسمح الوقت في عمل قادم إن شاء الله، وقد كانت دروسنا لما تيسَّر من كتاب «الكامل» على قِلَّتها، وقصر الوقت الذي أمضيناه مع الأستاذ خلال تلقينا لها دروسًا نافعة عامرة بالفوائد، والمعلومات التي ينبغي أن يُلمَّ بها كل محب للأدب والتاريخ الإسلامي، وهذه الكلمات التي أخطها الآن بشأن كتاب «الكامل» إنما هي بمثابة وعد آخر يلزمني بإعداد الأوراق المتعلقة بهذا العمل على النمط الذي أعددت به أوراق «الأصمعيات»، وأرجو أن يعينني الله سبحانه على ذلك.

كررت كثيرًا الإشارة إلى طول المدة، وصعوبة العودة إلى ما كنا نستمع إليه بعد أن طوينا أوراقنا منذ أمد امتد كثيرًا. وذلك لكي أقول للقارئ الكريم:

اسمح لي إذا وجدت هفوات هي من الأمور التي لا يستطيع الإنسان أن يتجاوزها، واعلم أنني بذلت كل ما أقدر عليه في سبيل تقديم عمل يتناسب مع هذا الذي قام به أستاذنا، وإن أخطأت في أمر من الأمور فابن آدم خَطَّاءٌ بطبعه.

❑ ❑ ❑

مراجع شرح «الأصمعيات»

- الآمدي، الحسن بن بشر: **المؤتلف والمختلف**، مكتبة القدس، القاهرة ١٣٥٤هـ.
- الأحوص، عبد الله بن محمد: **شعر الأحوص**، مكتبة الأندلس، بغداد ١٩٦٩م.
- الأخفش الأصغر، علي بن سليمان: كتاب **الاختيارين**، دار الفكر المعاصر، بيروت.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين: **الأغاني**، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٥م.
- الأصمعي، عبد الملك بن قريب: «**الأصمعيات**»، دار المعارف، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥٥م.
- الأصمعي، عبد الملك بن قريب: **فحولة الشعراء**، المطبعة المنيرية، القاهرة ١٩٥٣م.
- الأعشى، ميمون بن قيس: **ديوان الأعشى**، المؤسسة العربية، بيروت.
- الألوسي، محمد شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال الأدب**، المكتبة السلفية، مصر ١٩٢٤م.
- الأنصاري، أبو زيد: **النوادر في اللغة**، دار الشروق، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، القاهرة ١٩٦٠م.
- الباهلي، أحمد بن حاتم: **شرح ديوان ذي الرمة**، دار الرسالة، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، بيروت ١٩٩٣م.

- البحتري، أبو عبادة: حماسة البحتري، المكتبة التجارية، القاهرة **١٩٢٩**م.

- البحتري، أبو عبادة: ديوان البحتري، دار المعارف، تحقيق: حسن الصيرفي، القاهرة **١٩٦٥**م.

- ابن برد، بشار: **ديوان بشار**، دار التأليف والترجمة والنشر، القاهرة **١٩٥٧**م.

- البصري، ضياء الدين بن الحسين: **الحماسة البصرية**، دار المعارف العثمانية، الهند **١٩٦٤**م.

- البغدادي، عبد القادر بن عمر: **شرح أبيات مغني اللبيب**، دار المأمون، تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، دمشق **١٩٧٣**م.

- البكري، عبد الله بن عبد العزيز: **معجم ما استعجم**، دار التأليف، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة.

- البكري، أبو عبيد: **سمط اللآلئ**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، تحقيق: عبد العزيز الميمني، القاهرة **١٩٣٦**م.

- أبو تمام، حبيب بن أوس: **الوحشيات**، دار المعارف، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ومحمود محمد شاكر، القاهرة **١٩٦٣**م.

- الجاحظ، عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، لجنة التأليف والترجمة، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة **١٩٤٨**م.

- الجعدي، حبان بن قيس: **ديوان النابغة الجعدي**، المكتب الإسلامي، بيروت **١٩٦٤**م.

- الجمحي، محمد بن سلام: **طبقات فحول الشعراء**، مطبعة المدنية، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة **١٩٧٤**م.

- ابن جندل، سلامة: **ديوان سلامة بن جندل**، المكتبة العربية، تحقيق: فخر الدين قباوة، حلب **١٩٦٨**م.

- الحطيئة، جرول بن أوس: **ديوان الحطيئة**، تحقيق: نعمان أمين طه، القاهرة **١٩٥٨**م.

- الحموي، ياقوت: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت **١٩٥٥**م.

- الدينوري، ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، المكتبة التجارية الكبرى، تصحيح مصطفى السقا، القاهرة **١٩٣٢**م.

- الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة: **عيون الأخبار**، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة **١٩٦٣**م.

- الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، كتاب **الأنواء**، دائرة المعارف العثمانية، الهند **١٩٥٣**م.

- الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة: **المعاني الكبير**، المطبعة العثمانية، الهند **١٩٤٩**م.

- الذهبي، الحافظ: **العبر في خبر من غبر**، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت **١٩٦٠**م.

- الزمخشري: محمود بن عمر: **أساس البلاغة نشر**، دار الشعب بمصر **١٩٦٠**م.

- السكري، الحسن بن الحسين: **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق: عبد الستار فراج، مراجعة: محمود محمد شاكر، دار العروبة، القاهرة **١٩٦٠**م.

- السلمي، عرام بن الأصبغ: **أسماء جبال تهامة**، تحقيق: ونشر عبد السلام هارون، مصر **١٩٥٤**م.

- السندوبي، حسن: **ديوان امرئ القيس**، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة **١٩٥٣**م.

- ابن الشجري، هبة الله بن حمزة: **أمالي ابن الشجري**، دائرة المعارف العثمانية، الهند **١٣٤٩**هـ.

- ابن الشجري، هبة الله بن حمزة: **حماسة ابن الشجري**، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند **١٣٤٥**هـ.
- ابن الشجري، هبة الله بن حمزة: **مختارات ابن الشجري**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة **١٩٧٤**م.
- ابن الشريد، تماضر بنت عمر: **ديوان الخنساء**، دار الفكر، بيروت **١٩٥٣**م.
- الشريف المرتضي، علي بن الحسين: **أمالي المرتضي**، عيسى البابي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة **١٩٥٤**م.
- الصاوي، عبد الله: **ديوان الفرزدق**، المكتبة التجارية الكبرى، تصحيح: مصطفى السقا، القاهرة **١٩٣٢**م.
- الضبي، المفضل: **المفضليات**، تحقيق: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة **١٩٥٢**م.
- الضبعي، المتلمس: **ديوان المتلمس الضبعي**، معهد المخطوطات العربية، القاهرة **١٩٧٠**م.
- ابن عاديا، السموأل: **ديوان شعر السموأل**، دار صادر، بيروت **١٩٥١**م.
- العامري، لبيد بن ربيعة: **شرح ديوان لبيد**، وزارة الإرشاد والأنباء، تحقيق: إحسان عباس، الكويت **١٩٦٢**م.
- العسقلاني، ابن حجر: **الإصابة في تمييز أسماء الصحابة**، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة **١٩٣٩**م.
- الغطفاني، الشماخ بن ضرار: **ديوان الشماخ**، دار المعارف، تحقيق: صلاح الدين الهادي، القاهرة **١٩٦٨**م.
- القالي، أبو علي إسماعيل: **الأمالي**، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة **١٩٥٤**م.

- ابن قتيبة، محمد بن عبد الله بن مسلم، **تأويل مشكل القرآن**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٤م.
- ابن قتيبة، محمد بن عبد الله بن مسلم، **تأويل مشكل القرآن**، دار التراث تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة ١٩٧٣م.
- ابن قتيبة، محمد بن عبد الله بن مسلم، **الميسر والقداح**، السلفية، تحقيق: الخطيب محب الدين، القاهرة ١٣٤٢هـ.
- ابن قتيبة، محمد بن عبد الله بن مسلم، **المعاني الكبير**، المطبعة العثمانية، الهند ١٩٤٩م.
- القرشي، محمد بن أبي الخطاب، **جمهرة أشعار العرب**، المطبعة الخيرية، القاهرة ١٣٣٠هـ.
- القرشي، عباس بن محمد: **حماسة القرشي**، تحقيق: خير الدين قبلاوي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق ١٩٩٥م.
- ابن الكلبي، **أنساب الخيل**، تحقيق: أحمد زكي باشا دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٤٦م.
- المبرد، **التعازي والمراثي**.
- ابن المثنى، معمر: **النقائض**، المكتبة الحسينية، القاهرة ١٩٣٥م.
- ابن معمر، جميل: **ديوان جميل بثينة**، دار صادر، بيروت ١٩٥٣م.
- المرزوقي، أحمد بن محمد: **الأزمنة والأمكنة**، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت ٢٠٠٣م.
- ابن منظور، جمال الدين: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت ١٩٥٥م.
- ابن ميمون، محمد بن مبارك: **منتهى الطلب من أشعار العرب**، دار صادر، بيروت ١٩٩٩م.
- هارون، عبد السلام محمد: **نوادر المخطوطات**، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٥١م.

ـ الهمداني، الحسن بن أحمد: **صفة جزيرة العرب**، تحقيق: عبد الله بن بليهد، مصر **١٩٥٣**م.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمات	
مقدمة	٥
البداية	٩
مدخل	١٠
الأستاذ (١)	١٥
الأستاذ (٢)	٢٥
بداية عرض الشعر	٣٥
* **الشعر**	٣٧
ـ القصيدة الأولى من «الأصمعيات» لسحيم بن وثيل الرياحي	٣٩
ـ القصيدة الثانية من «الأصمعيات» لخفاف بن ندبة	٦٣
ـ القصيدة الثالثة من «الأصمعيات» لخفاف بن ندبة	١٠٢
ـ القصيدة الرابعة من «الأصمعيات» لخفاف بن ندبة	١١٥
ـ القصيدة الخامسة من «الأصمعيات» لخفاف بن ندبة	١٢١
ـ القصيدة السادسة من «الأصمعيات» للحكم الخضري	١٢٣
ـ القصيدة السابعة من «الأصمعيات» لعمر بن لجأ التميمي	١٣٤
ـ القصيدة الثامنة من «الأصمعيات» لعبد الله بن عنمة	١٣٨
ـ القصيدة التاسعة من «الأصمعيات» لعقبة بن سابق	١٤٣
ـ القصيدة العاشرة من «الأصمعيات» لعروة بن الورد	١٥٢
ـ القصيدة الحادية عشرة من «الأصمعيات» لأسماء بن خارجة	١٦٠
ـ القصيدة الثانية عشرة من «الأصمعيات» لسهم بن حنظلة الغنوي	١٧١

الموضوع	الصفحة

ـ القصيدة الثالثة عشرة من «الأصمعيات» لمقَّاس العائذي ١٨٦
ـ القصيدة الرابعة عشرة من «الأصمعيات» للمنخل اليشكري ١٩٠
ـ القصيدة الخامسة عشرة من «الأصمعيات» لمالك بن حريم الهمداني ٢٠٠
ـ القصيدة السادسة عشرة من الأصمعيان للأجدع بن مالك الهمداني ٢١٧
ـ القصيدة السابعة عشرة من «الأصمعيات» للحارث بن عباد ٢٣٠
ـ القصيدة الثامنة عشرة من «الأصمعيات» لذي الإصبع العدواني ٢٣٤
ـ القصيدة التاسعة عشرة من «الأصمعيات» لكعب بن سعد الغنوي ٢٤١
ـ القصيدة العشرون من «الأصمعيات» لأبي الفضل الكناني ٢٥٠
ـ القصيدة الحادية والعشرون من «الأصمعيات» لعمرو بن الأسود ٢٥٤
ـ القصيدة الثانية والعشرون من «الأصمعيات» لسعية بن العُرَيِّض ٢٦٣
ـ القصيدة الثالثة والعشرون من «الأصمعيات» للسموأل بن عاديًا ٢٦٦
ـ القصيدة الرابعة والعشرون من «الأصمعيات» لعامر بن الحارث بن رباح ... ٢٧٢
ـ القصيدة الخامسة والعشرون من «الأصمعيات» لكعب بن سعد الغنوي .. ٢٨٧
والقصيدة السادسة والعشرون من «الأصمعيات» لغريقة بن مسافع العبسي ٢٨٧
ـ القصيدة السابعة والعشرون من «الأصمعيات» لسعدى بنت الشمردل ٣١٢
ـ القصيدة الثامنة والعشرون من «الأصمعيات» لدريد بن الصِّمَّة ٣٢٥
ـ القصيدة التاسعة والعشرون من «الأصمعيات» لدريد بن الصِّمة ٣٣٩
* **من قصائد الأخطل التغلبي** ٣٤٥
ـ تمهيد حولها ٣٤٧
ـ قصيدة خَفَّ القطين للأخطل التغلبي ٣٥٠
* **مختارات من الشعر** ٣٧١
* **الختام** ٤١٣
* **مراجع شرح «الأصمعيات»** ٤١٥
* **الفهرس** ٤٢١

قائمة إصدارات

الوعي الإسلامي

- ❖ القدس في القلب والذاكرة.
- ❖ حقوق الإنسان في الإسلام.
- ❖ النقد الذاتي.. رؤية نقدية إسلامية لواقع الصحوة الإسلامية.
- ❖ الحوار مع الآخر.. المنطلقات والضوابط.
- ❖ المجموعة القصصية الأولى للأطفال.
- ❖ المرأة المعاصرة بين الواقع والطموح.
- ❖ الحج.. ولادة جديدة.
- ❖ الفنون الإسلامية.. تنوُّع حضاري فريد.
- ❖ لا إنكار في مسائل الاجتهاد.
- ❖ المجموعة الشعرية الأولى للأطفال.
- ❖ التجديد في التفسير.. نظرة في المفهوم والضوابط.
- ❖ مقالات الشيخ محمد الغزالي في مجلة الوعي الإسلامي.
- ❖ مقالات الشيخ عبد العزيز بن باز في مجلة الوعي الإسلامي.
- ❖ رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام.
- ❖ موسوعة الأعمال الكاملة للإمام الخضر حسين.
- ❖ علماء وأعلام كتبوا في الوعي الإسلامي.
- ❖ براعم الإيمان.. نموذج رائد لصحافة الأطفال الإسلامية.
- ❖ الاختلاف الأصولي في الترجيح بكثرة الأدلة والرواة وأثره.
- ❖ الإعلام بمن زار الكويت من العلماء والأعلام.
- ❖ الحوالة.
- ❖ التحقيق في مسائل أصول الفقه التي اختلف النقل فيها عن الإمام مالك بن أنس.
- ❖ الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها المذهب المالكي.
- ❖ الاجتهاد بالرأي في عصر الخلافة الراشدة.
- ❖ التوفيق والسداد في مسألة التصويب والتخطئة في الاجتهاد.
- ❖ فقه المريض في الصيام.
- ❖ القسمة.
- ❖ أصول الفقه عند الصحابة ـ معالم في المنهج.
- ❖ السنن المتنوعة الواردة في موضع واحد في أحاديث العبادات.
- ❖ لطائف الأدب في استهلال الخطب.
- ❖ نظرات في أصول البيوع الممنوعة.
- ❖ الإعلاء الإسلامي للعقل البشري (دراسة في الفلسفات والتيارات الإلحادية المعاصرة).
- ❖ ديوان شعراء مجلة الوعي الإسلامي.
- ❖ ديوان خطب ابن نباتة.

❖ الإظهار في مقام الإضمار.
❖ مسألة تكرار النزول في القرآن الكريم.
❖ الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي، وجهوده في كتابه «تهذيب الكمال».
❖ في رحاب آل البيت النبوي.
❖ الصعقة الغضبيّة في الردّ على منكري العربية.
❖ منهاج الطالب في المقارنة بين المذاهب.
❖ معجم القواعد والضوابط الفقهية.
❖ كيف تغدو فصيحاً.
❖ التنزيل الوصية الواجبة في الفقه الإسلامي.
❖ الفروق الدلالية لألفاظ التكرار في القرآن الكريم.
❖ تبصرة القاصد على منظومة القواعد.
❖ حقوق المطلقة في الشريعة الإسلامية.
❖ الضمان في الحقوق المعنوية والتحفيز التجاري.
❖ المذهب عند الحنفية ـ المالكية ـ الشافعية ـ الحنابلة.
❖ منظومات في أصول الفقه.
❖ أجواء رمضانية.
❖ المنهج التعليلي بالقواعد الفقهية عند الشافعية.
❖ نحو منهج إسلامي في رواية الشعر ونقده.
❖ دراسات وأبحاث علمية.
❖ ابن رجب الحنبلي وأثره في الفقه.
❖ التقصِّي لما في الموطأ من حديث النبيِّ.
❖ المجموعة القصصية الثانية للأطفال.
❖ كرّاسة لوِّن لبراعم الإيمان.
❖ موسوعة رمضان.
❖ جهد المقِلّ.
❖ العذاق الحواني على نظم رسالة القيرواني.
❖ العربية والتراث.
❖ النسمات النّدية من الشمائل المحمّدية.
❖ أثر الاحتساب في مكافحة الإرهاب.
❖ القرائن وأثرها في علم الحديث.
❖ جهود علماء الحديث في توثيق النصوص وضبطها.
❖ سيرة حميدة ومنهج مبارك (الدكتور محمد سليمان الأشقر).
❖ أبحاث مؤتمر الصحافة الإسلامية الأول.
❖ نظام الوقف والاستدلال عليه.
❖ من أمالي العلّامة أبي فهر محمود محمد شاكر على كتاب الأصمعيات للأصمعي.
❖ من أمالي العلّامة أبي فهر محمود محمد شاكر على كتاب الكامل للمبرد.
❖ الترجيح بين الأقيسة المتعارضة.